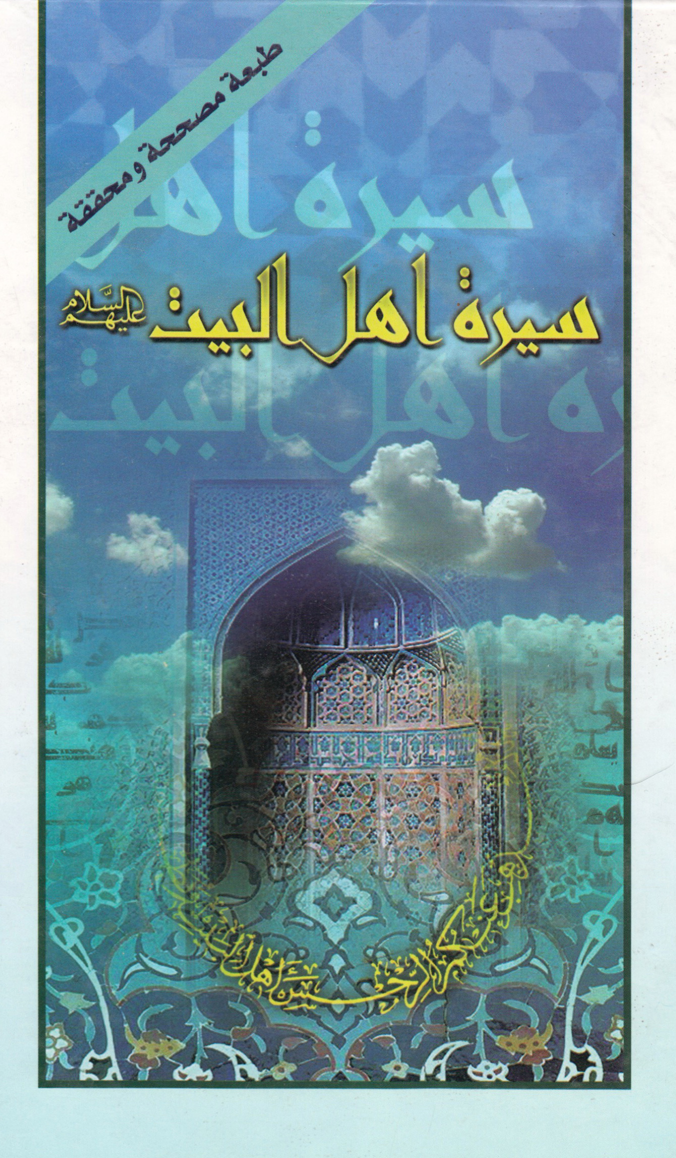


الاستاذ الشهيد

مرتضى مطهري

سيـــرة

أهل البيت عليهم السلام

(الائمّة الأطهار عليهم السلام)

تأليف:

مرتضىٰ المطهّري



ترجمة:

مالك وهبي

مراجعه و تقويم النص:

عبدالكريم الزهيري

السيد أحمد باقر الموسوي

هوية الكتاب

● اسم الكتاب: سيرة اهل البيت عليهم السلام (الائمّة الأطهار عليهم السلام)

○ المؤلف: الشهيد مرتضىٰ مطهري

● المترجم: مالك وهبي

○ الناشر: منشور سيدي

● عدد المطبوع: ٢٠٠٠

○ المطبعة: ظهور

● الطبعة: الاولى ـ ١٤٢٦ هـ

○ الشابك: ٩٦٤ ـ ٨٣٨٦ ـ ٢٠ ـ X

مراكز التوزيع:

١ ـ قم ـ پاساژ قدس، مكتبة الإمام الصادق عليه السلام ـ الهاتف: ٧٧٤٠٠٥٥، فاكس: ٧٧٤٤٧٠٦

٢ ـ بغداد ـ شارع المتنبي ـ مجمّع الزوراء ـ الطابق الأوّل ـ مكتبة أبي تراب ـ

النقال: ٠٧٩٠١٧٧١٠١٣، الهاتف: ٤١٦١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في التاريخ و السيرة للمترجم

بسم الله الرحمٰن الرحيم

و الحمد لله رب العالمين و صلّى الله على رسوله الكريم و آله الطاهرين.

و بعد فهذه مقدمة في التاريخ و السيرة أحببت ذكرها، كنت قد كتبتها يوماً لبعض المناسبات و قد استفدت من بعض كتابات الاستاذ الشهيد المطّهري في التاريخ.

و عندما نتحدّث عن التاريخ نجد له عدة تعريفات يمثل كل منها تعريفاً لعلم من علوم التاريخ فهناك التاريخ النقلي و يُعني بضبط الحوادث التي وقعت في الزمان السابق عن زمان سردها و ينقل الوقائع و الأحداث الجزئية سواء أكان ذلك الحدث مرتبطاً بحياة امة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات أم كان مرتبطاً بحياة افرادها و عظمائها و أمثال ذلك.

و هناك التاريخ العلمي و يُعني بضبط القواعد و السنن التي تهيمن على التاريخ و على مجريات الأحداث التاريخية. و هذه الدراسة العلمية للتاريخ تحتاج أولاً

إلى تاريخ نقلي، ذلك ان استنباط القواعد و السنن المذكورة لا يتم إلا بعد استقراء الأحداث التي وقعت و تجميعها ثم تحليلها و محاولة استخراج ما يمكن استخراجه بإرجاع المتفرقات إلى أمر واحد يجمع بينها الذي نعني به السنّة التاريخية. و القرآن قد نصّ في موارد عدة على وجود سنن تتحكّم بالتاريخ منها ما هو مشهود و منها ما هو غيبي و نشير على سبيل المثال إلى قوله تعالى في الآية رقم ١٣٧ من سورة آل عمران:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ .

و فائدة التاريخ العلمي تعميم القواعد على الحاضر و المستقبل بل قد يتمكن الانسان إذا ما أدرك السنن بواقعيتها من التسلّط على مستقبله بحيث يوصله الى ما يهدف إليه ان كان هدفه منجسماً مع تلك السنن. لكن هذا مرتبط الى حدّ كبير بمقدار إيماننا بأن للإنسان يد في تحريك تلك القوانين و إعطائها نتائجها بخلاف ما إذا آمنّا بالسير الجبري للتاريخ وقوانينه. وفي هذا التاريخ يلتقي علم الاجتماع مع علم التاريخ.

و المهم هو التاريخ النقلي و أنت إذا استقرأت حياة الأمم الحاضرة و التي خلت فستجد ان ما من أمة الا و اهتمت بهذا النوع من التاريخ بل هو الشائع بين المؤرخين و العلماء و الشعوب و لم تخل أمة من حفظة و كتّاب و مؤلفين ينقلون ما حفظوه أو كتبوه عن الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة. و ذلك لما يشتمل عليه ذلك التاريخ من مبررات الفخر و الاعتزاز تارة و الاتعاظ و التبدّل تارة أخرى أو مبررات لحالات قائمة فعلاً حاضرة بين الناس تارة ثالثة و غير ذلك

مما يمكن أن يكون هدفاً لنقل التاريخ.

و مهمة هؤلاء المؤرخين نقل الأحداث بدقة و أمانة، و إن لقيت استهتاراً من قبل كثير بل جلّ المؤرخين. و قد كتب الكثير عن سبب هذا الإهمال المقصود تارة و غير المقصود تارة أخرى بل قد نجد بعض المؤرخين يذكر أسباب الإهمال فما يلبث أن يقع فيها حتى بات يسيطر على الأذهان الاعتقاد باستحالة كتابة تاريخ موضوعي نزيه من كل الجهات و هو اعتقاد له مبرراته إلى حدّ ما.

ذلك ان التاريخ كان دائماً أو غالباً محكوماً للأنظمة التي كانت تعاصر زمن النقل والتي كانت تملك القوة، الأمر الذي كان يمكنها من الاشراف على ذلك النقل فتجوّز نقل ما ترضى عنه و لا يسوؤها و تحذف ما لا يناسبها. بل قد تبتكر شخصيات و احداث، بل و تاريخ لما يلاقي ذلك من هوى لدى حكام ذلك الزمان فكم من فاسق فاجر أبداه المؤرخون عادلاً تقياً ورعاً وكم جاهل صيّره المؤرخون عالماً نحريراً و كم هم الأشخاص الذين اخترعت أسماؤهم و لا مسمّى لهم في طول التاريخ. و كان المؤرخون ـ إلا ما ندر ـ ينساقون وراء أهواء حكامهم خوفاً أو طمعاً، و لذا قد نرى التاريخ مشحوناً بكثير من التوافه التي تتعلق بالخليفة الفلاني مغضوضاً فيه النظر عن مهمات الأحداث.

على أن ناقلي التاريخ قد يكونون هم بأنفسهم أصحاب هوى فكري أو أدبي أو سلوكي فنراهم يحاولون أن يجعلوا من التاريخ وسيلة لإثبات ما مال إليه هو اهم و إبطال ما يقوله الآخرون، فيدعوهم ذلك إلى إثبات وقائع أو اختراعها تارة و إلى حذف جملة منها أو تحريفها تارة أخرى.

أضف إلى ذلك كله فقدان وسائل الضبط و النقل و التعرف على الأحداث

البعيدة عن بلد المؤرخ. نعم هذه المشكلة زالت في عصرنا الا أنه لا زالت الحكومات و الأهواء لدى المستكبرين و أزلامهم تتحكم في نقل التاريخ حتى الصحيح الذي وصل إلينا لم يرحموه في هذه الأيام فيراد هدمه أو التشكيك فيه على الأقل.

هذه المشاكل و غيرها قد يكون من أهم آثارها اختلاف التواريخ والمؤرخين فيما بينهم حتى أنك تكاد تجزم أنه ما من مسألة إلا و دار أمرها بين النفي والإثبات و لذا قد نجد من ينعت التاريخ بأنه اختلاق في اختلاق وقد يؤثر ذلك على السذّج الذين لا يملكون بدايات الطريق الصحيحة التي تساعد على تمييز الحق من الباطل و هذه نتيجة منطقية لحالة الاختلاف المشهودة بين الكتب الذي قد يصل إلى حد التباين. و لعل الضياع و التردد أهم ما استطاع المؤرخون المنحرفون أن يحققوه، فهم يكتفون بذلك ان لم يستطيعوا إقناع الآخرين بتاريخهم.

إلا ان هذا كله لا يجعلنا متشائمين من إمكانية التوصل إلى تاريخ صحيح نسبياً لأن لكل شيء بابه و باب التاريخ بل باب كثير من العلوم هو تحديد المسلّمات سواء العقلية منها أم النقلية و هي تشكّل المدخل للتاريخ و خصوصاً تاريخنا الذي يعتبر القرآن حاكماً على كثير من وقائعه فيصححها أو ينفيها خصوصاً إذا كانت الوقائع مرتبطة بحياة الرسول صلى الله عليه وآله و الأئمة الطاهرين عليهم السلام. مع الأخذ بعين الاعتبار ما اهتم الثقات بنقله و ان كان في بعض الأحيان بشكل متفرق مشتّت. إضافة إلى أنه يمكن للمؤرخ المنصف أن يعمل اجتهاده في الأمور التي تثبت باليقين فيفتّش عن القرائن المؤيدة أو النافيه و غير ذلك مما يساعده للتوصل إلى القدر الممكن من الصحيح من الأحداث.

السيرة:

و هي عبارة عن طريقة حياة اتبعها شخص ما، فطريقة الحياة هذه تسمّى السيرة.

و الناس عموماً عندما تنظر إلى عظيم من عظمائها تراها تتلهّف للتعرف على سيرته بعد أن تجعله مثلاً اعلى يحتذى به أو تراه مبعث فخر لها و لعل الأمم التي كان لها عظماء في تاريخها تكون أشد الأمم مضياً نحو الإمام إذا ما بقيت معظمة لهم فإن العظيم عندما يكون مبعث فخر فإن أمته تسعىٰ للحفاظ على هذا الفخر أو لاستعادته ان ضاع منها و العظيم عندما يكون قدوة تصبح سيرته منهج حياة لأمته.

و نحن لدينا من العظماء ما لم تحفل به أمة من الأمم و لن تجد لهم في تاريخ غيرنا مثيلاً، بل ان من تعتبرهم بعض الأمم عظمَاءها نشاركهم في كونهم عظماء لنا كالأنبياء و الأوصياء السابقين على نبيّنا و آله و عليهم السلام، و نزيد عليهم بمن هم أعظم و أعظم، عنيت بذلك رسولنا المكرّم أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

و نحن عندما ندرس سيرة الرسول الأكرمﷺ و أئمتناعليهم السلام لا ندرسها لمجرّد أنهم عظماء بل لأنهم معصومون على مستوى العلم و العمل و العاطفة فكما انهم حجة فيما يأمرون و ينهون و يجيزون، كذلك هم حجة فيما يعملون و يتركون، ولذا ورد الأمر بالتأسي بسيرتهم فهذا هو كتاب الله ينطق بالحق و يقول في سورة الأحزاب الآية رقم ٢١ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا

اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ فهو صلى الله عليه وآله أسوة حسنة للمؤمنين، و الآية و ان كانت في منطوقها مختصة بالنبي صلى الله عليه وآله إلّا أنّ الأدلة دلّت ـ و ليس هذا هو محل بـيانها ـ على ان الأئمة عليهم السلام يشاركون الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك.

و التأسـي لا يـمكن أن يـحصل الا بـعد التـعرف عـلى سـيرة الرسـول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام. هذا إضافة إلى أن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله و الأئمة تبين لنا حركة الرسالة وكيفية تعاملها مع كل الظروف و الأوضاع، كما ستطّلع عليه في هذا الكتاب.

و لدراسة السيرة جوانب مهمة مـتعددة فـلدينا الجـانب العـبادي و الجـانب الأخلاقي، و هناك الجانب العسكري و الجانب الأمني، و هناك الجهة السـياسية والجهة الإجتماعية والجهة الفكرية استيعاب هذه البحوث بأبعادها مع ما تحتاج إليه من تتبع كبير يتطلّب مجلدات كبيرة و سـنين طـويلة بـل جـهوداً مـتكاتفة خصوصاً إذا لا حظنا التضارب في النقولات التاريخية. فمع أن تـاريخنا اغـنى تاريخ في تواريخ الأمم إلا أنّك لا تكاد تجد مسألة متفقاً عليها كما المحنا إليه فيما سبق و ألمحنا إلى الأسباب الرئيسة لذلك.

و لسعة بحوث السيرة نجد أنه مهما كتب فيها سـواء عـلى مسـتوى العـرض والسرد أم على مستوى التحليل و الاستنتاج لا تزال غـير مكـتملة و مـا زالت النفوس عطشى لمزيد من البحوث تكشف المزيد عما خفي و توضح ما احاطته الغشاوة فتصدّى العلماء، العالم تلو العالم لدراسة السيرة من جوانـبها المـختلفة. وكان من جملتهم المفكر العظيم و الفيلسوف الفقيه آية الله الشهيد المطهري الذي عُرف بالأستاذ لممارسة التدريس في جامعات طهران. و قد تناول في محاضراته المتشتّته التي جُمعت في هذا الكتاب جانباً من جوانب السيرة و هو جانب مهم

يستعرضه و يخضعه للتحليل بالمقدار الذي تسمح به اذهان المستمعين. فهو إذا بحث في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام تراه يخصص بحثه في أهم مشكلة اعترضت علياً عليه السلام و يراها المشكلة الأساسية التي لها في كل عصر نظير. و هكذا فهو يستعرض الحدث الأهم في حياة الأئمة عليهم السلام الذين تعرض لهم في هذه المحاضرات و يبين لك ان سيرتهم عليهم السلام و ان بدت مختلفة لهي سيرة متناسقة متكاملة بحيث تطمئنّ نفسك و تزول التشكيكات التي قد تكون ساورتك.

و الأستاذ الشهيد له باع طويل في الفكر و التحليل اوجب اقبال المجتمع المسلم عليه بروحه كلها قبل الانتصار و بعد الانتصار و للأسف لم يكن معروفاً لدينا نحن المسلمين في لبنان قبل الإنتصار بشكل عام كما لم يكن إمامنا الأكبر الخميني المقدّس معروفاً. سامح الله من كان السبب.

و قد كان من محبّي نشر آثار الشهيد ناشر هذا الكتاب و هو من محبّي العلم وطلاّبه و قد طلب منّي التصدّي لترجمة هذا الكتاب. و لا أنكر أنني تردّدت في هذه الخطوة و هي التي تعني أن تكون الواسطة في نقل افكار الشهيد إلى أهل اللسان العربي و هو أمر يقتضي الأمانة. ثم رأيت أن يكون لي سهم في نشر آثاره (قدّس سرّه) فشمّرت ساعديّ و انكببت على ترجمة الكتاب محاولاً إبراز المعنى بالأسلوب العربي مطابقاً له قدر الإمكان مع ما أراد الشهيد بيانه فنسأل الله التوفيق و التسديد فهو وليّنا، عليه توكّلنا، و إليه المآب.

ثم ها هنا ملاحظات يرجى الإنتباه لها:

اولاً: ان هذا الكتاب عبارة عن جملة من محاضرات القاها الشهيد (ره) في

أمكنة و أزمنة مختلفة فهى ليست كتابات كتبها الشهيد (ره)، و هذا ما سيفسر لنا الوجه في التكرار و محاولات إيضاح الفكرة ببيانات متعددة.

ثانياً: انه حيث كانت محاضرات فلم يكن الشهيد ينقل النصوص التاريخية أو الروايات بالنص الحرفي إلا ما قل فكان ينقلها بالمضمون الذي فهمه هو (ره) من النصوص و قد راعينا في الترجمة أيضاً ترجمة هذا المضمون و لم نحاول استبداله بالنص الحرفي رعاية للمعنى الذي يريد الأستاذ الشهيد إبرازه.

ثالثاً: في الطبعة الفارسية توجد هوامش منها ما هو للناشر و منها ما هو للأستاذ قد تكون أخذت من كلماته و جعلت هامشاً لكن لم يبين لنا ذلك و لم تعط علامة لما هو من الناشر و ما هو من الأستاذ أما كان منا فقد أشرنا إليه. كما أن في المتن كثير من الجمل قد وضعت بين هلالين و لم يبين في النسخة الفارسية الوجه في ذلك.

رابعاً: اسم هذا الكتاب في الطبعة الفارسية «سيرى در سيره ائمة اطهار عليهم السلام» أي جولة في سيرة الأئمة الاطهار عليهم السلام لكننا ارتأينا أن عنوان «محاضرات في سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام» أنسب للكتاب. كما يتضح ذلك مما قدمناه أولاً.

و أخيراً: لا ننسى أن نشكر اخواننا الذين كان لهم دور في انجاز ترجمة هذا الكتاب.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بيروت

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة شورى الإشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد مرتضى المطهري

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة و ثمانية فصول يدور الحديث فيها حول سيرة الأئمة الاطهار و بشكل خاص من جهة كيفية التعاطي مع مسئلة الخلافة والحكومة.

و مقدمة الكتاب انتخبت من كتابات المفكّر الشهيد الأستاذ مرتضى المطهّري.

و أما الفصول الثمانية فهي عبارة عن جملة من البحوث و المحاضرات ألقاها هذا المفكّر الإسلامي العظيم في هذا المجال في أزمنة و أمكنة مختلفة.

فالفصل الأول محاضرة ألقاها بتاريخ ٣٠ـ٨ـ٤٩ هش الموافق ل ٢١ رمضان من عام ١٣٩٠ ه ش في حسينية الإرشاد تحت عنوان «المشاكل التي اعترضت علياً عليه السلام».

و الفصل الثاني عبارة عن محاضرتين ألقيتا في ربيع عام ١٣٥٠ ه ش حول صلح الإم الحسن عليه السلام.

و الفصل الثالث بحث صغير عن الإمام زين العابدين عليه السلام عرضه الأستاذ الشهيد في ذيل بحث حول «خرافة الثالث عشر من فروردين» القاه بـاعتبار المـناسبة الزمانية و ذلك في حسينية الإرشاد بتاريخ ١٣ ـ ١ ـ ١٣٤٩ هش الموافق[1] لـ ٢٥ محرّم من عام ١٣٩٠ هق.

و الفصل الرابع يشتمل على بحث حول «الإمام الصادق عليه السلام و مسألة الخلافة» ألقي ضمن محاضرتين في تلو بحوث حول «صلح الإمام الحسـن عليه السلام و «مسألة ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» و ذلك في المجمع الإسلامي للأطباء.

و الفصل الخامس محاضرة تحت عنوان «أسباب شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام» ألقيت في حسينية الإرشاد بتاريخ ٤ ـ ٧ ـ ١٣٤٩ هش الموافق لـ ٢٤ رجب من عام ١٣٨٩ هق.

و الفصل السادس يتضمّن بحثاً عن مسألة «ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» ضمن محاضرتين ألقيتا في المجمع الإسلامي للأطباء كما أشرنا.

و الفصل السابع هو محاضرة ألقيت تحت عنوان «حديث حول الإمام الحسن العسكري عليه السلام» في مسجد الجامع بسوق طهران بمناسبة الذكرى السنوية لولادته عليه السلام و ذلك في سنة ١٣٥٤ هق.

و أما الفصل الثامن فهو عبارة عن محاضرتين حول الإمام المهدي عليه السلام الأولى بعنوان العدل الشامل ألقيت بتاريخ ٢٤ ـ ٧ ـ ١٣٤٩ هش الموافق لـ ١٤ شعبان

---

١ ـ فإن يوم ٢٥ محرم ذكرى وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام فكان يوم ٢٥ مناسبة للحديث عن الإمام عليه السلام (المترجم).

١٣٩٠ هـ ق في حسينية الإرشاد. و الثانية بعنوان «المهدي الموعود» ألقيت في نفس المكان بفارق أسبوع.

و كما يعلم من اسم الكتاب ـ الذي اختارته شورى الاشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد. فهذا الكتاب يمّثل جولة في سيرة الائمة الاطهار عليهم السلام و من البديهي أن تدوين سيرتهم عليهم السلام بحيث يشتمل على جميع الأبعاد لهو عمل عظيم ويحتاج إلى مجلدات ضخمة قد تخرج عن قدرة فرد واحد.

نأمل في أن يساهم هذا الكتاب ـ الذي ينشر مع غياب الأستاذ الشهيد ـ في تبيين المعارف الإسلامية و خصوصاً التعرف على سيرة المعصومين عليهم السلام مع وضوح أنه لو كان الأستاذ حاضراً لكان قدّم الكتاب بصورة أكمل بدرجات، وأرقى.

١ / ٦ / ٦٧ هـ ش.

شورى الاشراف على نشر آثار الأستاذ الشهيد

مقدمة الكتاب

مقايسة نهج الإمام الحسين عليه السلام مع سائر الأئمة عليهم السلام

التقيّة:

من الموضوعات التي ينبغي البحث حولها و التحقيق فيها هو المقارنة بين طريقة سيّد الشهداء عليه السلام مع باقي الائمة عليهم السلام. ففي نظر كثير من الناس ان نهج الإمام عليه السلام يختلف عن نهج الإئمة الآخرين عليهم السلام كنهج الإمام الحسن و الإمام السجاد و الإمام الباقر و الإمام الصادق و سائر الأئمة بل حتى الإمام عليّ امير المؤمنين عليه السلام، فكان الإمام الحسين عليه السلام مدرسة خاصة به، لم يتبعه أي إمام من الأئمة عليهم السلام بل سلكوا سبيلاً و تفكيراً آخرين. و قد تعمقت هذه الفكرة في النفوس رويداً رويداً حتى ولّدت عمىً و ضبابيةً و إشكالاً في القلوب. أضف إلى ذلك أننا يجب أن نعلم أي أسلوب يجب أن نختار فهل نختار هذه المدرسة أم تلك؟

و حتى يتحدد الموضوع أكثر، نعرض نهجاً اتبعته الشيعة حتى عرفت به، كان أئمة الدين عليهم السلام قد حدوده لهم و هو موضوع التقية الذي لازم الشيعة ملازمة الجود

لحاطم الطائي. و قد مارس الائمة عليهم السلام كلهم التقية فكيف انفرد الإمام الحسين عليه السلام مع توفر كل المبررات للتقية فإذا لم تكن حقاً فلماذا اتقى الأئمة عليهم السلام و أمروا بالتقية.

زيادة على ذلك فإن هذا البحث عقائدى بغضّ النظر عن اتحاد نهجهم عليهم السلام و اختلافه فلو فرض اتحادة كأن يمارسوا التقية كلهم أو عدم اتحاده كأن يعرضوا عنها كلهم فإن هذا بحدّ ذاته بحث عقائدي إذ من وجهة كلامية و أصولية يمكن البحث ان التقية في الأساس هل يمكن أن تكون التقية موجودة حقاً؟ و هل تتوافق مع العقل و القرآن؟

ثم إن موضوع البحث يمكن توسعة في دائرة أكبر من بحث التقية فيقال: في الأصل هناك أمور تعتبر متناقضة و متعارضة بين سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام بعضهم مع بعض فيمكن مثلاً أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله قد عمل بنحو و أمير المؤمنين عليه السلام عمل بنحو آخر أو أن يكون الرسول صلّى الله عليه و آله و الإمام علي عليه السلام سلكا مسلكاً و الإمام الباقر و الإمام الصادق عليه السلام سلكا مسلكاً آخر. فهذه الاختلافات الظاهرية كثيرة و سوف نورد على ذلك بعض الأمثلة. و حيث أننا نعتقد بعصمتهم عليهم السلام و ان أفعالهم كأقوالهم حجّة علينا يأتي السؤال: أي سيرة نتبع و عمل مَنْ نختار؟

و لأننا سلّمنا بإمامة أهل البيت عليهم السلام و عصمتهم و نعلم أن أفعالهم و أقوالهم حجّة، و نعتقد أن الرسول صلى الله عليه وآله هو الذي أمرنا بالرجوع إليهم فنحن أغنى من أهل السنّة و الجماعة بالنظر الى الآثار و المآثر الدينية فأحاديثنا و أخبارنا أكثر والحكم الأخلاقية و الاجتماعية عندنا أكثر كما أننا نزيد عنهم في الأدعية القيّمة، وهذه الأدعية هي بحدّ ذاتها باب كبير من المعارف و التعاليم الأخلاقية

والاجتماعية في الإسلام و يجب أن يبحث عنها بحثاً مستقلاً، كما ان ما عندهم من السيرة أقل مما عندنا فمن هذه الجهة أيضاً نحن أغنىٰ منهم. و من هنا نـرى أن بعض من أحصى الأحاديث الموجودة في صحاح السنّة الستة يقول إنها أقل مما هو موجود في كتاب الكافي. طبعاً أنا لم أجر هذا الإحصاء بل أنقل عن آخرين، كما أنني لا أتذكر عدد ما في الصحاح و عدد ما في الكافي. لكن الذي ببالي أن كتاب الكافي يزيد عن ستّة عشر ألفاً من الأحاديث، و هذا بنفسه مـن مـفاخر الشيعة. و لهذا يرى الشيعة انفسهم في غنىً عن القياس و الاستحسان و يفتخرون بهذا.

الآن نريد أن نقول إن هذا الذي يعتبر نقطة قوة عند الشيعة قد يعتبر نقطة ضعف إذا أثير الإشكال الذي قدمناه فيقال: لأن الشيعة ليس لهم معصوم واحد بل عندهم أربعة عشر معصوماً و حيث أن كل واحد من الأئمة عليهم السلام يُنقل عنه سيرة مختلفة عن سيرة الآخر فهذا يوجد نوعاً من الحيرة و الضلالة و ضياع الفكـر و يوجب الهرج و المرج عندهم و حينئذٍ ستكون هذه وسيلة جيّدة للذين يحاولون استغلال الدين لمقاصدهم الشخصية و صبغ الفساد بصبغة مقدّسة فإذا كان هوىٰ الشخص في عمل ما فإنه يختار حـديثاً مـن جـملة الأحـاديث المـروية عـن الأئمة عليهم السلام أو يلاحظ عملاً من أعمالهم عليهم السلام في مورد خاص و يـجعله دليلاً على ذلك و النتيجة هي التشتت و الهرج و المرج و عدم توفر أصل ثابت في مجال الأخلاق و المجتمع، و الويل لأمة تفتقد لأصول ثابتة متحدة و يكون كل فرد فيها ذا فكر خاص به. و هذا بالضبط مصداق المثل القائل:

إذا المريض قد زادت أطباؤه   فلا برء له يرجى و شفاءُ[١]

و الحق يقال إن هذه السير المختلفة في الظاهر إن لم يتحقّق و يجتهد فيها فالآثار السلبيّة التي ذكرت ستترتّب. فسواء أكان ائمتنا مختلفي الطريقة أم كانوا متحدين لكن يُرى في الظاهر اختلافات، بل حتى لو كان هناك إمام واحد لكن كانت طريقته تختلف في مواطن عدة فإذا لم نستطع إيجاد حل لهذه الإختلافات فإن الهرج و المرج واقع لا محالة.

مثلاً، عندما نراجع سيرة الرسول صلى‌الله عليه و آله نجد أنه عاش فقيراً، كان يأكل خبز الشعير و يلبس المرقّع، و كذلك كان أمير المؤمنين‌عليه‌السلام، و القرآن يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾[٢] فإن مقتضى هذه الآية المباركة أن الناس مدعوون للتأسي بالرسول صلى الله عليه وآله أي أن يعيش الجميع فقراء يأكلون خبز الشعير و يلبسون المرقع، لكن عندما نراجع سيرة الإمام المجتبى أو الإمام الصادق‌عليه‌السلام أو الأمام الرضاعليه‌السلام نلاحظ أنهم لم يعيشوا فقراء بل أكلوا الطعام الجيّد و لبسوا اللباس الجيّد ركبوا المراكب الجيّدة واستفادوا من طيّبات الدنيا. و الإمام الصادق‌عليه‌السلام عند ما ذهب إلى بيت شخص ورأى أن بيته صغير مع توفر المال لديه سأله لماذا لا تهييء لنفسك منزلاً أوسع فقال: هذا البيت لوالدي قد عاش فيه، فقال‌عليه‌السلام ان كان أبوك أحمق فهل ينبغي أن

---

١ ـ المثل في الفارسي:

اگر مريض طبيبش زياد شد   أميد بهبود در او نيست

٢ ـ سورة الأحزاب، الآية ٢١.

تكون مثله و تدفع ضريبة جهالته[١].

هذه الأمور التي في ظاهرها متناقضة، الأمر الذي يمكن أن يعتبر عند البعض نقطة ضعف في التشيّع مع أن الأمر ليس كذلك و من المثال استفيد ان الأمر ليس كذلك بل نقطة القوة عند الشيعة هي في ذلك.

و أقدّم لذلك مقدّمة: إذا كان عندنا إمام معصوم واحد عاش بيننا عشرين او ثلاثين عاماً او عاش ٢٥٠ سنة فمن الطبيعى أنه في الفرض الأول لن تطرأ تحولات وتغييرات و موضوعات مختلفة بمقدار كبير كي يمكننا أن نلاحظ طريقة تعامل ذلك الأمام مع الأشكال و الموضوعات المختلفة بحيث نصبح ماهرين في كيفية مواجهة هذه الدنيا المبتذلة و في كيفية تطبيق قواعد الدين الكلية على الموضوعات المختلفة فإن للدين جهتين بيانية و تطبيقية تماماً كالدروس النظرية و الدروس العملية، فإن الدروس العملية عبارة عن تطبيق النظريات على الموضوعات الجزئية المختلفة. و هذا بخلاف ماإذا عاش بيننا ٢٥٠ سنة فإنه سيواجه كل الحالات و الصور وسيظهر لنا كيفية حلّ تلك القضايا بحيث نصير على معرفة بروح التعاليم الدينية ونتخلّص من الجمود و نتخلّص مما يسيمه اهل المنطق «أخذ ما ليس بعلّة علة» أو «خلط ما بالعرض بما بالذات». مثل ما إذا اقترن شيئان و كان لأحدهما تأثير في حدوث أمر ثالث بحيث لا تأثير للأمر

---

١ ـ هذه الرواية عن أبى الحسن عليه السلام من أنه قال: ان منزلك ضيّق فقال: قد احدث هذه الدار أبى فقال أبو الحسن عليه السلام ان كان أبوك احمق ينبغى أن تكون مثله، فلعل الشهيد الأستاذ قد عثر على رواية تشبهها عن الإمام الصادق عليه السلام. الرواية التي نقلناها موجودة في الكافي ج٦ ص٥٢٥.

المترجم

الآخر المقارن. لكننا قد فرضنا أن «ألف» و «ب» اجتمعا في ظرف و انه يتولد من «ألف» «جيم» فنتخيّل ان السبب ل «جيم» هو «ب» أو أن السبب هو مجموع الألف والباء و الحال انه ليس كذلك فهذا من خلط ما بالذات بما بالعرض.

و لا شكّ أن أئمة الدين عليهم السلام قد عاش كل منهم في زمان و محيط كانت له مقتضياته الخاصة و كان على كل واحد منهم أن يواكب هذه المقتضيات أي أن الدين مرن ويجعل الناس مرتاحين بالنسبة لمقتضيات الزمان. إذن فإن تعدد الأئمة المعصومين أو طول عمر إمام واحد يوفر للإنسان قدرة أكثر على إدراك روح التعاليم الدينية المرتبطة بمقتضيات كل عصر و زمان فيأخذ الروح و يدع الأمور المرتبطة بمقتضيات الزمان فمن الممكن أن يأتي الرسول صلى الله عليه وآله بعمل بحكم أن الدين يقتضي ذلك، و قد يأتى بعمل بحكم مقتضيات الزمان كالمثال اذي قدمناه من ان الرسول صلى الله عليه وآله عاش فقيراً بخلاف الإمام الصادق عليه السلام. و قد جاء في حديث معروف روي في الكافي كما روي في تحف العقول أنه: مرّ سفيان الثورى في المسجد الحرام فرأى أبا عبدالله عليه السلام و عليه ثياب حسنة غالية الثمن فقال: و الله لآتينّه و لأوبّخنّه فدنا منه فقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله و الله ما لبس رسول الله صلّى الله عليه و آله مثل هذا اللباس و لا عليّ و لا أحد من آبائك فقال له أبو عبدالله عليه السلام كان رسول الله صلّى الله عليه و آله في زمان قتر مقتر و كان يأخذ لقتره و إقتاره و إن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها[1] فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا

---

١ ـ يقال أرسلت السماء عزاليها إشارة إلى شدة وقع المطر، و المراد هنا الدنيا قد فتحت باب خيراتها. المترجم

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ ٱلَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ فنحن أحق من أخذ منها ما اعطاه الله، غير أني يا ثوري ما ترى علّي من ثوب انما لبسته للناس ثم اجتذب يد سفيان فجرّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى و أخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً فقال هذا لبسته لنفسي و ما رأيته للناس ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظ خشن و تحته ثوب ليّن فقال لبست هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسرها»[(١)].

فبيّن الإمام عليه السلام لسفيان أنه إذا كان الرسول صلّى الله عليه و آله كذلك فلا يجب أن يكون سائر الناس مثله لأنّ ذلك ليس جزءاً من قوانين الإسلام بل يجب أن يكون عندك تدبّر و قوة نظر بحيث تأخذ ذلك العصر بعين الاعتبار فإن قانون الإسلام هو المواساة و المساواة فلابدّ أن يلحظ ماذا كان عليه أكثر الناس في ذلك الزمان وكيف كانوا يعيشون. طبعاً الحياة كانت مهيّاة للنبي صلى الله عليه وآله بكل أشكالها حيث أنه كان إماماً و قائداً و الناس وضعت أرواحها رهن إشارته. لكن الرسول الاكرم لم يجعل لنفسه ميزة بأي حال من الأحوال مع كون الحالة العامة كذلك. فقانون الإسلام هو المواساة و المساواة و العدل و الإنصاف و سلوك المسلك الملائم حتى لا تتولّد في روح الفقراء عقدة و لا يتألم الصاحب أو الجار الذي يرى أعماله. فلو كانت سعة العيش متوفرة في زمان النبي و هذه الرُّخص موجوده لم يكن

---

١ ـ لم يذكر الأستاذ الشهيد الرواية بنصها بل نقل مضمونها مازجاً له الشرح و قد نقلنا الرواية أولاً ثم نقلنا الشرح، و هي موجودة في الكافي ج٦ ص ٤٤٢ و هناك رواية مثلها تجدها في الكافي.

المترجم

الرسولﷺ ليعيش كذلك، فالناس أحرار في ارتداء هذا اللباس أو ذاك القديم أو الجديد من هذا القماش أو ذاك بهذه الطريقة أم بتلك و الدين لا يعتني بهذه الأشياء و إنما يعتني بالأمور الأساسية (مثل التألّم لآلام الآخرين و المواساة والمساواة والعدل و الإنصاف) ثم يبيّن له الإمامعليه السلام انّك إذ تراني على هذا النحو فإنني ملتفت دائماً إلى حقوق المتعلقة بمالي... إذن لا يوجد بين نهجي و نهج النبي اختلاف أساسي و معنوي.

و قد جاء في الحديث انه حصل جفاف في عصر الإمام الصادقعليه السلام فقال الإمامعليه السلام للناظر على المصاريف: إذهب و بع ما عندنا من قمح مخزون و من الآن نهيّيء خبزنا بشكل يومي من السوق (و خبز السوق كان مركباً من قمح و شعير).

فالإمام لا يقول لك كل خبز القمح أو خبز الشعير أو أخلط القمح بالشعير بل يقول إن سيرتك في الناس يجب أن تكون على أساس الإنصاف و العدالة والإحسان.

فمن خلال اختلاف سيرة الرسول الأكرمﷺ و الإمام الصادقعليه السلام نستطيع أن نصل إلى روح الإسلام، و لو لم يبيّن لنا الإمام الصادقعليه السلام هذا الشقّ من عمل الرسولﷺ المرتبط بمقتضيات عصرهﷺ لحسبناه جزئاً من شرع الإسلام. وَ لَكُنا بضميمة الآية الواردة في سورة الأحزاب رقم ٢١ التي فيها أمر بالتأسي بالنبيّﷺ شكلنا قياساً من كبرى و صغرى و قيّدنا الناس بهذا القيد حتى يوم القيامة لكن بيان الأمام الصادقعليه السلام و توضيحه و اختلاف مسلكهعليه السلام مع مسلك النبيﷺ قد علمنا و اخرجنا من الجمود و اوجد لنا معرفة بالروح و المعنى و من الطبيعي أن الإمام الصادقعليه السلام قد تصدّى للبيان و إلاّ لكان علينا أن نمتلك مقداراً من قوّة

الفكر وقوّة الاجتهاد حتى لا نتوهم التعارض والتناقض والتضاد بينهما.

و هذا الجمود كثيراً ما نلحظه عند الإخباريين[١] إلى درجة أنهم يحرمون التدخين.

و بناء على ما ذكرنا فإن أحد الحلول لما يبدو من فروقات بين السير هو التوجيه على أساس اختلاف مقتضيات الزمان و هو جمع عرفي[٢] ـ على ما هو المصطلح ـ بين السير المختلفة حتى انه يمكن الاستفادة من هذا الطريق لحل ما قد يبدو من تعارض في الاقوال و إن لم يلتفت إليه الفقهاء.

مثال آخر: عرض على الإمام علي عليه السلام حديث «غيّروا الشيب و لا تشبّهوا باليهود».

و قد كان الإمام عليه السلام نفسه غير عامل بهذا الحديث إذ لم يكن يخضب شعره، فقال عليه السلام: ان هذا العمل كان مختصاً بزمان النبي صلى الله عليه وآله. كان تكتيكاً حربياً حتى لا يراهم العدو عجزة و مسنّين، فهي حيلة حربيةِ اعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله أما اليوم «فامرؤ و ما اختار».

فلولا سيرة الإمام علي عليه السلام و لو لم يكن هذا التوضيح لقلنا أن النبي صلى الله عليه وآله أمر

---

١ ـ يقسّم علماء الشيعة إلى إخباريين و أصوليين و الاخباريون يرون أصالة حرمة مشكوك الحليّة بينما الآخرون يرون أصالة الحل و الإباحة، و على هذا الأساس تطرح مسألة التدخين فحيث نشكّ في تحريم الله لها فالأولون يقولون بحرمته. و من العلماء من يرى ان الفروقات بين القسمين أساسية و منهم من يرى عكس ذلك. المترجم

٢ ـ الجمع العرفي اصطلاح أصولي يراد به انه عندما يكون هناك تعارض بين فعل أو قول معصوم مع معصوم آخر أو بين قول معصوم و بين قول آخر و فعل آخر له، فإن أحد طرق حلّ التعارض أن يجمع بالنحو الذي يراه العرف أمراً لا غبار عليه. المترجم

بخضاب اللحى و لكنا إلى يوم القيامة مراقبين للحى الناس خضبوها أم لا؟

إذن فهذا من طرق رفع التناقض. و من الطبيعي انه حل يحتاج إلى إطلاع كامل. و أذكر أن احد العلماء المطلعين، مستقل التفكير في مسألة اخبار التفويض التي كثيراً ما قرعت الأسماع أنه كيف يعطي الله الصلاحيات (مثل صلاحيات وزير العدل) و كان يقول مثلاً[١]...

و يجب التنبه إلى نكتة هي ان هناك مسائل تشكّل روح التعاليم الدينية و هي القوانين الكلية الإلهية و هذه المسائل غير قابلة للتغيير و التبديل و هي ناشئة من المصالح العليا و العامة للبشر، فهي موجودة و ثابتة ما دامت البشرية. و البشر من حيث أنهم بشر عليهم إلتزام تلك التشريعات.

---

١ ـ كذا في كتابة الشهيد.



الفصل الأول

مشاكل الإمام علي عليه السلام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، باريء الخلائق أجمعين والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله وحبيبه وصفيّه وحافظ سرّه، ومبلّغ رسالاته، سيّدنا ونبيّنا ومولانا أبي القاسم محمّد (صلى الله عليه وآله) الطيبين الطاهرين المعصومين.

ومن كلام له عليه السلام: دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد أغامت والمحجّة قد تنكّرت واعلموا أني ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم[1].

نعلم أن علياً عليه السلام لم يكن يأبى طيلة فترة خلافة الخلفاء عن بيان أن الخلافة حق مطلق له ومع ذلك نرى أنه بعد مقتل عثمان إثر الثورة الدموية ضدّه وعندما توافد الناس على بيت عليّ عليه السلام وأحاطوا به وأصرّوا على مبايعته وعلى أن يتولّى زمام الأمور، كان عليه السلام يمانع ويبدي كراهة في قبول الخلافة، والجمل التي نقلناها عن

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم ٩٠.

نهج البلاغة يقول عليه السلام فيها:

دعوني والتمسوا غيري، ثم يبيّن العلّة في إبائه حتى لا يتوهّم أحد ـ والعياذ بالله ـ أنه عليه السلام لا يرى نفسه أهلاً للخلافة والأصلح للحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله، فبيّن أن الأوضاع مضطربة تماماً و أمامنا مستقبل مضطرب مشوّش. ذلك في قوله عليه السلام: «فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان» يعني أننا مقبلون على أمرٍ متشابه ذو وجوه مختلفة وألوان متعددة فليس لدينا مستقبل واضح و بعد ذلك يبيّن الإمام عليه السلام بقوله: «وأن الآفاق قد أغامت» فإن الغيم إذا زاد لا يستطيع الإنسان أن يرى ما أمامه «المحجّة قد تنكّرت» فالجادة الأساسية بدت طريقاً كثير التعرجات وغير واضحة فلا يتمكن الناس من تشخيص تلك الجادة لكن الإمام عليه السلام أتمّ الحجّة في آخر كلامه بقول: «واعلموا اني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم» أي أني إذا تولّيت الخلافة أسير فيكم بما أراه لا بما أنتم تريدون.

ولهذا يذكر في آخر كلامه «إنني لكم وزير خير لكم منّي أمير»

هذا الكلام يشهد أن الإمام عليه السلام يرى المشاكل التي ستعترضه أثناء خلافته وهي تلك المشاكل التي ظهرت فيما بعد. فما هي تلك المشاكل؟

و لن أستطيع أن أشرح كل تلك المشاكل في جلسة واحدة. فبحثي سيكون حول المشكلة الكبرى التي عاناها عليّ عليه السلام وأريد أن أبيّنها أما المشاكل الأخرى فسأشير إليها بنحو إجمالي حتى نصل إلى المشكلة الأهّم والمعضلة الكبرى التي ابتلي بها الإمام عليه السلام.

أ ـ مقتل عثمان

وأول مشكلة لاقاها‏عليه السلام والتي على أساسها قال: «إنّا مستقبلون أمراً ذو وجوه وألوان...» هي مسألة مقتل عثمان.

عليّ‏عليه السلام ورث الخلافة عن خليفة قتله الثائرون عليه الذين لم يجيزوا دفنه وكانت اعتراضاتهم كثيرة. هذه الفئة الثائرة كانت مرتبطة بعليّ‏عليه السلام فما هو رأي الآخرين؟ إذ لم يكن تفكير كل الناس كتفكير الثّوار حتى عليّ‏عليه السلام لم يكن فكره منسجماً لا مع الثّوار ولا مع عامة الناس.

عليّ‏عليه السلام السفير بين الثّوار وعثمان وهي سفارة عجيبة، فإنّ عليّاً‏عليه السلام المخالف لسيرة عثمان مخالف أيضاً لفتح باب قتل الخلفاء، لا يريد للخليفة أن يقتل حتى لا يفتح باب الفتنة على المسلمين وهذا بحدّ ذاته له قصتة الخاصة[١].

عليّ‏عليه السلام كان يعلم أن مقتل عثمان سيكون مسألة (توجب الفتنة) خصوصاً مع الإلتفات الى نكتة عجيبة ـ كشف عنها اليوم علماء الاجتماع والمؤرخون ومحققو تاريخ الإسلام كما كشف عنها‏عليه السلام في نهج البلاغة ـ تلك هي مساهمة بعض حاشية عثمان في قتله، فقد كانوا يريدون له أن يقتل كي يوقظوا الفتنة في دارالإسلام ليستفيدوا من تلوث ماء الورد هذا (وهذا المعنى موجودفي نهج البلاغة).

هذه مشكلة ولا يمكنني أن أبحث فيها أكثر من ذلك.

---

١ ـ الإمام علي‏عليه السلام بحث في مسألة مقتل عثمان في أربعة عشر موضعاً في نهج البلاغة.

ب ـ مشكلة النفاق[١]

يختلف مخالفو عليّ عليه السلام عن مخالفي النبي صلى الله عليه وآله فإن مخالفيه صلى الله عليه وآله كانوا جماعة كافرة وثنية يحاربون الرسول صلى الله عليه وآله تحت شعار الوثنية وكانوا ينكرون الله والتوحيد علناً، حاربوه صلى الله عليه وآله تحت شعار «أعلوا هبل» وكان للنبي صلى الله عليه وآله أيضاً شعاره الواضح «الله أعلى وأجل».

أما الإمام عليّ عليه السلام فقد واجهته طبقة من العلماء الفاسقين تظاهروا بالإسلام وهم في الواقع ليسوا بمسلمين. شعاراتهم شعارات أسلامية لكن أهدافهم خلاف الإسلام. والد معاوية أبوسفيان في ظلّ «أعلوا هبل» حارب النبي صلى الله عليه وآله فكانت حرب النبي صلى الله عليه وآله له سهلة. أما ابن أبي سفيان معاوية فقد عمل بروح والده وسعى نحو ذات الأهداف لكن بشعار قرآني:

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾ وهو شعار راقي.

أفلم يكن هناك شخص ليسأل معاوية أأنت الولي الشرعي لدم عثمان؟ وهل تربطك به قرابة؟ وعلى أي أساس تطالب بدمه؟ فقد كان لعثمان ولد وأقارب وأرحام أقرب منك ثم ما هي علاقة الإمام عليّ عليه السلام بمقتل عثمان؟

إلا أن رجلاً داهية مثل معاوية أنما يطرح ذلك وسيلة ليستفيد منها، وقد كان نشر العيون حول عثمان حتى إذا قتل فليرفعوا فوراً قميصه الملّوث بالدم ويبعثوا

---

١ ـ هذا العنوان غير موجود في الأصل الفارسي وكان مدموجاً مع العنوان السابق لكن ارتأينا فصل العنوان لأن الاستاذ الشهيد فصل بينهما في الحديث و إن كان هناك ربط ما بين العنوانين كما هو واضح.

به إليه، وما كاد عثمان يقتل، وقبل أن يجفّ قميصه الملّوث بالدم أرسلوا القميص مع أصابع[١] زوجة عثمان إلى معاوية. هنا سال لعاب معاوية وأعطى أمره بتعليق الأصابع على المنبر ثم نادى «أيها الناس الظلم عمّ الدنيا والإسلام لا يعمل بـه، هذه أصابع زوجة الخليفة مقطوعة» ثم أمر بوضع القـميص عـلى عـمود خشب طويل وأخذوه الى المسجد أو مكان آخر ثم ذهب بـنفسه إلى حـيث القـميص موجود وأخذ يبكي الخليفة المظلوم وبكته الناس في الشام كما أقيم العزاء فيها مدة من الزمن، فتهيّأ الناس للثأر لعثمان. ممّن نأخذ دم عثمان؟ يجب أخذه من عليّ عليه السلام فعليّ عليه السلام مع الثّوار الذين بايعوه يداً واحـدة وإلّا فـلماذا هـم الآن فـي عسكره.

هذه مشكلة كبيرة اندلعت بسببها حرب الجمل وصفّين. افـتعلها هـؤلاء ذووا النوايا الخبيثة.

ج ـ إصرار حاسم في تطبيق العدالة

لدى عليّ عليه السلام مشكلات أخرى مرتبطة بنهجه من جهة والتغيير الذي طرأ على المسلمين من جهة أخرى، كان عليّ عليه السلام رجلاً غير قابل للتبديل ومرّت سنون بعد النبيّ صلى الله عليه وآله اعتاد فيها المجتمع الإسلامي على تقديم الامتيازات للأفراد ذوي النفوذ وقد أبدى عليه السلام في هذا المجال صلابة عجيبة و كان يقول لست ممن ينحرف عـن

---

١ ـ عندما هجم الثوار يريدون قتل عثمان ألقت بنفسها على بدن عثمان فضرب سيف يـدها عندما أريد ضرب عثمان وقطع اصبع من إصابعها أو أكثر.

العدالة قيد شعرة حتى أن أصحابه عليه السلام كان يطلبون منه شيئاً من المداراة فكان يجيبهم: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور والله ما أطور به ما سمر سمير»[١] أتأمروني أن أحصل على النصر والتوفيق السياسيين بالظلم والتخلّي عن تحصيل الحق للضعفاء فوالله لن أفعل ذلك مااختلف الليل والنهار ومادام الفلك يجري.

د ـ الصراحة والصدق في السياسة

مشكلة الخلافة الثالثة[٢] هي صدقه وصراحته عليه السلام في السياسة الأمر الذي لم يرضَ به عدد من أصحابه، وكانوا يقولون له ان السياسة لا تتوافق مع كل هذه الصراحة بل لابدّ من مزجها بشيء من الخدعة والدهاء وان حلاوة السياسة في الحيلة (وما أعرضه مذكور في نهج البلاغة) بل البعض اتّهم الإمام عليه السلام بأنه لا يملك حسن السياسة فانظروا إلى معاوية كم هو بارع فيها وقد كان عليه السلام يجيب: «والله ما معاوية بأدهىٰ منّي ولكنه يغدر و يفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهىٰ الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» فهو عليه السلام يقسم أنكم مشتبهون فمعاوية ليس أدهىٰ بل هو غادر فاجر وأنا لاأريد الغدر والانحراف عن طريق الحق فأرتكب الفسق والفجور ولولا أن الله تبارك وتعالى يرى الغادر عدواً لرأيتم أن أدهى الناس عليّ. فالغدر فسق وفجور ومثل هذاالفجور كفر وأنا أعلم ان كل غادر خاسر يوم القيامة وله لواء يومها. (والظاهر

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة ١٢٤.

٢ ـ كانت هذه هي المشكلة الثانية بعد أن كان الاستاذ تحدّث عن مشكلة النفاق ومشكلة مقتل عثمان كمشكلة واحدة. (المترجم)

أن المغدور بهم أيضاً يكونون تحت لواء الغادر) . هذه أيضاً مشكلة أخرى لعليّ عليه السلام.

هـ ـ الخوارج: مشكلة عليّ عليه السلام الأساسية

ما سبق كان مقدمة لهذه المشكلة الأساسية التي أريد التعرّض لها وهي انه في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن الأمر مجرّد أن هناك فئة بناها و فئة أخرى انضمت تحت لوائه بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلّم ويفقّة فئة ربّاهم حتى تمكّنت التربية الإسلامية في أرواحهم فقد تحمّل النبي صلى الله عليه وآله طوال مدة ١٣ سنة التي قضاها في مكة أنواع الأذى والآلام من أهل قريش وكان يأمر بالصبر مهما طلب منه أصحابه الإذن في الدفاع متسائلين إلى متى نتحمّل الأذى؟ وإلى متى يأخذنا هؤلاء ويعذبوننا؟ ويضعون الصخور على صدورنا ممددين على رمال الحجاز الحارّة؟ وإلى متى نبقى نُجلَد؟ ومع ذلك لم يكن النبي صلى الله عليه وآله يعطي الإذن بالجهاد والدفاع. وفي النهاية اقتصر صلى الله عليه وآله على الإذن بالهجرة حيث هاجرت جماعة إلى الحبشة وكانت هجرة مثمرة. فماذا كان يفعل النبي صلى الله عليه وآله خلال هذه المدة ١٣ سنة؟ كان يربّى و يعلّم ويحقّق العمق الأساسي للإسلام و تلك الجماعة التي لعلّها بلغت الألف رجل حين الهجرة كانت فئة قد وعت روح الإسلام و تربّى أكثرها بالتربية الإسلامية.

الشرط الأول للنهضة هو وجود جهاز تعليمي تربوي يتشكّل من مجموعة تعلّمت وتربّت و وعت الأصول والأهداف والتكتيك المطلوب وهؤلاء يمكنهم أن يشكّلوا المحور المركزي ثم يصير الآخرون الملتحقون بهم خلايا لهم ويحاولون أن يصيروا مثلهم. وهنا يكمن سرّ الموفقية في الإسلام.

وعليه، فهناك فوارق بين حال عليّ عليه السلام وبين حال النبي صلى الله عليه وآله أحدها ان النبي صلى الله عليه وآله كان يواجه كفاراً أي الكفر الصريح والمشكوف بلا ستار، يواجه كفراً يعلن عن نفسه ويقول أنا الكفر. لكن عليّاً عليه السلام كان يواجه الكفر المستور وهو النفاق، كان يواجه قوماً هدفهم هدف الكفار لكن تحت ستار الإسلام ستار القدس والتقوى، تحت لواء القرآن وظاهر القرآن.

الفرق الثاني انه خلال حكم الخلفاء وبشكل خاص فترة خلافة عثمان لم يثابر على التربية والتعليم بالشكل المطلوب لما ابتدأه الرسول صلى الله عليه وآله فالفتوحات الإسلامية زادت لكنها لوحدها لا تثمر شيئاً. النبي صلى الله عليه وآله بقي ١٣ سنة في مكة ولم يأذن للمسلمين حتى أن يدافعوا عن أنفسهم كأنهم لم يكونوا لائقين به فإذا أريد فتح باب الجهاد والفتوحات فلابدّ أن يكون بشكل يتناسب مع فتح باب الثقافة الإسلامية بحيث إذا تحققت فتوحات جديدة وجب أن يواكبها تحرّك ثقافي واسع للإلتحاق بالإسلام وليعي أولئك الذين جذبهم الإسلام أصول الإسلام وحقائقه وأهدافه ويعوا قشره وعمقه. لكن إهمال ذلك في عصر الخلفاء أدّى إلى إنتشار ظاهرة في المجتمع الإسلامي وهي بروز فئة مرتبطة بالإسلام مؤمنة به لكنها لا تعرف إلا ظاهر الإسلام دون أن تصل إلى عمقه، فئة كان كل جهدها أن تصلّي مثلاً لا أن تتعرّف وتتطلع على الأهداف الإسلامية.

برزت فئة عابدة زاهدة والثفنات على جباههم من كثرة السجود على مدى ساعة أو ساعتين أو خمس ساعات وعلى أكفّهم وأطراف ركبهم من كثرة سجودهم على الأرض ووضع الأيدي والركب على التراب والرمال. وعندما يرسل الإمام عليه السلام ابن عباس إليهم ـ على إثر طغيانهم ـ يعود ليقول: «لهم جباه

قرحة لطول السجود وأيد كثفنات الإبل عليهم قمص مرحّضة. هم مشمِّرون»[1] فهو يبين آثار العبادة والزهد وفوق ذلك استعدادهم وتصميمهم القاطع «الآن إملأ الحوض ماءً».

هذه الفئة فئة العبّاد الجهّال، النُّسّاك الجهال، فئة الجمود المقدّس قد برزت في المجتمع الإسلامي لم تتعرف على التربية الإسلامية وان كانت متعلقة بالإسلام لكنها ملتصقة بقشره التصاقاً محكماً.

ويصف عليّ عليه السلام هذه الفئة بقوله: «جفاة طغام عبيد أقزام، جمعوا من كل أوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي أن يفقه ويؤدب ويعلم ويدرّب...ليسوا من المهاجرين والأنصار ولا من الذين تبوّأوا الدار والإيمان»[2] فهم شعب خشن فظّ غليظ القلب لكن حياتهم حقيرة ليس في روحهم عزّة بل ذلّة وهم أراذل القوم لم يعلم من أين أتوا. أناس جدد عليهم أن يجلسوا على مقاعد الدراسة الأولى ليتعلموا الإسلام، فهم جهال لا علم لهم لا يدرون ما القرآن ولا يفهمون معناه ولا يفهمون سنّة النبي صلى الله عليه وآله، يجب أن يعلّموا ويربّوا إذ لم يحصّلوا التعليم والتربية الإسلامية انهم ليسوا من المهاجرين والأنصار الذين أشرف الرسول صلى الله عليه وآله على تربيتهم فهم يفتقدون التربية الإسلامية.

استلم عليّ عليه السلام الخلافة في ظرف وجدت فيه هذه الفئة في كل مكان حتى ان جيشه عليه السلام يضمّ بعضاً منها وقد رأينا ما حدث في صفّين و خديعة معاوية وعمرو

---

١ ـ العقد الفريد ج ٢ ص ٣٨٩.

٢ ـ نهج البلاغة خطبة ٢٣٦.

بن العاص التي سمعتم بها مراراً. فعندما شعرا باقتراب الهزيمة خططا واستفادا من هذه الفئة فأمرا برفع القرآن على رؤوس الرماح «أيها الناس، نحن جميعاً أهل القرآن، جميعنا أهل القبلة، فلماذا نحارب، وإن أردتم الحرب فهيّا اضربوا هذا القرآن»، إنسحبت هذه الفئة فوراً وقالت: نحن لا نحارب القرآن و جاؤوا إلى عليّ عليه السلام ليقولوا: ان القضية انتهت والقرآن بيننا و حينئذٍ لا معنى للحرب، فقال لهم عليّ: ألا تعلمون أنّني من أول يوم قلت لهؤلاء أن نتحاكم الى القرآن و هو يقضي بيننا لنرَ من هو صاحب الحق. هذه أكاذيب، هؤلاء لم يجعلوا القرآن بيننا بل جعلوا بيننا غلاف القرآن وأوراقه حتى يعودوا من جديد فيما بعد للقيام ضدّ القرآن فلا تهتمّوا بهم وأنا إمامكم أنا القرآن الناطق فاضربوا وتقدّموا. فتعجّبوا من هذا الكلام وقالوا كنّا نعتقد أنك رجل جيّد وكنّا نمدحك فتبيّن أنّك طالب جاه، أتطلب منّا محاربة القرآن، لا، نحن لا نحارب. مالك الأشتر كان منشغلاً بالاقتحام فطلبوا من الإمام عليه السلام أن يأمر مالك الأشتر فوراً بالتراجع وأنه لا حرب بعدُ مع أتباع القرآن وقد أكثروا الضغط حتى أرسل إليه أن يا مالك إرجع فلم يرجع وطلب الإذن بالاستمرار إذ لم يبقَ إلا ساعة أو ساعتين وتتمّ الهزيمة الساحقة لهؤلاء فلمّا رأوا أنه لم يتراجع قالوا إما أن تسحب مالك وإما أن نقطّعك بسيوفنا إرباً إرباً، أنت تقاتل القرآن فأرسل عليه السلام: يا مالك إذا أردت أن ترى علياً حيّاً فارجع.

ثم أتت مسألة الحكمين حيث اتفق على تعيين حكمين (بعد أن صارالقرآن بيننا) . عيّن أولئك الشيطان عمروبن العاص. واقترح عليّ عليه السلام ابن عباس العالم الفطن فرفضوا لأن «ابن عباس هو ابن عمك ومن أقربائك نريد رجلاً ليس من عائلتك» فقال: مالك الأشتر فرفضوا فصار يعدد لهم وهم يرفضون ولم يقبلوا إلا

بأبي موسى الأشعري. ومن هو أبو موسى، هل هو من جيش الإمام عليّ عليه السلام؟ لا بل كان والياً على الكوفة فعزله الإمام عليه السلام فهو رجل يضمر في قلبه عداوة لعليّ عليه السلام أتو بأبي موسى الذي مرّت عليه حيلة عمرو بن العاص، حيلة هي بلعبه أشبه منها بأمر جدّي وقد سمعتم بها مرارا. وعندما أدركوا أنهم خدعوا اعترفوا باشتباههم لكنهم باعترافهم هذا وقعوا في اشتباه آخر إذ لم يعترفوا باشتباههم بالتخلّي عن حرب معاوية وانه كان من المفروض متابعة الحرب وان الحرب لم تكن ضدّ القرآن بل لأجل القرآن، بل زعموا أن ذلك الموقف صحيح، كما أنهم لم يعترفوا باشتباههم في اختيار أبي موسى الأشعري و انه كان ينبغي اختيار ابن عباس أو مالك الأشتر. بل قالوا لقد كفرنا إذ رضينا بمبدأ قبول الحكمين والقرآن يقول: إن الحكم الا لله فالحكم منحصر بالله وليس لأي إنسان حق التحكيم، فأصل تعيين الحكم كفر و شرك، وجميعنا كفر ونحن تبنا «نستغفرالله ربّنا ونتوب إليه» ثم جاؤوا إلى عليّ عليه السلام قائلين له أنت كفرت أيضاً فعليك أن تستغفر (فانظروا ما هي المشكلة هل ان مشكلة عليّ عليه السلام كانت معاوية أم هدا التقديس الجاف، عمروبن العاص هو مشكلة عليّ عليه السلام أم هذا التقديس الجاف) فقال لهم عليه السلام أنتم مخطئون وليس التحكيم كفراً وأنتم لا تفقهون معنى قوله تعالى (ان الحكم إلا لله) فهي تعني أن التشريع هو من الله فقط أو من شخص يأذن له الله بذلك و نحن لم نرد من أحد أن يسنّ قانوناً بل قلنا القانون قانون القرآن وليأت شخصان يحكمان وفق القرآن فإن الله لا يأتي كي يحكم في النزاعات. فقالوا: الكلام ما ذكرنا فقط، فقال لهم عليّ عليه السلام: أنا لا أقرّ بذنب لم أرتكبه، وأي شيء كان على خلاف الشرع لم أقل عنه أنه خلاف الشرع؟ وكيف أكذب على الله والنبي وأقول إن التحكيم مخالف للشريعة وكفر؟ لا ليس كفراً فافعلوا ما تشاؤون.

مسلك عليّ عليه السلام مع الخوارج

افترقوا عن عليّ عليه السلام وصاروا فرقة عرفت باسم الخوارج أي الخارجين على عليّ عليه السلام بدأوا بجرح قلب عليّ عليه السلام ولكن الإمام عليه السلام كان يداريهم قدر الإمكان ما داموا لم يحملوا السلاح حتى انه عليه السلام لم يقطع عنهم رواتبهم من بيت المال و لم يقيّد من حريتهم وكانوا يتجرّأون على عليّ عليه السلام و يهينونه أمام أعين الآخرين وعليّ عليه السلام يبدي الحلم. في يوم كان عليه السلام يتحدّث على المنبر و أحدهم كان يشوّش، وفي يوم آخر كان عليه السلام على المنبر فسأله شخص سؤالاً أجاب عليه السلام عنه بالبداهة جواباً بديعاً تعجّب منه الجميع ولعلّهم كبّروا، وكان أحد الخوارج حاضراً فقال: «قاتله الله كافراً ما أفقهه» فأراد أصحابه عليه السلام أن يضربوا رأسه فقال عليه السلام: دعوه فهو قد شتمني فلكم على أكثر التقادير أن تشتموه، دعوه. كان عليه السلام يصلّي يوماً جماعة عندما كان خليفة المسلمين (فانظروا إلى حلم عليّ عليه السلام) ولم يكونوا يقتدون به وكانوا ينكرون إسلام عليّ عليه السلام ويعتبرونه كافراً ومشركاً، وأثناء قراءته للحمد والسورة قال ابن الكوّاب ـ وهو منهم ـ بصوت عالٍ: اقرأ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] أراد أن يقول: نحن نعلم أنك أول المسلمين إسلاماً ولك سابقة وخدمات ونعرف عبادتك لكنك عندما أشركت فلا أجر لك عند الله أبداً.

كيف تعامل عليه السلام معه؟ عندما شرع الخارجي بتلاوة تلك الآية سكت عليه السلام عن

---

١ ـ سورة الزمر، الآية ٦٥.

القراءة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ﴾[١] وأتم‌عليه‌السلام القراءة عندما انتهى الخارجي من الآية فأعادها الخارجي مرّة وثانية وفي كل مرة كانعليه‌السلام يسكت عن القراءة، ثم كرّر الرجل التلاوة فأكملعليه‌السلام حينئذٍ ولم يعتَنِ به وتلا قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّـذِينَ لَا يُـوقِنُونَ﴾[٢] وأتمّ صلاته.

أصول مذهب الخوارج:

لم يكتفِ الخوارج بذلك المقدار ولو اكتفوا لم يكونوا ليشكلوا تلك المشكلة لعليعليه‌السلام لكنهم رويداً رويداً بدأوا يلتفّون حول بعضهم البعض وشكّلوا حزباً بل فرقة إسلامية (يقال لها إسلامية لكنهم في الواقع ليسوا بمسلمين بل هم في نظرنا كفّار) وأبدعوا مذهباً في العالم الإسلامي جعلوا له أصولاً وفروعاً وقالوا: على من يكون منّا أن يعتقد كفر عثمان وعليّ ومعاوية وكل الذين سلّموا بالتحكيم نحن كنّا كفاراً وتبنا والمسلم منهم هو من تاب.

وقالوا: ليس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي شرط ويجب القيام ضد كل إمام جائر مهما كانت الظروف وان كنّا على يقين بأن القيام غير مفيد. وهذا الأمر أعطاهم سمة جافّة عجيبة.

أصل آخر أصّلوه لمذهبهم يكشف أيضاً عن ضيق أفقهم وجهلهم هو ان العمل

---

١ ـ سورة الأعراف الآية ٦٥.

٢ ـ سورة الروم الآية ٦.

جزء الإيمان ولا إيمان بلا عمل، فالمسلم لا يكون مسلماً بمجرّد ان ينطق بالشهادتين، بل المسلم إذا صلّى وصام ولم يشرب الخمر وترك القمار ولم يكذب واتقى كل كبيرة فهو في أول درجات إسلامه، والمسلم إذا كذب كافر نجس وليس مسلماً وإذا استغاب مرّة أو شرب الخمر فقد خرج عن دين الإسلام فاعتقدوا أن مرتكب الكبيرة ليس مسلماً والنتيجة هي أنهم هم وحدهم العبّاد المسلمون في الدنيا (ان هو إلا قول يقولونه) فلا يوجد تحت ظلّ السماء مسلمون غيرهم، وغير ذلك من الأصول التي اخترعوها لأنفسهم، وحيث أن من أصولهم ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب غير مشروط بأي شرط وأنه يجب الوقوف بوجه كل إمام ظالم وحيث ان علياً عليه السلام عندهم من الكفّار، فقالوا: انه لم يبقَ إلّا الثورة على عليّ عليه السلام فنصبوا خيمة خارج المدينة وأعلنوا التمرّد. وفي تمرّدهم كانوا يعتمدون أسساً جافة خشنة فكانوا يقولون: الآخرون ليسوا بمسلمين فإذن لا يمكننا الزواج منهم ولا تزويج نسائنا لهم وذبائحهم ـ أي اللحم الذي يكون من ذبيحة أولئك ـ حرام فليس لنا أن نشتري من قصّابيهم وفوق ذلك قتل نسائهم وأطفالهم جائز. وحيث ان الناس عندهم يجوز قتلهم بدأوا بالإغارة خارج المدينة والقتل فأوجدوا وضعاً عجيباً، والتقوا يوماً بأحد أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يمرّ هو وزوجته الحامل فطلبوا منه البراءة من عليّ عليه السلام فلم يفعل فقتلوه وبقروا بطن زوجته واعتبروهم كفاراً. وهؤلاء أنفسهم مرّوا ببستان نخل يعتقدون حرمة مال صاحبه فمدّ أحدهم يده وأكل تمراً فأرعبوه رعباً لا يعلم إلّا الله حدّه قائلين له أتتعدّى على مال أخيك المسلم.

ردّة فعل عليّ(ع) مع الخوارج:

وصل بهم الأمر أن عليّاً(ع) رش الطحين أمامهم فلا مجال بعد لتركهم أحراراً فأرسل إليهم ابن عباس يحدّثهم فعاد يقول: رأيت جباهاً ذات ثفنات من كثرة السجود وأيدٍ كثفنات الإبل وعليهم قمصان قديمة زهيدة وهم مشمّرون فلم يحقق ابن عباس تقدماً. فذهب(ع) بنفسه إليهم وخطب فيهم وكان من تأثيره عليهم أن خجل ٨ آلاف وانسحبوا من ١٢ ألفاً ورفع عليّ(ع) لواءً سمّاه لواء الأمان فمن استظلّ به فهو في أمان فاستظلّ به ال٨ آلاف و بقي أربعة آلاف على إصرارهم فأعمل(ع) السيف فيهم، في هؤلاء النساك ذوي الثفنات على الجباه و قطع رقابهم ما عدا عشرة أشخاص استطاعوا الفرار أحدهم عبد الرحمن بن ملجم هذا العابد!.

يقول عليّ(ع) في نهج البلاغة (وعلي وجود عجيب وهنا تظهر عظمته(ع) «أنا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كلبها»[١] أي فتنة هذا التعبد الجاف لأن هذه الفئة المسماة بالعابدة لا يمكن أن

---

١ ـ نهج البلاغة ـ خطبة ٩٢.

يعنى بعد أن صارت الأوضاع موجبة للشكّ والترديد والشبهة حتى ان ابن عباس عندما ذهب ورأى حصل عنده الشك وصار الفضاء ضبابياً ملوثاً وهو(ع) نفسه ذكر ان الأفق قد ملأه الضباب والوضوح لم يكن يسمح لجندي مسلم أن يحارب باسم الإسلام أو أن يذهب للحرب وهو مطمئن بأنه يعمل لمصلحة الإسلام عندما يواجه جمعاً يراهم أكثر عبادة وزهداً منه وأقل ارتكاباً للذنب أكثر منه صلاة وآثار العبادة ظاهرة على الوجوه فكانت اليد ترتجف إذا شهر السيف والقلب يتزلزل ان كيف يشهر السيف على هؤلاء فلولا عليّ(ع) وأتباع عليّ(ع) ولو لا يكونوا مطمئنين بعلي(ع) لكان شهر السيف على أولئك محالاً. فالأوضاع كثيرة الشبهات عظيمة ولهم الحق في ذلك ولو كنّا نحن وإياكم مكانهم لم تكن يدنا لتتحرّك إلى تلك الناحية.

يقتلهم إلا أحد فريقين: أحدهما فريق لا يعتقد بالله والإسلام كأصحاب يزيد الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام. أما أن يتجرّأ أحد من المسلمين للوقوف بوجههم أو ينطق بكلمة ضدّهم فهذا كمصارعة الأسد ليس بمقدور أي كان ويحتاج إلى بصيرة كبصيرة عليّ عليه السلام الذي أحسّ بخطرهم على المجتمع الإسلامي (حيث سنعرض ذلك الإحساس الذي شعر به عليه السلام ونستنبطه من كلامه عليه السلام) فهؤلاء من جهة يذكرون الله و يقرأون القرآن ومن جهة أخرى يضربهم عليه السلام بالسيف. يقمعهم ويقتلعهم. هذا يحتاج إلى بصيرة كبصيرة عليّ عليه السلام فقد قال عليه السلام: «ولم يكن ليجترىء عليها أحد غيري» فلم يكن لأحد من المسلمين وان كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مثل هذه الجرأة بأن يشهر السيف عليهم لكنني شهرته وأفتخر بذلك. ثم يقول عليه السلام «بعد أن ماج غيهبها» أي فقأت عين هذه الفتنة بعد أن كانت في ظلمات تموج موجاً عالياً مظلماً. «واشتدّ كلبها» وهذه جملة رائعة فالكلب عندما يكلب أي يجن (باصطلاح العامة) يمرض مرضاً خاصاً وتنتقل جرثومة هذا المرض إذا عضّ إنساناً أو حيواناً عبرلعابه وتدخل في دم المعضوض و بعد مدة يصير هو أيضاً كلباً مثلاً إذا عضّ هذا الكلب حصاناً فإنه سيصير كلباً بعد مدة وكذلك الإنسان. يقول عليّ عليه السلام ان هؤلاء المتعبدين ظهروا ككلاب كلبة فبأيّ شخص يتصلون يصير مثلهم وكما ان الناس إذا رأت كلباً كلِباً يرى كل شخص ان له الحق في إعدام ذلك الكلب حتى لا يعض فيسري المرض إلى غيره، وأنا رأيت هذه الكلاب الكَلِبة ولم أجد حيلة إلا القضاء عليهم وان لم أفعل فلن يمضي وقت إلا وهذا الداء قد سرى في المجتمع الإسلامي فيغرق في الجمود والقشريات والتحجّر والجهل والحماقة فرأيت ان الإسلام في خطر، فأنا الذي فقأت عين هذه

الفتنة التي لم يكن ليتجرّأ على ذلك أحد غيري بعد أن ماجت الظلمات وارتقت الشبهات والشكوك حولهم واستكلبوا والسراية تزيد يوماً ـ بعد يوم إلى الآخرين.

خصوصيات الخوارج:

للخوارج خصائص. فمنها: الشجاعة الزائدة والتضحية فقد كانوا مبدئيين يضحّون تضحية عجيبة وتحكى القصص عن تضحياتهم.

الخاصية الثانية: انهم كانوا عباداً عبادة زائدة وهذا هو الشيء الذي أوقع وزاد في إيقاع الناس في الشك والشبهة حيث يقول علي عليه السلام لا جرأة لأحد غيري على قتل هؤلاء.

الخاصية الثالثة: تلك الجهالة وذلك الجهل الزائد الذي كان يحوطهم نسأل الله الأمان منه ومما جرى على الإسلام جراء هذه الجهالة والجهل.

نهج البلاغة كتاب بديع من كل الجهات فتوحيده بديع، مواعظه بديعة، أدعيته وعبادته بديعة والتحليل التاريخي لزمان عليّ عليه السلام بديع. عليّ عليه السلام يحلّل ويحلّل أمر معاوية وعثمان والخوارج وسائر ما جرى في أيامه تحليلاً عجيباً.

فمن كلام لعليّ عليه السلام عن الخوارج:

«ثم أنتم شرار الناس»[1] يخاطب هؤلاء النّساك بذلك لِمَ؟ فلو كنّا نحن لتساءلنا مهما كان الأمر فهؤلاء غير مضرّين بل لا بأس بهم. فإننا نصف أمثال

---

١ ـ نهج البلاغة.

هؤلاء بالحسنى لكن أتعلمون لماذا يخاطبهم عليّ عليه السلام بـ«أنتم شرار الناس» يبيّن ذلك بالعبارة التالية «ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه». فسبب كونكم شرار الناس أنكم سهام في أيدي الشيطان، قد جعلكم الشيطان أسهماً يضعها في قوسه يضرب بها هدفه. فعليّ عليه السلام يقول: أنتم وسائل قاطعة جداً بيد الشيطان. ويلتفت إلى أمر وهو أنه في زمان عليّ عليه السلام وجدت فئة منافقة كعمرو بن العاص ومعاوية كانا عالمين ويعرفان الواقع حقاً، واللهِ يعرفون عليّاً أكثر من غيره وهذا أمر يشهد به التاريخ من أن معاوية كان محباً لعليّ ويحاربه (ولا يُغفل عن طلب الدنيا والحرص والعقدة النفسية) ويدل على ما ذكرنا أنه بعد استشهاد عليّ عليه السلام كان يسأل معاوية كل شخص كان مقرباً لعليّ ممن كان يأتي إليه ويطلب منه أن يصف عليّاً عليه السلام وعندما كانوا يصفون علياً كانت دموع معاوية تجري ويقول: هيهات أن يأتي الزمان بمثل عليّ عليه السلام كان هناك أناس كعمرو بن العاص ومعاوية يعرفون علياً ويعرفون حكم علي عليه السلام وأهدافه لكن طلب الدنيا لم يكن ليريحهم. هذه الفئة المنافقة كانت تستغلّ هذا التعبّد الجاف وتستخدمهم أسهماً يضربون بها أهدافهم وهذا أمر قد تكرر دائماً.

هذه المشكلة الكبرى التي اعترضت علياً عليه السلام نراها موجودة دائماً في الدنيا فدائماً هناك منافق، الآن يوجد ـ والله ـ معاوية وعمرو بن العاص لكن بألسنة مختلفة ودائماً يوجد أمثال ابن ملجم وأهل العبادة الجافة والسهام التي هي آلات في يد الشيطان. وهناك دائماً استعدادات للوقوع في الخديعة واطلاق التهم بحيث أن مثل عليّ عليه السلام يقال عنه كافر ومشرك.

أحدهم وصف ابن سينا بأنه كافر:[١]

وابن سينا أنشد هذه الرباعية:

ليس تكفيري بسهل أو جزاف ... ولا إيمان أقوى من إيماني.

في الدهر واحد مثلي وهو كافر ... إذن فليس في الدهر مسلم[٢]

وما دام الإسلام يمتلك عالماً عظيماً فسيقال لهذا العالم من قبل المتعبدين الجافين هذا ليس مسلماً بل هو كافر، ليس شيعياً أو يقال مثلاً من أعداء عليّ عليه السلام ولأنقل لكم قصة حتى تنتبهوا أيها المسلمون ولا تكونوا من خوارج النهروان وسهام الشيطان.

اتصل بي يوماً أحد الأصدقاء تليفونياً ليقول لي: إني متعجب جداً إذ سمعت بأمر عجيب أيها الشيخ: ان إقبال الباكستاني الذي احتفيتم به وأقمتم له ذكرى يقال انه في كتابه أهان الإمام الصادق عليه السلام.

قلت له: ما هذا الكلام؟ فقال راجع الصفحة الفلانية من الكتاب الفلاني: قلت له: أأنت رأيت هذا؟ قال: لا لكن شخصاً محترماً جداً أخبرني بذلك. فتعجبت إذ أن بعض إخواني مثل السيّد سعيدي كان قد قرأ ديوان إقبال من أوله إلى آخره ولم ير

---

١ ـ دائماً عندما يقابل الجهال وعديمي المعرفة العلماء ذوي القدرات والآداب ويرون احترام المجتمع لهم لا يدرون ماذا يفعلون ولا يملكون الوسائل فإن آثار العلم واضحة وإذا نفوا عنهم الأدب فالأدب فيهم متجلّي أو ان نفوا عنهم العقل فهم يرون عقولهم فلا يملكون إلا أن يقولوا هذا كافر هذا ليس مسلماً.

٢ ـ

كفر جو منى گزاف و آسان نبود ... محكمتر از ايمان من ايمان نبود

در دهر جو من يكى و آن هم كافر ... بس در همه دهر يك مسلمان نبود

فيه مثل هذا الشيء فقلت له: أولاً المسألة ليست مجرّد ذكرى وتجليل بل كان وسيلة لهدف، فنحن لم نحتفل بشخص إقبال.

إقبال جعلناه نصب أعيننا من أجل مجموعة من الأهداف الإسلامية فإن لم تكن حاضراً فسوف ترى ذلك في الكتاب الذي سينشر.

ثم اتصلت فوراً بالسيد غلام رضا سعيدي وسألته عن الأمر فنفى وجود مثل هذا الشيء، فقلت: لا يمكن لهذه الكذبة بهذه الضخامة أن تكون بلا أصل. بعد ساعة أو ساعتين تذكّر شيئاً فقال: فهمت الآن ما هي القصة المسألة أنه عندما احتلّ الإنكليز الهند وثار عليهم المسلمون كان هناك شخصان اسم أحدهما جعفر واسم الآخر صادق كانا عميلين للإنكليز، طعنا النهضة الإسلامية بخنجر في ظهرها وإقبال ذمّ هذين الرجلين في كتابه وأعتقد ان التوهّم آتٍ من هنا. قلت لنرى. أتيت بالكتاب ونظرت في الصفحة التي أشار إليها الأول فرأيت فيه قول إقبال: «حيثما يوجد خراب في هذه الدنيا فهناك صادق و جعفر» وقبل صفحتين يقول:

جعفر من بنغال وصادق من دكن   عار الدين عار العالم عار الوطن[1]

فهو إذن يتحدّث عن جعفر البنغالي و صادق الدكني ثم تحققت من المسألة تاريخياً فعلمت انه عندما احتلّ الإنكليز الهند كان من قياديي النهضة ضدّ الإنكليز رجلان شيعيان إسم أحدهما سراج الدين والآخر طيفو سلطان (والظاهر ان سراج

١ـ

جعفر از بنگال و صادق از دكن   ننگ دين ننگ جهان ننگ وطن

الدين في جنوب الهند وطيفو سلطان في شمالها) (وإقبال يحترمهما) فأتى الإنكليز وزرعوا جعفراً في تشكيلة سراج الدين وكان شريكاً في قطع الطريق ورفيق القافلة وزرعوا في تشكيلة طيفوا سلطان صادق الذي صار أيضاً شريكاً في قطع الطريق ورفيق القافلة. وقد طعن هذان الشخصان الثورة من الخلف فنتج عن ذلكأن تمكّن الإنكليزمن استعمار الهند مدة ٣٠٠ سنة. وهذان الشخصان يعتبران عند الشيعة من الخائنين كما ان الأمر كذلك عند السنّي الهندي والباكستاني فكانا من المذمومين المنفور منهما وصارا رمزاً للخيانة، أما سراج الدين وطيفو سلطان فقد كانا محترمين عند الشيعة لأنهما شيعيان بطلان وكانا محترمين عند السنّة لكونهما من أبطال المسلمين وكانا كذلك محترمين عند الهنود لأنهما بطلان وطنيان.

ولم تمضِ ثلاثة اشهر على انعقاد مجلس الذكرى حتى كنت أسأل كل يوم هل ان إقبال الذي تقرأ أشعاره في مدح الإمام الحسين(ع) قد أهان الإمام الصادق(ع)؟ والذي يثير الضحك في المحافل العامة ويؤلمني أن هذه القضية قد اشتهرت في المحافل غير الإسلامية من أن إقبال الباكستاني أهان جعفر البنغالي وصادق الدكني والمسلمون يجلسون و يقولون أن إقبالاً شتم الإمام الصادق. فانظروا إلى عقول المسلمين. وقد كنا نخجل ونحن نواجه هذه المحافل حيث يقولون انظروا إلى ضيق الأفق في فكر المسلمين و إلى أي حدّهو منحطّ.

عندما كان رسول عليّ(ع) في الشام وقد دعا معاوية إلى إقامة صلاة الجمعة يوم الأربعاء وأمر بإعلان ذلك. صلّى الجمعة يوم الاربعاء ولم يعترض أحد فطلب معاوية ممثل عليّ(ع) سراً وقال له: إذهب إليه وقل له إني آتيك بمئة ألف ضارب

سيف لا يميزون بين يوم الجمعة و يوم الأربعاء.

حسينية الإرشاد تعتبر اليوم مذنبة لأنه قد بحث فيها يوماً عن الفلسطينيين وطلب من الناس مساعدة الفلسطينيين فأخذت جماعة من اليهود من جواسيس إسرائيل وما أكثر هم في هذا البلد وللأسف فإن كثيراً من مسلمينا من جواسيسها، أخذت على نفسها أنه سيأتي يوم يثيرون فيه إشاعة على حسينية الإرشاد[١].

أنا لا أريد إلا شيئاً واحداً هو أن افتحوا أعينكم واعلموا أن اليهود في هذه البلاد و جميع البلاد الإسلامية كُثر وأعين هؤلاء و أموالهم في عمل مستمر فلا تكونوا من خوارج النهروان. فإلى متى يضرب الإسلام باسم الإسلام وان لم نتّعظ من هذه الدروس فمن أي شيء سنتّعظ؟ ولماذا نجتمع كل سنة ونقيم المجلس باسم عليّ عليه السلام؟ لأن حياة عليّ عليه السلام مدرسة. وأحد دروسها المبارزة مع الخوارج ومجاهدة المتعبدين الجامدين ومحاربة النفاق والجهالة. عليّ عليه السلام لا يريد شيعياً جاهلاً. عليّ عليه السلام لا يريد شيعة يتأثرون بما يسعى إليه المحتالون واليهود و بكل جهد من بث الإشاعات و يقولون أن إقبال الباكستاني قد أهان الإمام الصادق عليه السلام فتسري بين الناس كالبرق أن إقبال الباكستاني ـ والعياذ بالله ـ ناصبي ـ هذا الرجل المخلص لأهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، من دون نظر في كتابه أو مراجعة لتاريخة على الأقلّ من سفارة باكستان أو من أي مكان آخر.

لا يريد عليّ عليه السلام هكذا شيعة بل ينفر منهم. إفتحوا أعينكم وافتحوا آذانكم فلا تقولوا بمجرد أن تسمعوا شيئاً يقال كذا. فهذه ال «يقال» قد يكون مصدرها ومنبعها

---

١ ـ معلوم أن هذه المحاضرة ألقاها الأستاذ الشهيد قبل استقالته من إدارة هذه المؤسسة.

أمكنة خطرة بل حقّقوا وبعد التحقيق فما شئتم بينكم وبين الله ان تقولوه فقولوه لكن لا تنطقوا بلا تحقيق.

عبد الرحمن بن ملجم يأتي و يقتل علياًعليه السلام فانظرواكم صفّق له أحد الخوارج وأنشد له رباعية أول أبياتها:

يا ضربةً من تقي ماأراد بها　　　الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

ثم يقول لو وزنت أعمال العباد مع ضربة ابن ملجم لرجح عمل ابن ملجم هذا ما يفعله الجهل بالإسلام والمسلمين.

استشهاد عليّعليه السلام:

ابن ملجم هو أحد الزهّاد التسعة ذوي العبادة الجافة الذين عقدوا الإتفاقية المعروفة في مكة يقررون فيها أن منشأ كل الفتن التي حدثت في المجتمع الإسلامي من أشخاص ثلاثة عليّ و معاوية و عمرو بن العاص ويعيّن ابن ملجم لقتل عليّعليه السلام والموعد ليلة التاسع عشر من شهر رمضان.

لماذا اختاروا هذه الليلة؛ يقول ابن أبي الحديد: أنظر للجهل فقد اختاروا ليلة التاسع من شهر رمضان، بادّعائهم ان عملنا عبادة كبرى وسيكون الثواب أعظم لو أتينا به في ليلة القدر.

قدم ابن ملجم إلى الكوفة وبقي منتظراً الليلة الموعودة. في هذه الأثناء يتعرف على فتاة خارجية إسمها قطام فيعشقها و يتيّم بها إلى حدّ ينسى ما كان يراود ذهنه من أفكار ثم يذهب طالباً منها الزواج حينئذٍ تعلن له الموافقة بمهر عظيم ومن حبه لها يقول: حاضر لكل ما تطلبين. قالت: ثلاثة آلاف درهم فيقول لها: لا بأس

قالت: وعبد، قال: نعم. قالت: وجارية قال: نعم قالت: و قتل عليّ بن أبي طالب طلبت ذلك و هو الذي تصوّر نفسه انه في منحى معاكس لمسألة قتل عليّ عليه السلام فارتجف وقال: نحن نريد الزواج حتى نعيش سعداء و قتل عليّ لا يبقي لنا مجالاً للزواج والحياة، قالت هذا طلبي فإن أردت وصالي فعليك بقتل عليّ فإن بقيت حيّاً تحقق الوصال وإلا فلا شيء. فكّر في الأمر مدّة وأنشد هذين البيتين :

ثلاثة آلاف و عبد وقينه ... وقتل عليّ بالحسام المسمَّم

ولا مهر أعلى من علي وان علا ... ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

يقول: أنها طلبت هذه الأمور مهراً لها ثم يقول: وليس في الدنيا مهربهذا العلوّ وقد صدق في ذلك، يقول: أي مهر مهما علت قيمته فهو ليس يصل إلى عليّ، مهر امرأتي دم عليّ، ثم يقول: وليس في العالم فتك وحتى يوم القيامة كفتك ابن ملجم وقد صدق.

انظروا ماذا أوصى عليّ عليه السلام حينذاك؟ عليّ عليه السلام وهو مشرف على الموت وهناك أمران يتركهما خلفه أحدهما معاوية والقاسطين المنافقين الذين ترأسهم معاوية والآخر أمر أهل العبادة الجافين وهما أمران بحدّ ذاتهما متضاربان فماذا يعمل أصحاب عليّ عليه السلام بعده؟ فقال: «لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»[١]. صحيح ان الخوارج قتلوني لكن لا تقتلوهم من بعدي لأن قتلهم من بعدي سيكون لصالح معاوية لا لصالح الحق وخطر معاوية أشدّ من خطرهم وهؤلاء حمقى عديمي المعرفة أما هو فمن أول

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٦٠.

الأمر كان يسعى للباطل وإلى باطله وصل.

عليّ عليه السلام ليس في قلبه ضغينة على أحد، دائماً يتكلّم ضمن أسس، ابن ملجم الذي أخذ وأسر، جاؤوا به إلى المولى عليّ عليه السلام فحدّثه عليه السلام بصوت خافت من أثر الضربة وقال له: لماذا فعلت ذلك؟ وهل كنت إماماً سيئاً لك؟ (ولست أدري أن الإمام عليه السلام هل نطق بذلك مرة أو مرتين أو أكثر لكن الذي نقل أنه قال له ذلك) فكأن ابن ملجم تأثّر بكلامه وبروحيّة عليّ عليه السلام فقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي ٱلنَّارِ﴾[1]، قد كنت سيّء الحظ إذ قمت بهذا العمل. وذكروا ان علياً عليه السلام حدّث ابن ملجم مرّة أخرى فأجابه بفظاظة قائلاً: يا علي قد عاهدت الله أن يُقْتَلَ بهذا السيف الذي اشتريته شرّ خلق الله ولطالما كنت أدعو ربّي بذلك، فقال له عليه السلام: قد استجيب دعاؤك لأنّك ستُقْتَل بهذا السيف.

رحل عليّ عليه السلام من هذه المدينة الكبيرة (الكوفة) وكانت الناس ـ ما عدا الخوارج ـ تتمنّى المشاركة في تشييع عليّ عليه السلام والبكاء والنحيب عليه.

وفي ليلة الحادي والعشرين والناس لا تدري ماذا يجري على عليّ عليه السلام ارتحل عليه السلام بعد انتصاف الليل وما كاد عليه السلام يمضي من الدنيا حتى تولّى أبناء عليّ عليه السلام الإمام الحسن والإمام الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية و أبوالفضل العبّاس و بعض خواص الشيعة الذين لم يتجاوزوا الستّة أو السبعة أشخاص، تولّوا في تلك الليلة غسل عليّ عليه السلام و تكفينه و دفنه سرّاً في مكان يظهر ان الإمام عليه السلام كان قد عيّنه لهم ولم يعلموا أحداً بذلك. والروايات تقول ان مكان دفن عليّ عليه السلام قد دفن فيه بعض

---

١ ـ سورة الزمر الآية ١٩.

الأنبياء العظام. ثم أخفوا محلّ القبر.

علم الناس في صبيحة اليوم التالي ان علياً عليه السلام قد دفن في الليلة السابقة سألوا عن محلّ الدفن فلم يرشدوهم إليه، بل كتب البعض ان الإمام الحسين عليه السلام قد ذهب إلى المدينة موحياً بأنه يأخذ الجنازة، حتى يظن الناس ان علياً عليه السلام دفن في المدينة.

لماذا هذا التكتّم؟ السبب هو هؤلاء الخوارج فإنهم لو علموا مدفن عليّ عليه السلام لتجرأوا عليه ولنبشوا قبره ولأخرجوا جسم عليّ عليه السلام المقدّس. فمادام في الدنيا خوارج يحكمون يبقى محل الدفن مخفياً على غير أبناء عليّ عليه السلام وأبناء ابنائه من الأئمة الطاهرين عليهم السلام حتى مضت ١٠٠ سنة تقريباً وانقرض الخوارج وسقط الأمويون و جاء عصر العباسيين فلم يكن محذوراً الاعلان عن مرقد عليّ عليه السلام فكشف عنه الإمام الصادق عليه السلام لأول مرّة.

يقول صفوان ـ الذي يذكر اسمه في سند الدعاء الذي يقرأ بعد زيارة عاشوراء ـ كنت في خدمة الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة فأخذني إلى قبر عليّ عليه السلام وأرشدني إليه و أمر عليه السلام ـ والظاهر أنه لأول مرّة ـ أن تنصب خيمة على مرقده الشريف و من ذلك الوقت عرف قبر عليّ عليه السلام.

فالمشكلة الكبرى التي لاقاها عليّ عليه السلام لم تكن مختصة بحال حياته بل استمرت حتى مئة سنة من وفاته عليه السلام إذ بقي المرقد مخفياً خوفاً من هؤلاء.

السلام عليك يا أبا الحسن السلام عليك يا أمير المؤمنين فكم ظُـلِمتَ أنت وأولادك؟ أنا لست أدري من هو أشدّ مظلوميّة أأميرالمؤمنين عليه السلام أم إبنه أبو عبدالله الحسين عليه السلام؟ فكما انّ جسم علي عليه السلام لم يكن ليسلم من شرّ العدى فإن بدن ابنه

العزيز الحسينعليه السلام لم يسلم من شرّ العدى ولعله لهذا يقال: «لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»

الإمام الحسنعليه السلام أخفى بدن عليّعليه السلام، لماذا؟ حتى لا تحصل الجرأة والجسارة على بدن عليّعليه السلام أما في كربلاء فالأمر مختلف والفرصة لم تسنح لزين العابدين كي يخفي بدن الحسينعليه السلام فور استشهادهعليه السلام وكانت النتيجة أن حصل ما أودّ ذكره.

يقول الشاعر:

ما الحاجة للباس القديم وهو تـحت الحـافر

لم يـــبق بـــدن لكـــي تستره الثـياب[1]

---

١ ـ

لباس كهنه چـه حـاجت | كـه زيـر سـمن مسـتور
تــنى نـماند كـه بـوشند | جــامه بــر بــدنش

الفصل الثاني

صلح الإمام الحسن عليه السلام

الجلسة الأولىٰ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يقع صلح الإمام الحسن عليه السلام مورد تساؤل[1] في القديم وفي الأزمنة اللاحقة وبشكل خاص في زماننا نحن، أنه كيف حدث أن صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية ويقوى التساؤل إذا أجريت مقارنة مع حرب الحسين عليه السلام ليزيد وعدم استسلامه له ولابن زياد.

وفي اعتقادي ان الذين لا يدقّقون في عمق المطلب يرون هذين النهجين متناقضين ومن هنا ذكر البعض أن روحية الإمام الحسن عليه السلام تختلف عن روحية الإمام الحسين عليه السلام وأن الحسن بطبعه طالب للصلح بخلاف الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رجل حرب وثورة.

بحثنا الآن في أن صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية وعدم استعداد الإمام

---

١ ـ فقد كان الصلح في زمان الإمام الحسن عليه السلام مورد اعتراض، كما كان كذلك في زمان الأئمة الآخرين عليهم السلام.

الحسين عليه السلام بأي وجه من الوجوه للصلح هل هما ناشئان من روحيتين مختلفين بحيث لو فرضنا أن الإمام الحسين عليه السلام كان مكان الإمام الحسن عليه السلام لكان الأمر مختلفاً ولحارب الإمام الحسين عليه السلام حتى آخر قطرة دم و كذا لو فرضنا الإمام الحسن عليه السلام كان في موقع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء فلم تكن الحرب لتقع ولاختلفت النتيجة، أم ان اختلافهما عليهما السلام ناشىء من اختلاف الظروف فكانت تقتضي في زمن الإمام الحسن عليه السلام شيئاً وفي عصر الإمام الحسين عليه السلام تقتضي شيئاً آخر.

وحتى نبحث في الظروف المختلفة بينهما عليهما السلام لابدّ من بحث أمرمهم فالباحثون اقتصروا في بحثهم هذا الموضوع على أن ظرف الإمام الحسن عليه السلام كان مغايراً لظرف الإمام الحسين عليه السلام وتقدير المصلحة في عصر الإمام الحسن عليه السلام كان يقتضي هذا وتقديرها في عصر الإمام الحسين عليه السلام كان يقتضي ذاك. وهذا أمر نحن نقبله وسنبحث فيه لكن هنا أمر لا بد من بحثه وهو بحث أساسي يتعلق برأي الإسلام وتشريعه في الجهاد و حيث أن صلح الإمام الحسن عليه السلام و عدم صلح الإمام الحسين و حربه عليه السلام مرتبطان بباب الجهاد فعلينا إذن أن نبيّن قواعد الإسلام في هذاالباب ولم أجد من تعرّض لهذا البحث فيمن تطرّق لمسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام. ثم بعد ذلك نعود لمسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام لنرى على أي أساس كان. وما هو الأساس الذي جعل الإمام الحسين عليه السلام يحارب.

النبيّ والصلح

ثم إننا سنرى أن مسألة لا تختصّ بصلح الإمام الحسن عليه السلام فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

نفسه قد سلك سبيلاً سليماً في السنين الأولى للبعثة وطوال مدة وجوده ﷺ في مكة بل حتى السنة الثانية من هجرته إلى المدينة مع ماكان يراه من المشركين من ضيق وألم وأذى حتى ان كثيراً من المسلمين مات تحت الضرب بالسوط وقد كان المسلمون يطالبون بالاإذن بالجهاد و يعتبرون أنهم و صلوا إلى الحدّ الأقصى وكانوا يتساءلون عن وضعهم إذا ساء الأمر أكثر و لم يكن يعط لهم الإذن وأقصى ماأعطي لهم الإذن بالهجرة الى الحبشة. وعندما هاجر النبي الأكرم ﷺ من مكة إلى المدينة نزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١] وجاء الإذن بالجهاد للذين أصابهم الظلم و تعرضوا للضرب.

هل الإسلام دين الحرب أم دين صلح؟ فإن كان دين الصلح فعليه أن يبقى كذلك إلى الأبد و قد قيل ان الحرب ليس عمل الدين أصلاً ، الدين إنما عمله الدعوة فإن حقّق شيئاً على هذا الصعيد فبه وإلا فيقنع بذلك. و ان كان دين حرب فلِم لم يؤذن للمسلمين في الدفاع عن أنفسهم بالجهاد طوال الثلاثة عشر سنة في مكة؟ أم ان الإسلام دين صلح[٢] كما هو دين حرب؟ فقد تجب الحرب في ظرف ولا تجب في ظرف آخر.

أيضاً فإنا نرى الرسول ﷺ في المدينة حارب المشركين في بعض الحالات وفي حالات أخرى حارب أهل الكتاب وفي حالات مغايرة عقد الصلح مع المشركين كما حدث في الحديبية حيث عقد صلحاً مع مشركي مكة وهم من ألدّ

---

١ ـ سورة الحج، الآية ٣٩.

٢ ـ المقصود بالصلح الأعم من عدم الحرب.

خصوم النبيّ صلى الله عليه وآله وأشدّهم، رغم أن عموم أصحابه صلى الله عليه وآله لم يكونوا يميلون إلى ذلك، كما أننا نرى عقد الرسول صلى الله عليه وآله المعاهدة مع اليهود لعدم تعرّض أي من الطـرفين للآخر. فعلى أي أساس يكون ذلك؟

عليّ عليه السلام والصلح:

أمير المؤمنين عليه السلام نراه أيضاً في موقع يحارب وفي موقع آخر لا يحارب. فبعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تأتي مسألة الخلافة والآخرون يتسلّطون عليها والإمام عليّ عليه السلام لم يحارب هنا، لم يحمل السيف وكان يقول: قد أمرت بعدم الحرب و يجب أن لا أحارب، ومهما كان يرى من فظاظة من قبل الآخرين كـان عليه السلام يـقابلهم بـاللين لدرجة أن السيّدة الزهراء عليها السلام سألته عن ذلك: «مالك يا ابن أبي طالب اشـتملت شملة الجنين وقعدت حجرة الظنين؟»[١] تقول له: مالك جالس في البيت جامعاً يداك ورجلاك كهيئة الجنين وهو في الرحم واعتزلت كالمتهم يخجل أن يخرج من البيت، أنت ذلك الرجل الذي تفرّ منه الأسد في ميادين القتال و تسلط عليك هذه المشاكل لماذا؟ فيبيّن لها عليّ عليه السلام أن وظيفته كانت حينذاك تلك وهنا وظيفته هذه.

وطوال مدة الـ ٢٥ سنة يتخذ عليّ عليه السلام سبيل السلم وعندما يثور النـاس ضـدّ عثمان، الثورة التي أدّت إلىٰ مقتله لم يكن عليّ عليه السلام جزءً من الثـائرين ولا مـن مؤيديهم بل توسّط بينهم و بين عثمان وقد سعى كي تصل الأمور إلى أن تتحقق مطالب الثائرين وهي مطالب محقة ترجع الى شكايتهم من ولاة عثمان والمظالم

---

١ ـ الإحتجاج للطبرسي ج١ ص ١٠٧.

التي ترتكب من جهة ومن جهة أخرى ان لا يقتل عثمان. وهذا المعنى مذكور في نهج البلاغة والتاريخ ينطق به بشكل قطعي و مسلّم به وكـانعليه السلام يـقول لعـثمان: أخاف أن تكون كبش هذه الأمة المقتول وإن قتلت فإن القتل باب سيفتح عـلى هذه الأمة وستكون فتنة بين المسلمين لا تنطفىء أبداً بقيعليه السلام حتى أواخر عـهد عثمان واسوأ مراحل عهده، وسيطاً بين الثوّار و عثمان.

في بداية خلافة عثمان عندما تطوى حيلة عبد الرحمن بن عوف بعد أن يبقى رجلان عليّعليه السلام وعثمان (طريقة عليّعليه السلام كانت على ذلك النحو أيـضاً. والقـضية كانت ان ألّف عمر شورى من ستة أشخاص لانتخاب خليفة) فانسحب ثلاثة منهم أحدهم لصالح أمير المؤمنينعليه السلام وهو الزبير والثاني لصالح عـثمان وهـو طـلحة والثالث لصالح عبد الرحمن بن عوف.بقي ثلاثة ولكن عبدالرحمن سحب ترشيحه فانحصر الخليفة بمن يعطيه عبد الرحمن صوته لأن الامام عليّعليه السلام عنده صوتان وعثمان كذلك و عبد الرحمن كذلك و من يعطيه صوته عبد الرحمن يصبح ذا أربع أصوات فيكون الخليفة طبقاً للشورى التي شكّلها عمر، جاء عبد الرحمن إلى أمير المؤمنينعليه السلام عارضاً عليه أن يعطيه رأيه شرط العمل بكتاب الله و سنّة النبيّ وسيرة الشيخين فقال لهعليه السلام: «أبايعك على العمل بكتاب الله وسنّة النبيّ و بما أعرفه». ثم ذهب الى عثمان قائلاً له: أبايعك على كتاب الله و سنّة النبيّ و سـيرة الشـيخين فوافق عثمان الذي انحرف فيما بعد عن سيرة الشيخين أيضاً. حينها جاؤوا إلى عليّعليه السلام معترضين أن كيف جرى الأمر كذلك متسائلين عن الموقف الذي سيتخذه عليّعليه السلام فأجابعليه السلام:

«والله لأسالمنّ ما سلمت أمـور المسـلمين ولم يكـن فـيها جـور إلا عـليّ

خاصة»[١] أي ما دام الظلم واقعاً عليّ فقط لكن عمل المسلمين مستمر وذلك الذي يحلّ محلّي ـ وان كان بغير حق ـ سيّدبر الاعمال مع هذه العجالة فأنا أسلم ولن أخالف.

بعد عثمان وفي زمان معاوية يأتي الناس لمبايعة عليّ عليه السلام، حينئذٍ أمير المؤمنين عليه السلام يعلن حرباً دموية ضدّ المتمرّدين الناكثين والقاسطين والمارقين، أصحاب الجمل وصفّين والنهروان لكن بعد حرب صفّين مع مسألة تمرّد الخوارج وخديعة عمرو بن العاص ومعاوية أذ رفعا القرآن على رؤوس الرماح ودعيا لجعل القرآن بين الفريقين فصدقتهم جماعة وانقسم جيش أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن أمام أمير المؤمنين خيار غير قبول التحكيم مع أنه عليه السلام لم يكن يميل إلى ذلك. وهذا العمل يشبه الصلح. أي وافق على أن يحكم الحكمان وفق القرآن وشرع الإسلام الا أن عمرواً بن العاص ختم المسألة بنحو أفقد التحكيم قيمته حتى بالنسبة لمعاوية انتهت المسألة كلعبة فأبو موسى خدع لكن الخديعة لم تنتج خلع عليّ عليه السلام وإبقاء معاوية بل قد تمّت بشكل فهم الجميع أن هذين الحكمين لم يتفقا وأحدهما احتال على الآخر، لأن أحدهما قال: قد خلعت كليهما والآخر يقول: صدق في خلع أحدهما وكذب في خلع الآخر فإنني لا أقبل به، وبدأ العراك والسبّ ولمّا ينزلا عن المنبر، والفضيحة ان لماذا خدعتني؟ وصار معلوماً ان القضية بلا معنى.

و كيف كان فقد وقعت مسألة التحكيم، لكن لماذا قبل عليّ عليه السلام بها ولمَ لم يعط

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٧٤.

أمراً بالاستمرار بالحرب حتى وان ضغط عليه الخوارج! فإن غاية ما سيحصل أن يستشهد كما حل مع ابنه الحسين عليه السلام وأيضاً نتساءل لماذا لم يقاتل الرسول صلى الله عليه وآله في البداية فأقصى ما سيحصل ان يستشهد كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام ولماذا صالح في الحديبية؟ فغاية ما هنالك القتل كما كان مع الإمام الحسين عليه السلام. كما نتساءل لماذا لم يحارب الإمام عليّ عليه السلام في ابتداء الأمر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و غاية ما في الأمر أن يقتل فليكن كما قتل الإمام الحسين عليه السلام ولماذا استسلم للتحكيم؟ وأقصى ما سيحدث أن يقتل فليكن كما كان الأمر مع الإمام الحسين عليه السلام.

هل هذا الكلام صحيح أم لا؟ ثم بعد ذلك نتحدّث عن صلح الإمام الحسن عليه السلام وعن الأئمة الآخرين الذين عاشوا حالةً شبيهة بحالة صلح الإمام الحسن عليه السلام. فالمسألة إذن ليست مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام و حرب الإمام الحسين عليه السلام بل المسألة أوسع من ذلك و يجب أن تُبحث بشكل كلي.

وحتى تتبين لنا الكليّات التي على أساسها ندخل في التفاصيل أقرألكم بعض ما ورد في كتاب الجهاد من الفقه.

موارد الجهاد في الفقه الشيعي:

نعلم ان في الإسلام جهاداً. والجهاد أقسام ومن أقسامه الجهاد الإبتدائي وهو يعني انه إذا كان الآخرون (غير مسلمين) و بشكل خاص اذا كانوا مشركين فالإسلام يجيز للمسلمين مهاجمتهم للقضاء على الشرك و ان لم يكن هناك عداوة سابقة. وشرط هذا الجهاد أن يكون المجاهد بالغاً عاقلاً حرّاً (أي ليس عبداً) رجلاً فلا يجب على النساء كما يشترط إذن الإمام أو نائبه الخاص. ففي نظر الفقيه

الشيعي هذا النوع من الجهاد لا يجوز إلّا في حضور الإمام عليه السلام أو من يعيّنه الإمام عليه السلام بشخصه. فلا يجوز للحاكم الشرعي في هذا الزمان إعلان هذا الجهاد.

القسم الثاني: هوالجهاد عندما يتعرض المجتمع الإسلامي لهجوم الأعداء فهنا الجهاد يكون دفاعياً، أي يكون العدوّ قاصداً للإستيلاء على البلاد الإسلامية كلها أو بعضها أو يريد الاستيلاء على الأفراد يأخذهم أسرى وان لم يرد الاستيلاء على الأرض أو أنه يهاجم يريد إتلاف أموال المسلمين أو يغير ليلاً أو بالشكل المعروف في هذه الأيام يريدون أخذ المواد الأولية من معاذن و غيرها يريدون أخذها بالقوة أو يريد العدو الاعتداء على حرمة المسلمين و شرفهم على أولاد وذرية المسلمين. وبشكل عام ان تتعرض الأموال أو نفوس أو الأراضي أو أي أمر من الأمور المحترمة عند المسلمين لهجوم العدو حينئذٍ يجب على كل مسلم رجلاً كان أم إمرأة حراً كان أم عبداً أن يشارك في هذاالجهاد[١].

هذا الذي ذكرته هو كلام الفقهاء، كلام المحقق[٢] والشهيد الثاني[٣] الذي أنا بصدد ترجمته.

المحقق عنده كتاب اسمه الشرايع و هو من متون الفقه الشيعي المسلمة وقد

---

١ ـ ولعله أيضاً يجوز لغير البالغ المشاركة في هذا الجهاد.

٢ ـ المحقق الحلّي من العلماء المعروفين له كتب قيّمة في الفقه منها شرايع الإسلام ويعتبر من الكتب التي يفتخر الدهر بمثلها وقد تصدّى كثير من العلماء لشرحه كما جعل مادة دراسية في الحوزات العلمية.

٣ ـ الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي.

شرحه الشهيد الثاني في كتاب «مسالك الإفهام» و هو شرح ممتاز و الشهيد الثاني أيضاً من أكابر و أعاظم الدرجة الاولىٰ من فقهاء الشيعة.

هنا يقولان ان إذن الإمام ليس شرطاً. و مورد هذا النوع من الجهاد نظير الوضع الذي نحن عليه الآن فيما قامت به إسرائيل من احتلال لأرض المسلمين فهنا يجب على المسلمين رجالاً و نساءً أحراراً و عبيداً قريبين أم بعيدين أن يهبّوا للمشاركة في هذا الجهاد المسمّى بالدفاع و هو لا يتوقف بأي وجه على إذن الإمام و قولنا «و لا يختص بمن قصدوه من المسلمين بل يجب على من علم بالحال النهوض إذا لم يعلم قدرة المقصودين على المقاومة»[١] فكل من علم بالأمر عليه واجب الدفاع الا إذا علم أن المقصودين بالهجوم قادرين على الردّ و إلا فيجب و كلما كان الانسان أقرب كلما كان الوجوب عليه آكد.

القسم الثالث: و هو نظير الجهاد لكنه ليس جهاداً عاماً بل خاصاً و تختلف أحكامه عن أحكام أنواع الجهاد الأخرى فالجهاد العام له أحكامه الخاصة مثل أن من يقتل فهو شهيد لا يغسّل و لا يكفّن بل يدفن بثيابه مع الدم.

دم الشهداء أولى من الماء   و هذا الجرم أولى من مئة ثواب[٢]

هذا النوع الثالث يصطلح عليه بالجهاد لكن ليست أحكامه أحكام الجهاد نعم أجره أجر الجهاد و الفرد فيه شهيد. و هو أن يكون الفرد في غير الإسلام بل في دار

---

١ ـ مسالك الأفهام ج ١ ص ١١٦.

٢ ـ

خون شهيدان را زا آب او ليتر است   اين گنه از صد ثواب أو ليتر است

الكفر و تهاجم تلك الدار من كفّار آخرين بحيث يكون هناك خطر عـليه أيـضاً لوجوده بينهم (كما لو فرضنا وجود شخص في فرنسا و وقعت الحرب بين ألمانيا و فرنسا) فما هو وظيفته حينئذٍ مع كونه ليس من جماعتهم؟ وظيفته أن يحفظ نفسه بأي شكل من الأشكال و إذا توقف حفظ حياته على أن يشارك في الحرب فعليه المشاركة لا مواساة للقوم الذين هو بينهم بل دفاعاً عن نفسه فإن قتل فأجره أجر شهيد و هناك موارد أخرى في الإسلام يعتبر الفرد فيها شهيداً لكن لا تترتّب عليه أحكام الشهيد كالدفن بثيابه بدون غسل و كبعض الأحكام الأخر. و مـن تـلك الموارد ان يتعرض شخص لهجوم عدوّ يريد نفسه أو ماله أو عرضه و ان كان ذلك العدو مسلماً كأن يكون في بيته نائماً فيأتيه لصّ (حتى و ان كان اللص مسلماً بل من الممكن ـ على قول الحاج كلباسي ـ أن يكون من مصلّي صلاة الليل)[1] وسطا على البيت يريد سلب المال فهل يمكن للإنسان هنا أن يدافع عن ماله؟ نعم. وقد تقولون يحتمل أن يقتل و لو كانت نسبة الاحتمال ١٠ بالمئة فـإن حـفظ الروح واجب أيضاً مع هذه النسبة. لكن نقول حيث كان المقام مقام دفاع عن المال فإنه يمكنه أن يدافع و يقدم و ان كانت النسبة ٥٠ بالمائة. أما إذا كان الخطر متوجهاً لغير المال كالنفس أو العرض فهنا يجب عليه الدفاع و ان كان احتمال قتله مـئة بالمئة وليس له أن يقول ان المعتدي يريد قتلي فيتردد؛ كلّا. بل عليك أن تقتله أنت ان كان قاصداً لذلك، عليك أن تقاوم لا أن تقول لا أقدم على قتله و ان كان هو يريد قتلي.

---

١ ـ إشارة الى تلك القصة التي جاء فيها انه قيل للحاج كلباسي: سطا لصّ على البيت الفلانى في نصف الليل فقال: فمتى صلّى ذلك اللصّ صلاة الليل؟

قتال أهل البغي

عرضنا ثلاثة أنواع من الجهاد. وهاهنا نوع رابع يصطلح عليه بـ«قتال أهل البغي» و معناه أنه إن وقعت حرب داخلية بين طائفتين من المسلمين تريد إحدى الطائفتين أن تبغي على الأخرى فعلى جميع المسلمين أن يسعوا أولاً إلى الصلح بينهما و يتوسطوا للمصالحة بين الطرفين فإن عاند أحدهما و لم يقبل الصلح فعلى المسلمين أن يدخلوا الحرب لصالح الفئة المظلومة. هذا أمر قد نصّ القرآن عليه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[١] و أولى من ذلك ما لو خرج قوم ضد الإمام العادل فلا بدّ من محاربتهم لأنه إمام عادل و إمام بالحق قاموا ضده و الغرض أن الحق معه لا معهم.

و من موارد الجهاد أيضاً ـ و هو إلى حدّ ما محلّ خلاف بين الفقهاء ـ الأمر بالمعروف و النهي المنكر إذا أدّى إلى إسالة الدم. و هي مرتبة من مراتب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

الصلح في الفقه الشيعي

من المسائل المطروحة في كتاب الجهاد مسألة الصلح و التي يطلق عليها بحسب الاصطلاح الفقهي الهدنة أو المهادنة، و المهادنة تعني المصالحة، و الهدنة

---

١ ـ سورة الحجرات الآية ٩.

تعني الصلح. فما معنى الصلح؟ هو اتفاق على عدم الاعتداء، اتفاقية عدم حرب وما يقال له اليوم التعايش السلمي بين الأطراف. هنا أيضا أذكر عبارة المحقق في الشرايع: «المهادنة و هي المعاقدة على ترك الحرب مدة معينة».

ففي الفقه هذه المسألة المطروحة أن الطرف الآخر ان كان من أهل الحرب كالمشرك فإن عقد الصلح معه ممكن لكن لا بد من تحديد مدة فلا يجوز عقده إلى مدة مجهولة و يدّعي بأننا على عجلة من أمرنا، لا لا يصح الاستعجال، بل يجب تعيين المدة ستة أشهر، سنة، عشر سنين أو أكثر. كما عقد النبي صلى الله عليه وآله في الحديبية صلحاً لمدة عشر سنين. ثم يقول «و هي جائزة إذا تضمّنت مصلحة للمسلمين»[١] و قد ذكرنا ان موارد الجهاد ما إذا هاجم العدو أرض المسلمين فإن تحرير الأرض واجب على كل حال لكن لو فرضنا ان المصلحة تقتضي عقد الصلح مع ذلك المحتل فهل نعقد الصلح أم لا؟ يقول إذا اقتضت المصلحة ذلك فليعقد الصلح لكن ليس إلى أمد غير محدود بل لمدة معينة إذ لا يمكن أن تكون المصلحة قاضية بالإبقاء على الاحتلال إلى أجل غير محدد. و إذا كانت المصالحة تعني ترك الخصام إلى مدة معينة فكيف تكون مصلحة المسلمين قاضية بذلك؟ يقول: «اما لقلّتهم عن المقاومة» فعندما لا يملكون القدرة، و الحرب يراد بها تحقيق هدف معيّن فلا بدّ من الصبر حتى تحصل القدرة «أو لما يحصل له الاستظهار» أي يرجى في مدة الصلح كسب القوة أي التخطيط لتحصيل الدعم. «أو لرجاء الدخول في

---

١ ـ فليس الأمر ان الحرب واجبة دائماً و الصلح حرام دائماً، لا الصلح جائز بل ان الشهيد يقول: معنى الجواز هنا انه ليس حراماً فقد يجب في بعض الموارد.

الإسلام مع التربّص» أي يؤمل أن يدخل المحتل في دين الإسلام و هذا عندما لايكون المهاجم مسلماً فنعقد الصلح و نسعى لهزيمته روحياً كما حصل في صلح الحديبية على ما سأذكر فيما بعد «و متى ارتفع ذلك و كان في المسلمين قوة على الخصم لم يجز».

إذا كان هذا بحثاً في أمر الصلح المسمّى بالمهادنة و رأينا انه في نظر الفقه الإسلامي يجوز الصلح في ظروف خاصة سواء أكان الصلح إتفاقية أم كان مجرّد ترك حرب فهنا أمران إذ تارة نطلق الصلح و نريد به عقد إتفاقية صلح و ذلك عندما تقابل قوة قوة أخرى فيعقدان بينهما عقد الصلح كما فعل النبّيﷺ بل والإمام الحسن عليه السلام أيضاً. و تارة أخرى نطلق الصلح و نريد به اختيار درب المسالمة و عدم الحرب و قد ذكروا أنه عندما لا يكون هناك قدرة على المقاومة ولا فائدة من الحرب فلا نحارب و على هذا الأساس لم يحارب المسلمون في صدر الإسلام، فقد كان المسلمون حينذاك قلّة و لو أرادوا الحرب لاقتلعت جذروهم و لم يكن ليبقى لهم أثر لا لهم و لا لعملهم. و قد ذكرنا أن المصلحة في مدة ترك الحرب قد تكون تحصيل الدعم أو تحصيل تأثير معنوي على الطرف الآخر. هنا يصل الكلام إلى صلح الحديبية الذي كان على ذلك الأساس كما أن صلح الإمام الحسن عليه السلام كانت المصلحة فيه أكثرها من هذه الجهة.

صلح الحديبية: عقد النبيﷺ في زمانه صلحاً أوجب حيرة أصحابه بل و انزعاجهم لكنهم أدركوا صوابية العمل بعد سنتين من الصلح. ففي السنة السادسة للهجرة بعد حرب بدر تلك الحرب الدموية التي أوجدت أعظم الضغائن لدى

قريش على النبي صلى الله عليه وآله و بعد معركة أحد استطاع المشركون فيها إلى حدّ ما الانتقام فغضب المسلمون من المشركين غضباً شديداً. و على كل حال، كان النبي في نظر قريش أعدى أعدائها كما ان قريشاً كانت في نظر المسلمين أعدى أعدائهم، ففي السنة السادسة و في شهر ذي القعدة و هو أحد الأشهر الحرم التي كانت سنة الجاهلية فيها وضع السلاح و كان الأعداء في غير الأشهر الحرم ان نال أحدهم من الآخر يبيده لكن في الأشهر الحرم كانوا يمتنعون عن أي عمل من هذا القبيل احتراماً لها. فأراد النبي صلى الله عليه وآله الاستفادة من هذه السنّة و الذهاب إلى مكة للعمرة فقط لا يقصد بذلك أي أمر آخر فأعلن عن نيته و تحرك يرافقه ٧٠٠ شخص على رواية أو ١٤٠٠ على رواية أخرى و عندما خرجوا من المدينة أحرموا و حيث ان حجّهم كان حجّ قران كان عليهم سوق الهدي أي يعينونه للفداء و يعلّمونه بعلامة كأن يقلدوه بحذاء و كان هذا أمراً متبعاً سابقاً فكان كل من يرى ذلك يعلم ان هذا الحيوان معّين للفداء فأمر النبّي صلى الله عليه وآله الذين معه أن يعلّموا ٧٠٠ من الإبل يضعونها أمام القافلة حتى يعلم من يرى أننا نريد الحج و لسنا طلّاب حرب. لباسهم كان لباس الحجيج. و حيث أنّ الأمر لم يكن سرياً و صل الخبر الى قريش فخرجوا رجالاً و نساءاً كباراً و صغاراً من مكة و أقسموا أن لا يؤذن لمحمد صلى الله عليه وآله بدخول مكة. و أعلنوا عن استعدادهم للحرب مع ان الشهر من الأشهر الحرم و هذا منافٍ حتى لقانون الجاهلية. و عندما اقترب النبيّ صلى الله عليه وآله من معقل قريش استقر مكانه و تتالت الرسل و الوفود من الطرفين. و في ابتداء الأمر أرسلت قريش عدة مبعوثين للاطلاع على ما يريد النبي فكان صلى الله عليه وآله يقول نريد الحج ثم نرجع و كان كل مبعوث يعود إلى قريش يطمئنهم ان النبي لا يريد الحرب فرفضوا، حينئذٍ قرر

المسلمون و معهم النبيﷺ أننا يجب أن ندخل مكة و ان أدى بنا ذلك إلى الحرب لسنا طلّاب حرب لكن ان حاربونا حاربناهم و كانت بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون النبيﷺ على ذلك إلى أن جاء ممثل من طرف قريش و أعلن عن استعداد قريش لعقد اتفاقية فأبدى النبيﷺ استعداده أيضاً و الكلمات التي كانﷺ يطلقها كانت سلمية، فقال «ويح قريش أكلتهم الحرب»[1] ماذا يريدون وقد قضت عليهم الحرب فليخلّوا بيني و بين الناس فإما أن أموت فيتحقق مرادهم على يد غيرهم أو انتصر فتنتفع قريش لأنني منهم فيفتخروا بذلك». فلم يفد هذا الكلام و طلبوا عقد صلح فأرسلوا سهيلاً ابن عمرو وتمّ عقد الصلح على أن يعود النبّيﷺ هذه السنة إلى المدينة و له الحق في أن يأتى السنة المقبلة و يبقى ثلاثة أيام في مكة، يعتمر فيها ثم يعود و كان فى الصلح بنوداً تعتبر بحسب الظاهر في ضرر المسلمين. منها انه إذا التحق أحد المشركين ـ من الآن ـ بالمسلمين فلقريش الحق في استرداده أما إذا أحد من المسلمين التحق بقريش فليس للمسلمين حق استرداده. بعض البنود كانت ثقيلة جداً. لكن في المقابل تحرر المسلمون في مكة و خرجوا من الضغط الذي كانوا يعانونه و همّة النبيﷺ كانت في ذلك و لذا قبل بكل الشروط الصعبة. وقع الصلح و المسلمون منزعجون يقولون: يا رسول الله هذا عار علينا أتينا مكة ثم نعود أفيصحّ ذلك؟ لا بدّ من الذهاب فأبى عليهم النبيﷺ ذلك فالاتفاق قد تمّ، ثم أمر بأن يضحّى بالأضاحي حيث هم ثم قصّ شعرهﷺ

---

١ ـ الويح: تطلق في مقام البهجة و الانشراح، و الويل: تطلق في مقام الشدة و الضيق و ليس في اللغة الفارسيّة ما يقابل كلمة الويح، بل «واي» ان اطلقت في مقام السرور كانت بمعنى الويح.

علامة على الخروج من الإحرام. ففي ابتداء الأمر لم يرد المسلمون ذلك لكنهم و افقوا عليه بانزعاج شديد و كان عمر بن الخطاب أشدّهم استياءً جاء إلى أبي بكر يقول له: أو ليس هذا نبياً؟ قال: نعم. قال : فما الذي حصل؟.

كان النبي قد رأى رؤيا انه سيدخل مكة و كان قد أخبر المسلمين بها، في الحديبية جاؤوا إليه يسألونه عن الرؤيا و دخول مكة، فقال: نعم، قالوا: فما الذي حصل و لماذا لم يتحقق المنام؟ قال أنا لم أرى في المنام و لم أقل أننا سندخل مكة هذه السنة أنا رأيت و رؤياي صادقة أننا سندخل مكة: قالوا: فما هذا الصلح الذي يقضى بأنه ان جاء أحدهم إلينا فلهم الحق في استرداده و ليس لنا مثل هذا الحق؟ فقال لهم: إذا جاء أحد منهم إلينا مسلماً فإننا سنطلب منه الذهاب و ليتحمّل المسلمون في مكة الآن حياتهم في ظلّ الاستضعاف لعل الله يجعل لهم مخرجاً وفي ظل ظروف صعبة أرجع صلى الله عليه وآله أفراداً. سهيل بن عمرو المتقدم ذكره كان له ولد مسلم في جيش المسلمين فأسلم ابنه الآخر و جاء إلى المسلمين و ما كاد يصل حتى جاء سهيل يطلبه بناء على الإتفاقيه فطلب النبّي صلى الله عليه وآله من ابن سهيل و اسمه أبو جندل الذهاب قائلاً: إن شاء الله يجعل لكم أيها المستضعفون مخرجاً، فاضطرب ونادى المسلمين أن لا تدعوهم يردّوني إلى الكفّار، يريدون إخراجي من ديني فتأذّى المسلمون و طلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله الإذن بعدم السماح بأخذه فقال: بل يذهب هو أيضاً. و النتيجة هي أنه بمجرّد عقد الصلح و صيرورة المسلمين أحراراً، أحراراً في تبليغ و نشر الدعوة فقد دخل في الإسلام خلال سنة أو أقل من قريش بمقدار يفوق عدد الذين أسلموا خلال عشرين سنة. ثم تطورت الأمور لصالح المسلمين بحيث اضطّرت قريش للتنازل حتى عن ذلك البند و أحدثت هيجاناً

عملياً ومعنوياً في مكة.

و هنا قصة لطيفة ينقلها التاريخ و هي أن رجلاً اسمه أبو بصير من مكة شجاع وقويّ قد أسلم و جاء المدينة فأرسلت قريش رجلين في طلبه من الرسول ﷺ طبقاً للإتفاق، فقال لهما الرسول ﷺ: و هو كذلك، و مهما أصرّ أبوبصير على أن لا يؤذن بأخذه «فإنهم سيردوني عن ديني» لم يوافق الرسول ﷺ و قال: هناك إتفاق بيننا، و ديننا لا يسمح بنقضه فلا بدّ من الذهاب و سيجعل الله لك مخرجاً و عاد مع الرجلين اللذين كانا مسلحين بينما كان هو أعزل. عندما و صلوا إلى ذي الحليفة حيث مسجد الشجرة تقريباً و هو موضع الإحرام للحج، يبعد عن المدينة سبعة كيلومترات استراحوا و قال أبوبصير لأحدهما الذي كان السيف بيده ان سيفك جيّد أرني أنظر إليه فأعطاه إياه فما أن أخذه حتى ضربه به و قتله و فّر الآخر كالبرق عائداً إلى المدينة فسأله النبّي ﷺ عن الخبر فأخبره أن صاحبكم قتل صاحبي فلم تطل المدة حتى جاء أبو بصير قائلاً يا رسول الله قد وفيت أنت بالإتفاق و هو يقضي أنه إن جاء أحد إليك تسلّمه إليهم و قد سلّمتني إليهم فدعني أتصرّف كما أرى و انطلق إلى ساحل البحر الأحمر و أتخذ نقطة جعلها مركزاً له. و ما أن علم المسلمون الذين كانوا يعانون الالم و الأذى و الضرب، أن النبّي صلّى الله عليه و آله لا يجير أحداً لكن أبا بصير قد اتخذ ساحل البحر مركزاً اتّجهوا نحوه الواحد تلو الآخر حتى بلغ عددهم ٧٠ شخصاً و شكّلوا قوة و كانت طريق قريش من هناك فلم تعد تستطيع الذهاب و الإياب فكتبوا إلى النبي ﷺ يرجون منه إعادة أولئك إلى المدينة متخلّين عن تلك المادة من الإتفاقية.

و على كل حال فإن إتفاقية الصلح كانت تهدف إلى تهيئة الناس روحياً

للأعمال اللاحقة و هذا ما حصل و قد ذكرنا أن المسلمين قد تحرّروا في مكة و صار الناس ـ بعد هذه الحرية ـ يدخلون في الإسلام جماعات جماعات و كل الموانع ارتفعت.

حان الآن البحث عن ظروف زمان الإمام الحسن عليه السلام و ظروف زمان الإمام الحسين عليه السلام فلنَر هل هي نوعان من الظروف بحيث لو فرضنا أن الإمام الحسن كان في موقع الإمام الحسين عليه السلام فهل سيأتي بما أتى به الإمام الحسين عليه السلام؟ أو لو فرضنا أن الإمام الحسين كان مكان الإمام الحسن عليه السلام فهل سيأتي بما أتى به الإمام الحسن عليه السلام أم ليس الأمر كذلك؟ لكن من المسلّم به أن الظروف مختلفة.

الآن أشير فقط إلى هذه النكتة و هي أننا لو سئلنا هل الإسلام دين صلح أم دين حرب؟ فبماذا نجيب؟ فإذا رجعنا إلى القرآن نرى تشريع حرب كما نرى تشريع صلح فالآيات التي تدعو للحرب مع الكفار و المشركين كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾[١] و غيرها من الآيات كما ان هناك آيات في الصلح كقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾[٢] و في آية أخرى يقول: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[٣] إذن الإسلام دين أيّ منهما؟ الإسلام لا يجعل الصلح قاعدة في كل الظروف كما أنه لا يقبل الحرب دائماً بل هما تابعان للظروف و الأهداف، و المسلمون سواء كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وآله أو في زمن أميرالمؤمنين أو في زمن الإمام الحسن أو في عصر الإمام الحسين أو الأئمة الآخرين عليهم السلام أو

---

١ ـ سورة البقرة الآية ١٩٠.

٢ ـ سورة الأنفال الآية ٦١.

٣ ـ سورة النساء الآية ١٢٨.

في زماننا ففي كل زمان و على أي حال يجب أن يكون سعيهم لتحقيق الهـدف وهدفهم الإسلام و حقوق المسلمين، يجب أن يأخذوا الظروف و الأوضاع بعين الإعتبار فإن كانوا بالقتال يمكنهم تحقيق الهدف بشكل أفضل فعليهم سلوك هذا الطريق و إذا رأوا أحياناً أن الهدف يمكن تحقيقه بالصلح بشكل أفـضل فـعليهم اختيار هذا السبيل.

ففي الأصل ليس صحيحاً إما الحرب و إما السلم بـل لكـلٍ شـرطه الخـاص وظرفه.

و صلّى الله على محمد و آله الطاهرين

❊ ❊ ❊

سؤال و جواب:

سؤال: في الفقه الشيعي لا يصحّ البحث: هل ان صلح الإمام الحسن عليه السلام جائز أم غير جائز؟ لان الفقه الشيعي يعتمد على رؤية الأئمة عليهم السلام و في كل موضوع هناك دائماً أصول تتفرع منها سائر القضايا. ففقه المحقق أو غيره من علماء الشيعة في الأصل مبنّي على رؤية الأئمة عليهم السلام.

الجواب: تنبيه مفيد جداً و في محله كما أنه صحيح الا ان بحثنا ليس من جهة ان الإمام الحسن عليه السلام قد اتبع الفقه الشيعي أم لا، بل البحث من جهة ان القـواعـد الفقيهة المذكورة هل تتوافق مع المنطق أم لا؟ فقد رأيت ان نبحث في المسألة بقطع النظر عن أي بحث آخر فنطرح القواعد الفقيهة ثم نرى هل تنسجم مع المنطق أم لا

تنسجم (لأن الانسان عندما يطرح المسألة بصورة كلية فهذا يساعده على علاج المسألة في الموارد الخاصة و نحن لا نريد في بحثنا الاستناد إلى التعبد. و في رأينا ان ما نملكه من فقه من مسائل هي مسائل منطقية سواء استفدناها من سيرة الأئمةعليهم السلام أم من مكان آخر).

فنحن نلاحظ موارد مشروعية الجهاد ثم نتساءل هل هناك مجال للإشكال فيها أم لا؟ و كذلك موارد مشروعية الصلح فهل هي منطقية أم ليست كذلك؟ أردنا أن نتفّهم الأمور بهذه الطريقة و الجهاد المشروع موافق للمنطق كما ان الصلح حيث يشرع هو كذلك. و بعد أن قبلنا ذلك منطقياً نبحث في إن ما قام به الإمام الحسنعليه السلام هل كان في ظرف يقتضي الحرب لكنه صالح و ان ما قام به الإمام الحسينعليه السلام هل كان في ظرف يتطلّب صلحاً لكّنه جاهد؟ (لأنه في الإسلام أساسان الجهاد و الصلح) أم لا بل الإمام الحسنعليه السلام صالح في ظرف يقتضي صلحاً و الإمام الحسينعليه السلام جاهد في ظرف يقتضي جهاداً. و كذلك الحال بالنسبة إلى أميرالمؤمنينعليه السلام و النبيصلى الله عليه وآله و الأمر مقطوع به بالنسبة لهما. خصوصاً بالنسبة للنبيصلى الله عليه وآله لأنه صالح في مورد و حارب في مورد آخر.

سؤال: هل يختلف فقه إخواننا السنة عن فقه الشيعة في أمر الجهاد أم لا؟ و إن كان هناك إختلاف فما هو؟

و سؤال آخر: ذكرتم أن الجهاد بشكل عام مورده التسلّط على المال أو النفس. فهل التسلّط الفكري ملحوظ هنا و في هذه الصورة ما هو نوع الجهاد؟

الجواب: بالنسبة الى فقه أهل السنّة لا بدّ أن أراجع الموضوع ثم أعرضه عليكم لكن ما أعلمه بالإجمال أن شروط الجهاد عندهم لا تختلف كثيراً عنها عندنا و لو

كان هناك خلاف ففي بعض التحديدات غير المعتبرة عندهم من جهة أننا نشترط في بعض الموارد وجود إمام معصوم أو نائبه الخاص و هذان الشرطان منفيان عندهم.

أما بالنسبة للسؤال الثاني فالمسألة لم تكن مطروحة في الفقه سابقاً لأنه أمر ظهر حديثاً فهنا لا بدّ من ملاحظة القواعد و إلا فالمسألة لم تكن في السابق مذكورة.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تمهيد: البحث حول صلح الإمام الحسن عليه السلام. و قد تعرّضنا في الجلسة السابقة لجملة من الكلّيات في مسألة الحرب و الصلح من وجهة نظر الإسلام و بشكل خاص من وجهة نظر الفقه الشيعي و ذكرنا ـ و التاريخ دالّ عليه ـ أن الصلح جائز للمسلمين في ظروف خاصة بل قد يكون لازماً واجباً و قد أتى به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في بعض المواقع بل عقده مع المشركين و طبعاً حارب في مواقع أخر. ثم ذكرنا بعض الكليات في الفقه الإسلامي و تعرضنا لما يطلق عليه الحسن العقلي و انه من غير المعقول ان نعتبر ان الدين أو النظام (مهما كان اسم هذا النظام) انه كان يجيز قانون الحرب فليس معنى ذلك انه لا يجيز الصلح في أي حالة من الحالات و في أي ظرف من الظروف و العكس ايضاً خطأ بأن ندّعي أننا أنصار الصلح و ضد الحرب دائماً. فالحرب عندما تكون مقدمة للصلح أكمل و الصلح الذي يهيىء فرصة الحرب يهيىء فرصاً أكثر للفوز و النصر: هذه كليات تعرضنا لها في الجلسة السابقة و قد وصل البحث إلى الحديث عن زمان الإمام الحسن عليه السلام وانه في أي وضع كان و الظروف التي في ظلها صالح عليه السلام و في الواقع كان عليه السلام مضطراً إلى الصلح، و الحديث عن وجه اختلاف هذه الظروف عن ظروف الإمام الحسين عليه السلام حيث كان عليه السلام رافضاً للصلح. و التفاوت كبير جداً و سنبدأ بعرض

وجوه الاختلاف و أكل إليكم أيها السادة الحكم.

الفوارق بين ظروق الإمام الحسن و ظروف الإمام الحسين عليه السلام

الفارق الأول: هو أن الإمام الحسن عليه السلام كان على مسند الخلافة و معاوية كان والياً، و هو حتى ذلك الوقت لم يكن يسمّي نفسه خليفة و لم يكن يتعامل معه الناس على أنه أميرالمؤمنين و كان عنوانه انه شخص طاغ معارض قام في زمان أميرالمؤمنين عليه السلام تحت شعار رفض خلافته عليه السلام لأن علياً عليه السلام آوى قتلة عثمان الذي كان خليفة بالحق للمسلمين بل كان يتهم علياً عليه السلام بالمشاركة في قتل خليفة المسلمين و يتهم علياً بأنه ليس خليفة بالحق. معاوية على أساس أنه معارض وفئة معارضة ثار و على أساس مواجهة حكومة غير حقّة لوّثت يدها بدم الحكومة السابقة. فإلى ذلك الوقت لم يعلن نفسه خليفة و لم تعلنه الناس كذلك. كان يقول بكل بساطة إننا قوم لسنا مستعدين للانقياد إلى تلك الخلافة. انتقلت الخلافة إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد أميرالمؤمنين عليه السلام و قوة معاوية تزداد يوماً ـ بعد يوم ـ ولأسباب تاريخية خاصة كان الوضع الداخلي أثناء خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام والذي ورثه الإمام الحسن عليه السلام يزداد ضعفاً إلى درجة أن يعلن معاوية التعبئة العامة و الاستعداد لفتح العراق، بعد ١٧ يوماً من استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام و هي المدة التي اقتضاها وصول الخبر سريعاً إلى الشام.

و هنا نرى خصوصية وضع الإمام الحسن عليه السلام فهو خليفة ثار عليه باغٍ و طاغٍ فلو قتل الإمام الحسن عليه السلام في هذه الحال يعني مقتل خليفة المسلمين و هزيمة لمقام الخلافة. و مقاومة الإمام الحسن عليه السلام ستؤدّي به الى القتل كما أدت مقاومة

عثمان إلى مقتله و مقاومته ليست كمقاومة الإمام الحسين عليه السلام لأن الإمام الحسين عليه السلام كان وضعه وضع رجل معارض يقف في وجه الحكومة الموجودة[١] فإن قتل في هذا الحال فقتله عليه السلام مبعث فخر كما صار فعلاً كذلك. عارض الوضع الموجود والحكومة الفعلية و شيوع الفساد لانهم ليسوا أهلاً للحكم، و طوال عشرين سنة بيّنوا أنفسهم من أي صنف من الناس هم. و قد ثبت عليه السلام على كلامه رغم ما تعرّض له من ضغوط الى أن قتل لهذا كانت ثورته باعثة على الفخر. وضع الإمام الحسن عليه السلام من هذه الجهة معاكس تماماً لوضع الإمام الحسين عليه السلام أي أحدهما في مركز الخلافة له من يعارضه و إذا قتل فقد قتل خليفة للمسليمن و هذه بحدّ ذاتها مسألة مهمة، حتى الإمام الحسين عليه السلام كان ليحترز عن أن يقتل من هو في مقام النبي و من استلم خلافته صلى الله عليه وآله و نرى ان الإمام الحسين عليه السلام سعى إلى أن لا يقتل في مكة، لماذا لأن ذلك موجب لهتك مكة ما دام سيقتل عليه السلام على كل حال فلماذا يقتل في حرم الله و بيت الله المستلزم لهتك حرمة البيت أيضاً. كما نرى ان أميرالمؤمنين عليه السلام عندما ثار الثائرون[٢] ضد عثمان سعى بشكل مكثّف كي تتحقق مطالبهم من دون أن يقتل عثمان (و هذا المعنى موجود في نهج البلاغة) دافع عن عثمان إلى حدّ يصفه عليه السلام بقوله: «و لقد دافعت عن عثمان حتى خشيت أن أكون

---

١ ـ لا أريد أن أتعرض من جهة الفرق هذا بأن الإمام الحسين عليه السلام كان معارضاً محقاً و الإمام الحسن عليه السلام كان إماماً بالحق و معارضه يعترض بالباطل. إنما أتعرّض للمسألة من الجهة الاجتماعية.

٢ ـ و هي ثورة حقة و اعتراضاتهم صحيحة (كما أن أهل السنّة يوافقون على صحتّها) و لهذا أكرمهم الإمام علي عليه السلام في خلافته و كان من جملة الثائرين و قتلة عثمان محمد بن أبي بكر ومالك الاشتر و قد غدوا من الخواص المختصّين بأميرالمؤمنين عليه السلام كما كانوا كذلك من قبل.

آثماً»[١] فهل دافع عن عثمان لأنهعليه السلام كان من أنصاره؟ لا، بل كان ذلك الدفـاع الشديد لأجل ما قاله لعثمان «أخشى أن تكون الخليفة المقتول». و قتل خـليفة المسلمين مشكلة كبرى في العالم الإسلامي و هذا عدم احترام لمركز الخلافة لهذا كانعليه السلام يقول لعثمان: مطالب هؤلاء مشـروعة فـحقق لهـم مـطالبهم و ليـعودوا وأميرالمؤمنينعليه السلام لم يرد الطلب من الثوار ترك معارضتهم و ترك مطالبهم المحقة مع معاندة عثمان إذ إن هذا يوجب أن تزداد يد الخليفة بسطة و تزداد المظالم، لكنه لم يرد أيضاً أن يقتل عثمان و هو في مركز الخلافة و أخيراً حدث ما لم يكن يودّ الإمامعليه السلام حدوثه.

و النتيجة ان الإمام الحسنعليه السلام إذا قاوم فإن النتيجة النهائية التي كانت ستحصل حسب ما تدلّ عليه ظواهر التاريخ هي القتل لكن مقتل إمام و خليفة في مـركز الخلافة أما مقتل الإمام الحسينعليه السلام فهو مقتل رجل ثائر.

هذا أحد الفوارق بين ظروف الإمام الحسن و الإمام الحسينعليه السلام.

الفرق الثاني: و هو أن قوات أهل العراق ـ يعني الكوفة ـ و إن كانت ضعيفة إلا أنها ليست إلى حدّ الضعف الكلّي بحيث إذا أراد معاوية فتح الكوفة فإنه سيستطيع من تحقيق ذلك بسهولة فتح النبّي الاكرمصلى الله عليه وآله لمكة ـ من دون تشبيه ـ و ان كـان كثيراً من أصحاب الإمام الحسنعليه السلام قد خانوه و المنافقون قد كثروا حتى اضطرب وضع الكوفة بسبب علل و مجريات تاريخية معيّنة. و إحدى إفرازات ذلك الوضع ظهور الخوارج الذي يعلّله أميرالمـؤمنينعليه السلام بـالفتوحات غـير المـنظّمة. تـلك

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٢٤.

الفتوحات التي توالت من دون أن يتعلّم الناس و يتربّوا التعليم و التربية الكافيين كما ذُكر ذلك في نهج البلاغة «قوم لم يتعلموا أو يتأدّبوا»، لم يعرفوا الإسلام، و لم يتعرّفوا علىٰ عمق التعاليم الإسلامية، جاؤوا واختلطوا بالمسلمين بل ادّعوا أنهم أكثر إسلاماً من غيرهم.

و على كل حال فقد تعددت الفئات في الكوفة. و يجب أن نعترف أن الذي لا يتقّيد بأصول أخلاقية و إنسانية و لا يرتبط بدين و ايمان فإن يده مبسوطة أكثر من المرتبط بهذه الأمور و أمثالها.

جعل معاوية في الكوفة معقلاً صنعه بالمال و كان يكثر من بثّ العيون في الكوفة ليبذلوا المال و يشتروا الضمائر من جهة، و لينشروا الشائعات التي تضعف المعنويات من جهة أخرى، هذا كلّه من ناحية.

و في الوقت نفسه لو أراد الإمام الحسنعليه السلام الوقوف لكان بامكانه تشكيل جيش لمواجهة معاوية، يصل تعداده على الأقلّ إلى ثلاثين أو أربعين ألف شخص بل لعلّه ـ كما ذكر في التاريخ ـ كان بامكانه تأليف جيش يصل عدد أفراده ألف يتمكن معه من مواجهة جيش معاوية الجرّار و الذي كان يصل عدد أفراده إلى ١٥٠ ألفا. لكن ماذا ستكون النتيجة؟ في صفّين و عندما كانت قوّات العراق أكثر وأحسن حالاً حارب أميرالمؤمنينعليه السلام ١٧ شهراً و عندما دنت ساعة الهزيمة لمعاوية نفّذ مكيدته برفع القرآن على رؤوس الرماح. فلو أراد الإمام الحسنعليه السلام الحرب لكانت حرباً طويلة الأمد بين طائفتين عظيمتين من مسلمي الشام والعراق و سيكون ضحيّتها عشرات الألوف من الطرفين من دون أن تكون هناك ثمرة للحرب بل احتمال الانتصار على معاوية كان معدوماً حسب المعطيات التي

يقدّمها لنا التاريخ و الاحتمال الأقوى أن تنتهي المعركة بهزيمة الإمام الحسن عليه السلام. فأين الفخر في أن يحارب الإمام الحسن عليه السلام سنتين أو ثلاث تتلف عشرات الألوف من الأرواح قد يصل عددها إلى مائة ألف و لا تثمر إلا التعب و عود كل فريق إلى مكانه أو غلبة معاوية و مقتل الإمام الحسن عليه السلام و هو في سدّة الخلافة.

بخلاف الإمام الحسين عليه السلام الذي حارب بجمع يبلغ ٧٢ شخصاً حتى انه عليه السلام أذِنَ لهم بالرحيل و انكم إن أردتم الذهاب فاذهبوا و أبقى وحدي لكنهم ثبتوا معه عليه السلام حتى قُتَلوا فكان مقتلهم مبعث فخر تمام الفخر.

إذن، و في هذه العجالة لدينا فرقان. أحدهما ان الإمام الحسن عليه السلام كان خليفة وقتله قتل خليفة و هو في مركز الخلافة. و الثانی أن قوّات الإمام الحسن عليه السلام كان بامكانها بشكل أو بآخر أن تواجه معاوية فتطول الحرب و يقتل الكثير من المسلمين من دون أية نتيجة مرجوّة.

العوامل المؤثرة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام و مقارنتها مع ظروف الإمام الحسن عليه السلام

و هناك فروق شاسعة من نواحٍ أخرى بين الإمام الحسن عليه السلام و الإمام الحسين عليه السلام. فإن نهضة الإمام الحسين عليه السلام أثّرت فيها ثلاثة عوامل رئيسية كان كل واحد منها مخالفاً لحال الإمام الحسن عليه السلام:

العامل الأول: الذي كان من أسباب نهضة الإمام الحسين عليه السلام ان الحكومة الظالمة عندما قررت أخذ البيعة من الإمام الحسين قرّرت أخذه أخذاً شديداً لا تساهل فيه. و كان جواب الإمام الحسين عليه السلام فقط: لا أبايع، و لم يبايع. أما الإمام

الحسن فكيف كان الأمر معه؟ هل أن معاوية طلب من الإمام الحسن البيعة عندما قرّرعليه السلام الصلح؟ لا بل كان من بنود الصلح أن لا يطالب بالبيعة. و الظاهر أنه لم يدّع أحد من المؤرخين أن الإمام الحسنعليه السلام و من معه مثل الإمام الحسين و إخوانه وأصحابه و شيعته، قد أتوا يبايعون معاوية، أبداً لم يكن هناك حديث عن البيعة. وعليه فالبيعة كانت من الدوافع التي جعلت الإمام الحسينعليه السلام يقاوم و هذا الدافع مفقود بالنسبة للإمام الحسنعليه السلام.

العامل الثاني: في نهضة الإمام الحسينعليه السلام دعوة الكوفة لهعليه السلام على أساس أنها بلدة جاهزة، بعد عشرين سنة خَبِرَ أهل الكوفة حكم معاوية و شعروا بالأذى في زمانه و تحمّلوا مظالم معاوية حتى صاروا في الواقع ضعافاً، حتى أن البعض[١] قال ان الكوفة كانت مستعدة تمام الاستعداد لكن أمراً ما حدث بدّل الأوضاع.

كتب أهل الكوفة ١٧ ألف رسالة للإمام الحنسينعليه السلام يعلنون فيها أستعدادهم الكامل. صحيح أنهم خذلوا الإمام الحسينعليه السلام عندما قدم إليهم الأمر الذي يكشف عن عدم إكتمال الاستعداد لديهم إلا أنه من جهة تاريخية لو لم يستجب الإمام الحسينعليه السلام لتلك الرسائل فإن من المسلِّم به ان التاريخ سيدينه وسوف يقال أن الظروف كانت مساعدة له جداً و قد ضيِّعها.

بالنسبة للإمام الحسنعليه السلام فالأوضاع كانت على العكس تماماً فالكوفة كانت مرهقة متعبة، و كانت متفرقة متشتتة كانت كوفة الألف نوع من العقائد المختلفة،

---

١ ـ مثل صاحب كتاب «شهيد جاويد» أي الشهيد الحّي.

كانت بحيث أن أميرالمؤمنين عليه السلام في أواخر خلافته يشكو مراراً من أهل الكوفة وعدم كفاءتهم و يدعو أن يأخذه الله من بينهم و يسلّط عليهم حكومة تليق بهم حتى يعرفوا فيما بعد قيمة حكم عليّ عليه السلام.

و هذا الذي ذكرته من أن الكوفة مهيّأة معناه ان الحجة قد تمّت على الإمام الحسين عليه السلام لا أنني أريد إدّعاء ما يقوله البعض من أن الكوفة كانت على استعداد واقعي و أن الإمام الحسين عليه السلام كان في الواقع يعتمد على أهل الكوفة. كلام، لكن الحجّة تمّت بشكل عجيب على الإمام الحسين عليه السلام بحيث أنه حتى لو فرضنا أن الاستعداد لم يكن تاماً فإنه لم يكن في وسع الإمام الحسين عليه السلام تجاهل هذه الحجّة. أما بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام فالأمر كان على العكس ـ من جهة إتمام الحجّة ـ فإن أهل الكوفة كانوا يبدون عدم استعدادهم و كان الوضع الداخلي في الكوفة سيئاً بحيث أن الإمام الحسن عليه السلام نفسه كان يحتاط من كثير من أهل الكوفة عندما يخرج حتى أنه عندما كان يأتي للصلاة كان يرتدي درعاً تحت لباسه لأن الخوارج و عملاء معاوية كانوا كُثُر و احتمال القتل كان وارداً و قد حدث أن رُمِيَ الإمام عليه السلام بسهم و هو في الصلاة إلا أن السهم لم يؤثر لأنه كان يرتدى الدرع. و ألاّ لقتله السهم.

إذن كانت الحجّة تامّة على الإمام الحسين عليه السلام من جهة دعوة الناس له و حيث تمّت الحجّة فلا بدّ من ترتيب الأثر. أما بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام فكانت الحجّة على الخلاف و كان جلّ أهل الكوفة يعلنون عدم استعدادهم.

العامل الثالث: في ثورة الإمام الحسين عليه السلام الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فبَغض النظر عن طلبهم البيعة منه التي لم يكن حاضراً لأن يعطيهم إياها، و بغضَ

النظر عن دعوة أهل الكوفة إياه و تتميم الحجّة عليه حيث أجابهم لما دعوه اليه، فَبِغضَ النظر عن كل هذا فهذا عامل يكفي وحده كي يثور الإمام الحسين عليه السلام بناء عليه. أي لو لم يطلبوا منه البيعة و لم يدعه أهل الكوفة لثار عليه السلام أيضاً: و هو عامل الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر. فمعاوية من أول يوم استلم فيه الخلافة و في طول عشرين سنة كان كل ما قام به من أعمال على خلاف شرع الإسلام. و هذا الحاكم الجائر المتجّبر قد رأى كل الناس جوره و عدوانه، غيّر أحكام الإسلام، عاث في بيت مال المسلمين فساداً، أراق الدماء المحترمة، قام بذا، و قام بذلك وكان أكبر جرم ارتكبه أن جعل إبنه شارب الخمر لاعْب القمار و اللاهي مع الكلاب وليّاً للعهد و أعلنه خلفاً له بالقهر و القوة. فرأى الإمام عليه السلام أن من الضروري الاعتراض عليه و النبّي صلى الله عليه وآله يقول: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم و العدوان، فلم يغيّر عيه بفعل أو قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا و ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان...»[1].

و لا ريب في أن الأمر في زمان معاوية كان كذلك بالقوة[2] كما ان ماهية معاوية كانت واضحة للإمام الحسن عليه السلام لكن معاوية في زمان أميرالمؤمنين عليه السلام كان معارضاً يدّعي أنه لا يريد إلا الثأر لعثمان و الآن يعلن استعداده للعمل بكتاب الله و سنَة النبّي صلى الله عليه وآله و سيرة الخلفاء على أفضل ما يرام و ان لا يعيّن خلفاً له بل

---

١ ـ تاريخ الطبرى ج ٧ ص ٣٠٠.

٢ ـ القوة المقابلة للفعل (مترجم).

الخلافة من بعده للإمام الحسنعليه السلام و من بعده للإمام الحسينعليه السلام فمعاوية مقرّ بحقهم و إنما تطلّب تسليم الأمر إليه (كما جاء في بنود الإتفاق هذا التعبير) أي التفويض و ليبق الإمام الحسن جانباً هذه المدة فهو يطلب التفويض و سينفّذ الشروط. أرسل ورقة بيضاء ذيّلها بختمه قائلاً أي شرط يراه الحسن بن علي فليكتبه على هذه الورقة و أنا موافق عليه فأنا لا اريد أكثر من أن أستلم زمام الأمور أما العمل بشريعة الإسلام فسألتزم به تمام الإلتزام». و إلى الآن لم يصل صابون هؤلاء إلى لباس الناس[١].

و الآن لنفترض أننا في مواجهة التاريخ و أن معاوية قدّم مثل هذه الورقة البيضاء للإمام الحسن و قَبِلَ بتلك الإلتزامات على أن يعتزل الإمام الحسن جانباً. فأنت لماذا تريد الخلافة ألا تريدها لأجل إجراء القوانين الإسلامية؟ سأقوم بذلك. فالمسألة هي تطبيق الكتاب و السنَة سواء توليت ذلك أنت أم أنا أم أنك تريد الحرب لمجرد أن تكون أنت على رأس السلطة؟ إذ لو لم يسالم الإمام الحسن في هذه الظروف لكانت الحرب دائرة مستمرة، سنتين أو ثلاث مع مقتل عشرات الألوف و الدمار الذي سيحصل و النتيجة أن الإمام الحسن سيقتل أيضاً و لكان الإمام الحسن اليوم ملاماً على صفحات التاريخ إن كان من اللازم في مثل هذه الظروف الصلح، و النبّيصلى الله عليه وآله صالح في عدة مواقع. فهناك موارد الصلح فيها واجب إذ لو كنّا نحن في ذلك الزمان لقلنا: أليست المسألة هي أن معاوية يريد أن

---

١ ـ مثل يراد به ان الناس لم يرو بعد ماذا سيكون من أمره (مترجم).

يحكم فليحكم فهو لا يريد منك أن تعتبره خليفة و تعترف به أميراً للمؤمنين[١] كما لا يريد منك مبايعته. و إذا خفت على شيعتك فالصلح يوجب أن يكون تمام شيعة أبيك في أمن و أمان و يتجاوز عن كل الضغائن تجاه الذين حاربوه في صفّين ومن حيث الإمكانات المالية فهو مستعدّ أن يقتطع قسماً من أموال الدولة ليخصك بها حتى تتمكن بهذه الطريقة من الاستغناء عنه مالياً. و إدارة شؤون نفسك و أهل بيتك و شيعتك.

لو لم يقبل الإمام الحسن عليه‌السلام بالصلح في هذه الأجواء لأدانه التاريخ لكنه عليه‌السلام عندما قبل فإدانة التاريخ توجّهت إلى معاوية. و قد وافق معاوية على كل تلك الشروط بما يملك من قوة.

فيما بعد تسجّل لمعاوية انتصار سياسي و كشف عن أنه سياس محض أي ليس في وجوده و شخصيته إلا شخصية سياسية لأنه ما أن جلس على كرسي الخلافة وصار صاحب قدرة حتى داس على كل بنود الإتفاق و لم يعمل بأي منها و أثبت أنه رجل مخادع حتى انه عندما أتى إلى أهل الكوفة قال لهم بصريح العبارة: «ما قاتلتكم لتصلّوا و تصوموا و تحجّوا و لكن لأتأمّر عليكم». و عندما انتبه إلى خطأ هذه الجملة استدرك و قال ان تلك الأمور يمكنكم أن تؤدّوها بأنفسكم و ليس من ضرورة لأن أشدِّد عليكم فيها.

و كان قد تعهد أن الخلافة من بعده للإمام الحسن بن علي ثم الحسين بن علي عليه‌السلام لكنه بعد مضي ثماني سنين من حكمه بدأ يطرح ولاية العهد لإبنه يزيد

---

١ ـ و قد ذكروا ان معاوية لم يكن يأمل بأن يخاطبه الإمام الحسن عليه‌السلام بأميرالمؤمنين.

كما ضيّق على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ المضايقة مع أنه جاء في الإتفاق أن لا يضيَّق عليهم كما و صار في صدد الانتقام منهم. فلا فرق بحسب الواقع بين عثمان و معاوية الا أن الأوّل استطاع بنحو أو بآخر أن يحفظ مقامه بين المسلمين (غير الشيعة) على أنه أحد الخلفاء الراشدين مع ما كان عنده من زلل. لكـن مـعاوية عرف من أول الإمر كسياسى محتال و بحسب رأي فقهاء و علماء الإسلام بشكل عام (و ليس فقط نحن الشيعة) فإن معاوية و من بعده قد خرجـوا بـالكليّة عـن سلسلة خلفاء النبّي صلى الله عليه وآله الذين أتوا لتـطبيق الإسـلام و اعـتبروا مـن السـلاطين والملوك.

و بناء عليه عندما نريد مقارنة وضع الإمام الحسن عليه السلام بوضع الإمام الحسين عليه السلام نرى أنه ليس هناك أي مجالٍ لذلك.

و هنا قضية أخرى أردت التعّرض، لها و هي ان الإمام الحسين عليه السلام كان عنده منطق بليغ جداً و حجّة قاطعة ما هي؟ «من رأى سلطاناً جائراً مسـتحلاً لحـرام الله...كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» و لكن بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام لم تكن المسألة مطروحة بهذا النحو بل أقصى ما يمكنه عليه السلام التمسّك به أن هؤلاء سيفعلون كذا و كذا. و فرق شاسع بين (ان جاؤوا سيفعلون كذا) و بين (أنهم فـعلوه) فـفي الصورة الثانية نملك بالفعل الدليل و الحجُّ ضدهم. و هذا معنى ما يقال أن صلح الإمام الحسن عليه السلام هيّأ أرضية ثورة الإمام الحسين عليه السلام فكـان مـن الضـروري أن يجلس الإمام الحسن عليه السلام جانباً الى مدة حتى تتّضح ماهية الأمويين المخفيّة عن أعين الناس حتى يتوفر الأساس لنهضة تقام ضدهم فتكون مـبررة مـن الجـهة التاريخية. إذن إتفاقية الصلح أوضحت فيما بعد ان معاوية لا يريد الإلتزام ببنودها

حتى ان عدة من الشيعة جاؤوا إلى الإمام الحسن عليه السلام قائلين هذا الصلح كأنه لم يكن ـ و قد صدقوا في ذلك لأن معاوية أعلن نقضه ـ فطالبوه بالنهوض فأجابهم أنه لم يحن وقتها و لا بدّ من مهلة حتى يتضح أمر معاوية أكثر وحينذاك تكون النهضة. و هذا يعني أن الإمام الحسن عليه السلام لو بقي حيّاً إلى ما بعد معاوية و كان في نفس موقع الإمام الحسين عليه السلام لثار قطعاً.

و على هذا الأساس يعتبر كل عامل من هذه العوامل الثلاثة مقياساً صحيحاً و مشروعاً جدّياً في ثورة الإمام الحسين عليه السلام و يتبّين ان وضع الإمام الحسن عليه السلام مغاير تماماً لوضع الإمام الحسين عليه السلام. طلبوا من الحسين عليه السلام البيعة و لم تطلب من الحسن عليه السلام (و البيعة بحدّ ذاتها شيء مهم) كما ان الحجة قد تمّت على الإمام الحسين عليه السلام من ناحية أهل الكوفة و كان الناس يقولون ان الكوفة قد استيقظت بعد عشرين سنة فهي بعد هذه الأعوام التي عاشتها مع معاوية غير الكوفة قبل العشرين سنة فالآن عرفوا من هو عليّ و من هو الحسن و من هو الحسين (عليهم السلام) و عندما كان يذكر اسم الحسين عليه السلام كانت الدموع تجري (فقد أينعت الثمار و اخضرّت الأرض فاقبل يا ابن رسول الله و نحن مستعدون تمام الاستعداد.) والأمر الثالث هو ما ارتكبته الحكومة من فساد (لا أقول فساد الحاكم فإن فساد الحاكم شيء و فساد الحكومة شيء آخر) و معاوية قبل أن يستلم زمام الأمور في زمان الإمام الحسن عليه السلام لم تكن ماهيته قد اتضحت حتى يتهّيأ المجال (للقيام) تحت عنوان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و يتحقق تكليف بالفعل على هذا الصعيد بخلافه في عصر الإمام الحسين عليه السلام فإن الأمر قد كان كذلك بكل وضوح.

بنود الإتفاق

و سأذكر الآن بعض بنود الإتفاق كي يتّضح لكم حاله و قد رتبت المواد بهذا الشكل:

١ ـ تسليم الأمر لمعاوية بشرط العمل بكتاب الله و سنّة النبّي و سيرة الخلفاء الراشدين.

(و من اللازم هنا أن أبيّن) أن أمير المؤمنين عليه السلام كان منطقه يقول أنا لا أثور حتى أكون الخليفة أو يكون غيري الخليفة، و ان كانت الخلافة من حقّي فإن هذه وظيفة الناس، إنما أثور عندما ينحرف الذي تسلم الخلافة بأعماله و قد جاء في نهج البلاغة «و الله لأسالمن ما سَلِمت أمور المسلمين و لم يكن فيها جور إلّا علي خاصة»[1].

فمعنى هذا البند في الواقع ان الإمام الحسن عليه السلام قد عبّر عن استعداده للتنحّي ما دام الظلم واقعاً عليه وحده إذ حرم من حقّه، إذا كان الغاصب للخلافة سيجري أمور المسلمين في مجراها السليم.

٢ ـ بعد معاوية الأمر للحسن و إذا حدث له شيء فهو للحسين.

و معنى هذه الجملة ان الصلح مؤقّت لا أن الإمام عليه السلام صالح و انتهى الأمر وتخلّى عن كلّ شيء و خلّى بين معاوية و الخلافة يعمل ما يشاء فلا يشمل فترة مابعد معاوية إذن لا حقّ لمعاوية أن يعيّن خلفاً له.

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٧٤.

٣ ـ كان معاوية قد سنّ في الشام لعن أمير المؤمنين عليه السلام و أموراً غير لائقة في حقّه فجاء في متن الصلح أن هذه السنّة السيّئة يجب أن تتوقّف «فعلى معاوية التخلّي عمّا لا يليق بأمير المؤمنين و عن لعنه في الصلوات و ان لا يُذكر عليّ عليه السلام إلا بخير» و هذا أيضاً و افق عليه معاوية.

كانت هناك حملة إعلاميّة ضدّ عليّ عليه السلام فكانوا يقولون أننا نلعن علياً بسبب أنه ـ و العياذ بالله ـ خرج عن دين الإسلام. و بهذا البند تتم الحجّة على معاوية فانك إذا كنت ترى علياً عليه السلام رجلاً يستحق اللعن فلماذا تعهّدت بأن لا يذكر إلا بالحسنى و ان لم يكن عليه السلام مستحقاً لذلك و كان ما تعهّدت به هو الصحيح فلماذا كنت تلعنه؟ إلا أن معاوية قد داس على هذا البند أيضاً و دامت سنّته السيّئة مدة ٩٠ سنة.

٤ ـ «تسليم الأمر لمعاوية لا يشمل ما في بيت المال في الكوفة، الذي كان يحوي ٥ ملايين در هماً كما ان على معاوية أن يرسل إلى الحسن كل سنة مليوني درهم» و الهدف من هذا البند أن لا يضطر الشيعة للتوّسل إلى حكومة معاوية لقضاء حوائجهم و ان يعلموا أنهم إذا احتاجوا لشيء فالإمام الحسن و الحسين عليهما السلام يتولاّن قضاءه. «وان يتميّز بنو هاشم في العطايا و الهدايا عن بني أمية و يدفع مليون درهم يقسم بين عوائل الشهداء الذين قتلوا في حرب الجمل و صفّين ويجب أن يؤدّى هذا المال في خراج (دار ابجرد) و (دار ابجرد) بلدة من نواحي شيراز جعل خراجها مختصاً ببني هاشم.

٥ ـ تحقيق الأ من للناس في أية بقعة من بقاع الإرض كانوا، في الشام أو العراق أو اليمن أو الحجاز و أن يعيش السود و الحمر في أمان و على معاوية التغاضي عن اضطراباتهم».

و المقصود التخلّي عن الأحقاد القديمة لأن هؤلاء كانوا أكثر الذين حاربوا معاوية في صفّين «و أن لا يؤاخذ أي شخص بأخطائه السابقة و لا يؤاخذ أهل العراق بالضغائن القديمة و أن يحيى أصحاب عليّ في أمن و أمان أينما كانوا و لا يضيّق على موالي عليّ و ان لا يكون أنصار عليّ في حالة رعب في أموالهم أو أعراضهم أو أرواحهم أو أولادهم و لا يتعقّبهم أحد و لا يوجّه أحد إليهم أي ضربة. و ان يصل حق كل صاحب حق بسرعة و ان لا يؤخذ ما هو تحت يد أصحاب عليّ و أن لا يتآمر على شخص الحسن بن علي أو الحسين أو أي شخص من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله».

هذه المواد و بالأخصّ المادة الخامسة و الثالثة ـ و هي مسألة لعن أمير المؤمنين عليه السلام ـ و ان تضمنَتها المادة الأولى بالإجمال إذ اشترط فيها إلتزام العمل بكتاب الله و سنّة النبي و سيرة الخلفاء الراشدين لكن كان من الواضح ان معاوية سيخالف، فحتّى لا يبقى مجال للتأويل في خصوص هذين الأمرين نصّ عليهما ببندين مستقلين.

«فلا يوجّه إليهم إرعاب أو تهديد في أي أفق من آفاق البلاد الإسلامية»

اراد عليه السلام أن يبّين تشاؤمه من معاوية من أوّل الأمر.

هذه كانت مواد الإتفاق و قد مثّل معاوية، فيه عبدالله بن عامر، أرسله إلى الإمام الحسن عليه السلام حاملاً تلك الورقة البيضاء المذيّلة بالإمضاء و إعلان القبول بكل شرط يشترطه الإمام عليه السلام و قد دوّن عليه السلام هذه الشرائط. و قد أقسم معاوية مراراً ان يشهد الله و النبي صلى الله عليه وآله إن لم أفعل كذا فكذا و ان لم أفعل هذا فذاك، كتبت كل هذه الشروط و وقع الإتفاق.

و قد اتضح مما ذكرنا انه لا إشكال يرد على صلح الإمام الحسن عليه السلام في ظلّ الظروف التي مرّ بها عليه السلام، و أما قياس صلح الإمام الحسن عليه السلام ـ و هو في سدّة الخلافة ـ مع ثورة الإمام الحسين عليه السلام ـ و هو المعارض ـ مقايسة غير صحيحة إذا أخذت بعين الاعتبار كل تلك الفوارق التي ذكرناها. والذي نستنتجه ان الإمام الحسن عليه السلام لو لم يكن موجوداً في الزمن الذي كان فيه بل كان الخليفة بعد أمير المومنين عليه السلام هو الإمام الحسين لكان قد أقدم على الصلح أيضاً. كما أننا لو فرضنا بقاء الإمام الحسن عليه السلام حياً إلى ما بعد معاوية لكان قد قام بما قام به الإمام الحسين عليه السلام. لأن الظروف حينئذٍ كانت مختلفة.

* * *

سؤال و جواب:

السؤال: هل كان أمير المؤمنين عليه السلام ليصالح لو كان مكان الإمام الحسن عليه السلام أم لا؟ و الحال أن علياً عليه السلام يقول: لست مستعداً لتحمّل حكومة معاوية و لو يوماً واحداً فكيف رضي الإمام الحسن عليه السلام بحكم معاوية؟

الجواب: لا يصح الجواب عن السؤال إذا طرح بهذا النحو من أنه لو كان أمير المؤمنين عليه السلام مكان الإمام الحسن عليه السلام هل كان يصالح أم لا؟ لكن نقول: لو كانت ظروف الإمام عليّ عليه السلام كظروف الإمام الحسن عليه السلام لصالح، إن كانت هناك خشية من أن يقتل و هو في سدّة الخلافة، لكننا نعلم أن ظروف أميرالمؤمنين عليه السلام كانت مختلفة جداً عن ظروف الإمام الحسن عليه السلام، يعنى أن هؤلاء المفسدين إنما ظهروا

في أواخر حياة أمير المؤمنين‌عليه السلام و لذا كانت حرب صفّين في حال تقدم و لو لم ينشقّ الخوارج لكان انتصار أمير المؤمنين‌عليه السلام حتمياً فلا بحث من هذه الجهة. أما ما ذكرت من أن الإمام‌عليه السلام لم يكن مستعداً لتحمل حكم معاوية و لو يوماً واحداً فكيف رضي الإمام الحسن‌عليه السلام؟ فهذا خلط بين الأمور فإن الإمام علي‌عليه السلام لم يكن مستعداً لأن يتحمّل معاوية في الحكم. و لو يوماً واحداً بعنوان انه ولّي نائب عنه ومعيّن من قبله والإمام الحسن‌عليه السلام لم يرد أيضاً أن يكون معاوية نائبه بل أراد‌عليه السلام التنحّي. صلح الإمام الحسن‌عليه السلام يعني أن يتنحّى‌عليه السلام لا أن يلتزم بإدارة الشؤون، كما انه لم يؤت في الإتفاق على ذكر الخلافة أو لقب أمير المؤمنين أو لقب خليفة النبّي إنما كان الكلام ان يسلّم الأمر إلى معاوية بشرط أن هذا الشخص الذي لا يصلح لهذا الأمر عليه أن يأتي بالأعمال الصحيحة و أن يتعهّد بذلك ففرق بين الأمرين فأمير المؤمنين رفض أن يقبل كون معاوية والياً له ولو ليوم واحد و الإمام الحسن‌عليه السلام أيضاً يقبل بذلك و الصلح لا يعني ذلك.

سؤال: هل أوصى أمير المؤمنين‌عليه السلام إلى الإمام الحسن‌عليه السلام بخصوص كيفية التعامل مع معاوية؟

الجواب: لا أذكر أنني إلى الآن صادفت في وصايا الإمام علي‌عليه السلام شيئاً من هذا القبيل الا ان الأمر كان بحسب الظاهر واضحاً حتى إذا لم يبيّن لنا التاريخ ذلك فالأمر واضح، فإن الذي كان يزعجه وضع معاوية و كان يرى لا بدّية محاربة معاوية حتى النهاية حتى انه‌عليه السلام في أواخر عمره الشريف عندما حصل الارتباك في وضعه‌عليه السلام فإن الذي كان يزعجه وضع معاوية و كان يرى لا بدّية محاربة معاوية و تلك الخطبة المعروفة في نهج البلاغة التي يدعو الناس فيها للجهاد ثم

يذكر أصحابه الأوفياء الذين استشهدوا في صفّين حيث قال عليه السلام: أين إخواني الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟ أين عمّار؟ و أين ابن التيهان؟ و أين ذو الشهادتين»[١] ثم بكى عليه السلام. هذه الخطبة تلاها عليه السلام في صلاة الجمعة يدعو الناس فيها للتحرّك و قد ذكروا أنه لم تأتِ الجمعة المقبلة حتى كان عليه السلام قد ضُرب واستشهد.

الإمام الحسن عليه السلام أيضاً في أول الأمر كان مصمماً على الحرب مع معاوية لكن ما ظهر له عليه السلام من أصحابه من عدم الاستعداد و من خلافات داخلية، جعله يبدّل رأيه و يقبل بالصلح، أي رأى أن الحرب مخزية و دخول الحرب مع هؤلاء الناس مخزٍ و مشين، بل جاء إلى ساباط الإمام الحسن عليه السلام بعض أصحابه و طعنوه بالرمح في ساقه.

إحدى المميزات الكبرى في قضية الإمام الحسين عليه السلام أنه عليه السلام أوجد قوّة إيمانية هائلة قاومت في وجه الشدائد، و التاريخ لا ينقل أن أحداً منهم قد فرّ و التحق بالإمام عليه السلام في يوم عاشوراء. إذن لم يوجد في أصحابه عليه السلام من أظهر ضعفاً إلا شخص واحد (أو شخصان) اسمه الضحّاك بن عبدالله المشرقي الذي كان قد قال للإمام عليه السلام من أول الأمر: آتي معك على أنني إن لم أستطع أن أنفعك بشيء فسأتركك و الإمام قبل منه ذلك و بقي مع الإمام الحسين عليه السلام حتى العاشر من محرّم و حتى اللحظات الأخيرة فأتى إلى الإمام عليه السلام يقول قد وفيت بشرطي و الآن سأذهب لأنني أعلم أنه لا فائدة بعد من وجودي على الإطلاق فأذن له عليه السلام

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ١٨٢.

بالذهاب و كان عنده فرس سريع فركبه و ضرب الفرس ضربات محكمة ليتهيّأ الفرس، و الموقع كان محاصراً فنظر إلى نقطة انطلق بالفرس إليها و شقّ جيش العدوّ و تمكّن من الفرار فلحقته جماعة لكن كان فيهم من يعرفه فطلب أن يترك و شأنه فهو يريد الفرار، ثم رحل. لكن ليس هناك أحد غيره على الإطلاق أبرز ضعفاً بخلاف أصحاب الإمام الحسن عليه السلام الذين أظهروا الضعف و الذلّ، فلو لم يصالح عليه السلام لقُتِلَ هو وهزم أصحابه. إذن هناك فرق بينهما عليهما السلام.

و الغرض أن أميرالمؤمنين كان يريد القتال و كذلك كان الإمام الحسن عليه السلام في ابتداء الأمر لكن الأمور التي ظهرت من أهل الكوفة منعت من إدامة الحرب حتى أنه عليه السلام دعا ذلك القدر القليل من جيشة للذهاب إلى نخيلة الكوفة[١] و خطب فيهم و دعا الناس للذهاب إلى هناك. لكنه عندما خطب عليه السلام لم يلبِّه أحد حتى قام عديّ بن حاتم و لام الناس على تقاعسهم ثم أعلن التلبية و انطلق و كان معه ألف شخص ثم انطلق آخرون بعدهم. توجّه الإمام عليه السلام إلى النخيلة و بقي فيها عشرة أيام، و كان مجموع الذين تجمّعوا هناك ٤ آلاف نفر. ثم عبّأ الناس مرة أخرى فاجتمع هذه المرةعدد كثير لكن مع ضعف، و البعض رشاهم رؤساؤهم بالمال ففرّوا في الليل و هكذا رأى الإمام عليه السلام ان الساحة لا تصلح لحرب مشرفة.

سؤال: الظاهر عدم صحة ما ذكرته من أنه لو لم يصالح الإمام الحسن للامه التاريخ أن لِمَ لم تصالح مع قدرتك عليه في مثل تلك الظروف التي كنت فيها؟ لأن الناس كانت قد تلقّت الورقة البيضاء الممضاة المرسلة إلى الإمام الحسن عليه السلام على

---

١ ـ معسكر الإمام الحسن و كان للإمام علي عليه السلام.

أنها خدعة، لأن معنى ذلك ان سجّل كل ما تريد، أنا الذي لا أقبل بكلامك والناس كانت قد تعرّفت على معاوية في زمان الإمام عليّعليه السلام.

الجواب: الواقع أن معاوية كان يمكنه أن يحقق خدعة أخرى عبر إرساله الورقة المذكورة و هو أن يرى ما يكتبه الإمام الحسنعليه السلام من شروط هل هي شروط إسلامية أم لا؟ لأن معاوية يريد في الموقع الذي هو فيه ـ و كذلك بلحاظ الواقع ـ أن يرى ماذا يريد الإمام الحسنعليه السلام (كما ان الإمام الحسنعليه السلام يريد ذلك أيضاً) و يرى هل أن شروطهعليه السلام تصبّ في مصلحته الشخصية أم في مصلحة المسلمين؟ و قد رأينا أن كل الشروط التي كُتبت كانت لمصلحة المسلمين و لم يكن الإمام الحسنعليه السلام يستطيع فعل غير ذلك.

أنت تقول ان الناس تلقّت فعل معاوية على أنه خدعة. و الواقع ان الناس كانت ترى في معاوية رجلاً مقبولاً و طالبوا الإمام الحسنعليه السلام أن يقول ما عنده ليروا ما يريده؟ فهل تريد مجرّد أن تكون أنت الخليفة أم تريد شيئاً آخر؟ فإن كان شيئاً آخر فهذا الرجل مستعدّ واقعاً لإيصال المسلمين إلى السعادة.

ثم قلت ان الناس تعرّفت عى معاوية في زمان أمير المؤمنينعليه السلام، و الوافع ان الناس كانت تعرف معاوية على أنه حاكم جيّد و ان كان في نفسه سيئاً و هو أحد الأمور التي ساهمت في كسل أهل الكوفة و ضعفهم. كانوا يقولون: صحيح أن معاوية رجل سيىء لكنه مع الرعية ممتاز فانظروا كيف يتعامل مع أهل الشام؟ و كم هم الشاميّون راضون عنه؟ فأولئك الذين تعرّفوا علىٰ معاوية انما كوّنوا عنه هذه الصورة نتيجة سوءه في حدّ نفسه و لكنه حاكم جيّد، فإذا صار هو الحاكم فلن يفرق بين أهل الكوفة و غيرهم خصوصاً و ان معاوية عرف بالحلم و التغاضي،

معاوية كان ذا حلم سياسي فإذن سيعامل أهل الكوفة بهذا الحلم، و لو أن معاوية فعل ذلك لسجّل لنفسه انتصاراً معنوياً. كان ذا حلم سياسي حتى ان الناس قد يشتمونه و هو حاضر فيضحك و يبذل المال و يستجلبهم فكانوا يرون ان الحكومة لا تحتاج إلى أفضل من ذلك، ان كان معاوية رجلاً سيئاً فليكن. و على هذا الأساس رضي الإمام الحسن عليه السلام بالصلح (و قيل انه كان يقول للناس) حسناً قد أتينا بهذا الرجل السيّىء كي يأتي بالصحيح من الأعمال فلنرَ هل هذا الذي تتوقّعون منه الأعمال الحسنة سيقوم بها أم لا؟ فلم تكن تعرفه الناس على الإطلاق على أنه حاكم جائر، نعم عرفوا عنه انه طالب رئاسة، ساع للجاه و ليس أكثر من ذلك، و انما اكتسبوا المعرفة الواقعية بمعاوية خلال فترة صلح الإمام الحسن عليه السلام و عرفوا أي حاكم هو هذا الرجل!

سؤال: هل وقع الإمام الحسين عليه السلام الصلح أم كان عنده اعتراض عليه؟

الجواب: لم أرَ في مورد أن الإمام الحسين عليه السلام وقّع على الصلح إذ لا ضرورة لذلك لأن الإمام الحسين عليه السلام كان في ذلك الوقت مأموماً و مسلِّماً للإمام الحسن عليه السلام و أي عمل يقوم به الإمام الحسن عليه السلام، كان عليه السلام يقبله و يلتزم به، حتى أن جمعاً من رافضي الصلح جاؤوا إلى الإمام الحسين عليه السلام يعلنون رفضهم لهذا الصلح فسألوه البيعة فأجابهم عليه السلام بالرفض مبيّناً لهم تبعيته لما يقوم به الإمام الحسن عليه السلام، فمن الجهة التاريخية كانت الموافقة التامّة للإمام الحسين عليه السلام على صلح الإمام

الحسن عليه السلام مسلّم بها[١] أي لم يصدر منه عليه السلام أدنى مخالفة لهذا الصلح و لم يُرَ في مورد اعتراضه و عدم موافقته بحيث انه يوافق عندما يرى الإمام الحسن مصمماً على الصلح، لا لم يظهر منه عليه السلام أي إعتراض على الإطلاق.

---

١ ـ نقول من جهة تاريخية، أما من جهة الإمامة لا مجال للفصل بين ما يقبله الإمام الحسن عليه السلام و ما يقبله الإمام الحسين عليه السلام.

الفصل الثالث

كلمة عن الإمام زين العابدين عليه السلام

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الإمام زين العابدين عليه السلام هذا الوجود المقدّس كان سيّد الروحانية (الروحانية بمعناها الصحيح) أي أن من فلسفة وجود رجل مثل علّي بن الحسين عليه السلام، إنّ الإنسان عندما ينظر إلى آل النبيّ صلى الله عليه وآله كلهم و منهم علّي بن الحسين عليه السلام يرى روحانيّة الإسلام أي حقيقة الإسلام و هذا أمر في حدّ ذاته مهم، و الإنسان عند ما يرى رجلاً مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام هذا الذي تربّى و ترعرع منذ الطفولة على يد النبيّ صلى الله عليه وآله و الذي كان رأس النبيّ صلى الله عليه وآله في حضنه في آخر لحظة من حياته الشريفة حيث سلّمت الروح لخالقها، هذا الرجل الذي عاش منذ طفولته في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله و لم يعش أي شخص مع النبي صلى الله عليه وآله بمقدار ما عاش هو عليه السلام معه، أجل عندما ينظر الإنسان إلى حياة عليّ يرى كل الإيمان بالنبيّ صلى الله عليه وآله و يرى النبيّ صلى الله عليه وآله من مرآة وجود عليّ عليه السلام، فما سرّ كون رجل مثل عليّ كلّه إيمان.

عبادة الإمام عليه السلام:

كل أهل البيت (عليهم السلام) كانوا هكذا و هذا من عجائبهم. و الإنسان عندما يرى ذلك الخوف من الله عند عليّ بن الحسين عليه السلام، تلك الصلوات التي كانت في الواقع مناجاة ـ و حسب تعبير ألكسيس كارل : ـ كانت تحليق الروح نحو الله ـ فلم تكن صلاته مجرّد أن يقف ببدنه مستقبلاً القبلة و تسرح الروح في مكان آخر أبداً. كانت كأن الروح قد انفصلت عن هذا البدن، أجلٍ عندما يرى المرء عليّ بن الحسين عليه السلام يسأل نفسه ما هذا الإسلام؟ و ما هذه الروح؟:

من أين تأتي كل ذي النغمات   و ان تكن من حلق عبدالله[1]

عندما يرى المرء عليّ بن الحسين عليه السلام يرى كأنه النبيّ صلى الله عليه وآله في محراب عبادته في الثلث الأخير من الليل أو كأنه النبيّ صلى الله عليه وآله في غار حرّاء ففي ليلة كان الإمام عليه السلام مشغولاً بالمناجاة و الدعاء الذي كان يليق به عليه السلام فوقع أحد أولاده عليه السلام من مكان فانكسر عظمه بحيث احتاج إلى جبر فلم يأتِ أهل بيته عليه السلام إليه يقطعون عليه عبادته بل ذهبوا و جبّروا الكسر و ربطوا يد الطفل و قد اشتدَ صراخه حتى ارتاح الولد و انتهت المسألة. و في الصباح يرى الإمام عليه السلام يد إبنه فيسأل عنه؟ فقالوا حيث كنت منشغلاً بالعبادة فاتَضح ان الإمام عليه السلام كان في حالة انجذاب بشكل كانت روحه محلّقة نحو الله حتى انه لم يسمع أي صوت من تلك الأصوات.

---

١ ـ الشعر بالفارسية:

اینهمه آوازه‌ها از چه بود   گر چه از حلقوم عبدالله بود

رسول المحبة: كان زين العابدينعليه السلام رسول المحبة و هذا من عجائبهعليه السلام فقد كانعليه السلام، إذا رأى شخصاً لا أهل له أو غريبا فقيراً أو مسكيناً أو شخصاً لا يعتني به أحد فكانعليه السلام يظهر له المودّة و يلاطفه و يأتي به إلى بيته. فرأى يوماً جمعاً من المصابين بالجذام ـ والكلّ كان يفرّ من الجذامى حتى لا تسري إليه العدوى لكن هؤلاء أيضاً عباد الله) فدعاهمعليه السلام إلى بيته و اعتنى بهم، كان بيتهعليه السلام بيت المساكين و اليتامى بيت من لا حول و له و لا قوّة.

الخدمة في قافلة الحج: كان ابن النبيّصلى الله عليه وآله إذا أراد التوجه لأداء فريضة يأبى الذهاب مع قافلة يعرفونه فكان يترقّب مرور قافلة من مكان بعيد بحيث لا يعرف فيها فيدخل فيهم غريباً فالتحق يوماً بإحدى هذه القوافل و طلب الإذن في أن يخدمهم فوافقوا و كان السفر في تلك الأيام على الفرس و الجمل و نحوه والمسافة تمتدّ إلى إثنتي عشر يوماً و الإمام في هذه المدة يبدو كخادم لهذه القافلة ولكن أثناء الطريق التقى رجل بهذه القافلة و كان يعرف الإمامعليه السلام فما أن تعرّف عليه حتى ذهب إليهم ليسألهم من هو هذا الذي أتيتم به لخدمتكم؟ قالوا شاب لا نعرفه من المدينة و هو شاب شهم جداً قال: لا تعرفونه و لو عرفتموه لما اتخذتموه خادماً و لما أصدرتم له أمراً، قالوا: و من هو؟ قال: هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، ابن النبيصلى الله عليه وآله حينئذٍ أسرعوا إليه وارتموا تحت أقدامه قائلين: مولانا ما هذا الذي قمت به؟ كان يمكن أن ينالنا عذاب الله بعملنا هذا ان حصلت منّا جسارة بحقّك و أنت العزيز و نحن خدّامك فأبى و قال: أنا أعلم أنني عندما أذهب في قافلة تعرفني فلن يقبل أحد منهم أن اخدم لهذا أريد السفر مع قافلة لا يعرفني فيها احد حتى أوفّق و أنال سعادة خدمة المسلمين و الأصحاب.

دعاء و بكاء الإمام: لم تسنح للإمام عليّ بن الحسين عليه السلام فرصة كالتي سنحت لأبيه أبي عبدالله عليه السلام كما أنه لم تتسنّى له الفرصة التي تسنّت للإمام الصادق عليه السلام. الا ان الذي يريد خدمة الإسلام يرى في كل موقع فرصة و ان كانت الفرص تختلف. فانظروا ماذا قدّم الإمام زين العابدين عليه السلام للعالم الشيعي من فخر ظهر بشكل دعاء. و في نفس الوقت الذي لبس فيه الإمام عليه السلام لباس الدعاء فقد كان يقوم بنشاطه.

يتخيّل البعض ان الإمام زين العابدين عليه السلام لمّا عاش فترة بعد أبيه و لم يقم بالسيف فهذا يعني أن القضايا صارت منسيّة. أبداً ليس الأمر كذلك فإنه عليه السلام كان يستفيد من أي مجال ليحفظ و يبقي آثار ثورة أبيه عليه السلام حيّة. و إلا فلماذا كان ذلك البكاء الذي كان عليه السلام يبكيه و تلك الذكرى؟ هل انها مجرد حالة رجل يحترق قلبه و يبكي بلا هدف؟ أم انه كان يريد إبقاء الواقعة حيّة و أن لا ينسى الناس لماذا ثار الإمام الحسين عليه السلام و من هم الذين قتلوه؟

كان عليه السلام يبكي يوماً بكاءً شديداً فقال له أحد خدّامه: ألم يئن الوقت يا مولاي كي تتوقّف عن البكاء؟ ظنّاً منه ان بكاء الإمام عليه السلام لمجرّد فقد عزيزه، فقال له: ما تقول؟ لم يكن ليعقوب أكثر من يوسف و القرآن يصف حالته بـ ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾[1] و أنا قد رأيت بأمّ عيني ١٧ يوسفاً يسقط كلّ منهم تلو الآخر على الأرض.

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

---

١ ـ سورة يوسف الآية ٨٤.

الفصل الرابع

الإمام الصادقعليه السلام ومسألة الخلافة

الجلسة الأولىٰ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

و صل بحثنا في مسألة الخلافة و الإمام إلى مسألة الإمام الحسنعليه السلام و بعدها مسألة ولاية العهد للإمام الرضاعليه السلام[1] و في كلا الموردين كانت هناك تساؤلات بحثنا فيها. و لكي تكتمل سلسلة هذه المسائل نتعرّض لمسألة أخرى حدثت مع الأئمّةعليهم السلام على هذا الصعيد تشبه هذه المسائل من بعض الجهات مع تساؤلات بل اشكالات في هذا المجال و هي مسألة مرتبطة بالإمام الصادقعليه السلام. و لم تكن مسألة الخلافة مطروحة بأي نحو لغير هؤلاء الأربع من الأئمةعليهم السلام، أعني أمير المؤمنين و الإمام الحسن و الإمام الرضا و الإمام الصادقعليهم السلام و قد توفرت للإمام الصادقعليه السلام القدرة على الخلافة إجمالاً.

و في الواقع هنا سؤالان في مورد الحديث عن الإمام الصادقعليه السلام:

---

١ ـ هذا البحث بحسب الترتيب الزماني كان بعد بحث ولاية العهد للإمام الرضاعليه السلام.

أحدهما: انه في زمان الإمام عليه السلام أي في أواخر عصر بني أمية و أوائل عصر بني العباس سنحت فرصة سياسية مناسبة استغلها بنو العباس فكيف لم يستفد منها الإمام الصادق عليه السلام؟ و قد سنحت هذه الفرصة حيث ازداد معارضو بني أمية بين العرب و الإيرانيين، لسبب ديني أو غير ديني و السبب الديني هو ذلك الفسق والفجور المتزايد الذي كانوا يشتهرون بممارسته، و المتديّنون أدركوا ان هؤلاء فسّاق فجّار لا يليقون بالخلافة إضافة إلى ما ارتكبوه من جنايات بحق عظماء الإسلام و أهل التقوى (و أمثال هذه القضايا يكون تأثيرها تدريجياً) و بشكل خاص ابتداءاً من زمن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام حيث نضج حس النفور تجاه بني أميّة ثم الانتفاضات التي حدثت ـ كثورة زيد بن على بن الحسين و ثورة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ـ قد أزالت عنهم صبغتهم الدينية.

فأعمال الفسق و الفجور التي سمعتم بها و شراب الخمر و الترف و إتيان هذه الأمور بلا أي تستّر أسقط عنهم قناعهم. و بناء عليه فمن الجهة الدينية فالناس متنفرة منهم.

و من الجهة الدنيوية أيضاً كان حكّامهم يظلمون و بالخصوص امثال الحجّاج ابن يوسف حاكم العراق و غيره في خراسان الذين ارتكبوا المظالم الكثيرة. والإيرانيون و خصوصاً الخراسانيين منهم ـ و المراد بخراسان المعنى القديم الواسع ـ قد أوجدوا حركة و اضطراباً ضدَ بني أميَة، أوجدت فصلاً بين الإسلام وبين جهاز الخلافة و بشكل خاص ان بعض ثورات العلويين كان لها التأثير التام في خراسان مع ان الثائرين أنفسهم قد ماتوا لكن تأثيرها من الجهة الإعلامية كان فائقاً.

زيد بن الإمام زين العابدينؑ ثار في الكوفة التي عاهده أهلها و بايعوه لكن لم يبق معه إلا عدد قليل منهم و قد قُتِل قرب الكوفة قتلاً فظيعاً و قد تعاملوا معه بشكل إجرامي مروِّع فمع ان أصحابه اجتازوا ليلاً (نهر الأزرق) مياه النهر وحفروا له قبراً في نواحيه و دفنوه فيه و أجروا مياه النهر عليه مرّتين حتى لا يعرف قبره لكن الحفّار رفع تقريراً و دلّ على القبر فجاؤوا بعد أيام و أخرجوا بدنه و صلبوه وأبقوه على الخشبة مدة طويلة حتى يبس و يقال ان مدة بقائه كانت أربع سنين وكان لزيد ابن شاب اسمه يحيى ثار أيضاً وانهزم فرحل إلى خراسان و كان لرحيله إلى خراسان أثر كبير فمع انه قتل في حرب بني أميّة لكنهم أحبّوه حباً عجيباً. والذي يظهر أنه قد اتضح لأول مرة لأهل خراسان ان أولاد النبي يقومون ضد جهاز الخلافة. ففي تلك الأزمنة لم تكن أخبار الحوادث و الوقائع تصل بسرعة اليوم. و في الواقع فإن يحيى استطاع أن يبلّغ لقضيّة الإمام الحسينؑ وأبيه زيد و سائر الأمور بشكل ان الخراسانيين عندما ثاروا ضدّ بني أميّة أقاموا ٧٠ يوماً عزاء على يحيى بن زيد. (فصار معلوماً ان الثورات قد لا تحقق أهدافها في بداية الأمر لكن أثرها سيظهر فيما بعد).

و على كل حال فقد تهيّأت في خراسان قاعدة لثورة. طبعاً لم تكن ثورة ذات زعامة بكل ما للكلمة من معنى لكن إجمالاً كانت بمقدار عدم الرضى و الاستياء الشديدين.

استفادة بني العبّاس من عدم رضى الناس

استفاد بنو العباس من مجريات الأمور أقصى الإستفادة و كانوا ثلاثة أخوة

إبراهيم الإمام، أبو العبّاس السفّاح، و أبو جعفر المنصور، من صلب العباس ابن عبد المطلب عمّ النبيّ. و كانوا أبناء عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس المعروف. و بعبارة أخرى عبدالله بن العباس الذي كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كان عنده ولد اسمه عليّ و عليّ عنده ولد اسمه عبدالله و هو والد هؤلاء الثلاثة إبراهيم الإمام و أبو العباس السفاح و أبو جعفر المنصور و للانصاف ان هؤلاء الثلاثة كانوا من النوابغ و قد استفادوا من الإحداث التي جرت في أواخر عهد بني أمية. فربّوا بشكل سرّى دعاة و مبلّغين، و أوجدوا تشكيلاً سرياً، وتستّروا هم أنفسهم في الحجاز و العراق و الشام و تزعّموا تنظيماتهم و بثوا وكلاءهم في الأطراف و النواحى و بشكل أكثر في خراسان يدعون الناس إلى الثورة، والإنتفاضة ضدَ جهاز الخلافة. الا انه من الجهة الإيجابية لم يكونوا يقترحون شخصاً محدداً بديلاً عن بني أميّة و كانوا يدعون الناس تحت شعار الرضى من آل محمد أو الرضا من آل محمد (أي أحد أفراد أهل بيت النبي المقبولين) و من هنا يعلم أن الأساس الذي تحرك عليه الناس كانت ركيزته أهل بيت النبّي و هي ركيزة إسلامية و هؤلاء الذين يريدون اليوم أن يصبغوا تلك الثورات التي اندلعت في خراسان كثورة أبي مسلم صبغة إيرانية و ان الناس حركهم التعصّب القومي والإيراني فهناك مئات الشواهد و الأدلَة على ان الأمر ليس كذلك. و ليس البحث الآن في هذه القضية لكن الشواهد و الدلائل على ذلك كثيرة. طبعاً لم يكن الناس راضين عن هؤلاء إلا انهم كانوا يرون ان الذي ينجّيهم هو الاحتماء بالاسلام من بني أمية و ليس أي أمر آخر، كل شعاراتهم كانت شعارت إسلامية في خراسان العظيمة الواسعة و لم يكن هناك من يستطيع أن

يفرض على الذين نهضوا ضدّ الجهاز الحاكم اختيار الشعارات الإسلامية دون الإيرانية ففي ذلك الوقت كان الخروج عن سلطة الخلافة و الخروج من الإسلام بالنسبة للخراسانيين كشربة ماء لو أرادوا ذلك لكنهم لم يفعلوا بل جاهدوا النظام الحاكم باسم الإسلام ولأجل الإسلام لهذا فاليوم الأول لإعلان ثورتهم كان في سنة ١٢٩ في مرو في قرية اسمها «سفيدنج» ـ وقد اختاروا يوم عيد الفطر ليعلنوا عن ثورتهم بعد صلاة العيد ـ ففي ذلك اليوم كان الشعار الذي كتب على الرايات هو أول آية نزلت في الجهاد ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُـلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1] و ما أجمل هذه الآية! فقد عانى المسلمون في مكة من ظلم قريش مدة بقائهم من دون أن يعطى لهم الإذن بالجهاد حتى نالوا الإذن في المدينة على أساس أنهم شعب ظلم ليدافعوا عن حقهم. و في الأساس بدأ الجهاد بهذه الآية التي نزلت في سورة الحج. كما جعلوا آية أخرى شعاراً لهم هي **﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾**[2] كناية عن أن بني أمية خالفوا الإسلام و نادوا بالعروبة و ميّزوا العرب عن العجم و هذا مخالف لأصل من أصول الإسلام، فهم في الواقع كانوا يدعون العرب إلى الإسلام، و قد ورد حديث ذكرته في كتاب الخدمات المتبادلة بين الإسلام و إيران: «ان النبيﷺ أو أحد أصحابه رأى في المنام غنم بيض انضمّت إلى غنم سود واختلطت ببعضها فأولدت. و فسّر النبيّﷺ المنام بأن العجم

---

١ ـ سورة الحجّ، الآية ٣٩.

٢ ـ سورة الحجرات، الآية ١٣.

ستدخل في الإسلام و يتزوّجون منكم رجالكم مع نسائهم و نساؤهم مع رجالكم»[1]. و غرضي هو هذه الجملة «و سيأتي يوم تقاتلكم فيه العجم لأجل الإسلام كما قاتلتموهم يوماً لأجل الإسلام» أي كان لكم يوم حاربتم فيه العجم تريدون أن يدخلوا في الإسلام و سيأتي يوم يحاربكم فيه العجم حتى يعيدوكم إلى الإسلام. و من مصاديق هذا الحديث هذه النهضة.

أدار بنو العباس هذه النهضة عبر تنظيمات سريّة و بشكل دقيق جداً و منظّم وراقٍ و أرسلوا أبا مسلم إلى خراسان، لا لأنه صانع هذه الثورة بل لأن العباسيين كانوا يرسلون الدعاة إلى خراسان لينشروا الدعوة. و أبو مسلم مجهول النسب و لا يعرف من أين هو و لم يستطع التاريخ حتى الآن أن يثبت أنه إيراني أو عربي وعلى فرض أنه إيراني فهل هو أصفهاني أو خراساني هو شاب يبلغ ال ۲۵ سنة من العمر صادفه إبراهيم الإمام فرأى فيه قدرات ممتازة فأرسله إلى خراسان معتبراً إياه أهلاً لهذا العمل و استطاع أبومسلم بما يملكه من حنكة أن يسلّط الضوء عليه و أن يُختار قائداً لهذه النهضة في خراسان. طبعاً أبومسلم كان زعمياً محترماً و لامعاً بالمعنى السياسي للكلمة لكنه في نفس الوقت كان رجلاً سيئاً جداً لا يملك من الإنسانية شيئاً كالحجّاج بن يوسف. و إذا كان العرب يفتخرون بالحجّاج بن يوسف فلنا الحقّ أن نفتخر بأبي مسلم! الحجّاج كان رجلاً ذكياً جداً وقدراته جيّدة و قائداً محنكاً لكنّه سيّىء و قد نفع عبدالملك كثيراً لكنه في الوقت نفسه

---

۱ ـ كذا في النسخة الفارسية و يمكن أن يكون هناك خطأ مطبعي و الأصل «و نساؤكم من رجالهم» المترجم.

رجل ضدّ الإنسانية لا يملك ذرّة من الإنسانيّة و يقال أنه قتل ١٢٠ ألف شخص مدة حكومته. كما أنه يقال ان أبا مسلم قتل ٦٠٠ ألف رجل فكان يقتل حتى الصديق الحميم لأدنى عذر و لم يكن يراعي كون الشخص إيرانياً أو عربياً انه كان ذو تعصب قومي.

و لم نرَ نحن أي تدخّل للإمام الصادقعليه السلام في هذه الدعوات بخلاف بني العباس الذين تدخّلوا فيها تمام الدخالة كانوا واقعاً مستعدين للتضحية بأرواحهم و قد تكرر منهم القول إما أن نقتل أو نستلم الخلافة.

يضاف إلى ذلك مسألة أخرى هي ان بني العباس كان عندهم داعيان و مبلّغان تزعما هذه النهضة أحدهما في العراق و الكوفة ـ سراً ـ و الآخر في خراسان والأول هو أبو سلمة الخلال و الذي في خراسان هو أبو مسلم و الأول يلقّب بوزير آل محمّد و لقب الثانى أمير آل محمّد. كان ابو سلمة رجلاً مدبراً، سياسياً، يفهم في الأمور، عالماً، يحسن الكلام والحديث. و من سيّئات أبي مسلم انه قد دخله الحسد و التنافس مع أبي العباس السفاح، ان هذا الرجل خطر فاقض عليه كما كتب إلى أعمام السفاح و أقاربه و حرّك مؤامرة ضدّه لكن السفّاح لم يكن حاضراً لقتله مهما قيل له، و كان يتساءل لماذا أقتل رجلاً قدّم لنا كل هذه الخدمات و قدّم لي كل هذه التضحيات؟ و كانوا يقولون له انه يسر شيئاً آخر فهو يطمع بأخذ الخلافة من بني العباس و تسليمها إلى آل أبى طالب فأجابهم ان شيئاً من ذلك لم يثبت ولو كان هناك مثل هذا الشيء فهو مجّرد خاطر خطر على باله و خياله كأي بشر قد تعرض له مثل هذه الخواطر و الأوهام. فلم ينجح أبو مسلم في مسعاه لإقناع السفّاح بقتل أبي سلمة رغم ما بذله أبومسلم في هذا الصدد. ثم علم أبو

مسلم ان أباسلمة علم بالمكيدة فصمّم على قتله بنفسه و كذلك فعل فقد كان أبوسلمة يقضي أكثر الليالي مع السفّاح يتبادلان الحديث ثم يعود في آخر الليل فأمر أبو مسلم أن تكمن له جماعة و تقتله و حيث كان بعض حاشية السفّاح في رفقة (القاتل أو القاتلين) فإن دم أبي سلمة قد راح هدراً.

و هذه الأمور حدثت في السنين الأولى لخلافة بني العبّاس.

و هناك حادثة نقلت و يكثر التساؤل عنها و هي:

رسالة أبي سلمة إلى الإمام الصادق عليه السلام و عبدالله المحض

يذكر المسعودي في تاريخه ان أبا سلمة رأى في آخر الأمر أن يعيد الخلافة من بني العبّاس إلى آل أبي طالب، أي انه في تمام مدة اشتغالهم بالدعوة كان أبو سلمة يدعو لبني العباس حتى سنة ١٣٢ ه‍ ـ حيث ظهر بنو العباس في العراق علناً وفتحوها. و كان إبراهيم الإمام يعمل سراً فيها قريب الشام و كان هو الأخ الأكبر وكانوا قد طلبوا منه ان يكون الخليفة لكن إبراهيم وقع في قبضة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية و لما أحسّ أن مخبأه قد عرف و انه عن قريب سيؤخذ كتب وصية أرسلها مع أحد رجاله إلى أخويه في «الحُميمة» و هي مركز قرب الكوفة يرسم في تلك الرسالة الخط السياسي في المستقبل و عيّن فيها خلفه و ذكر لهم الاحتمال القوي أنه يقتل «فإن متّ فالسفّاح هو الخليفة» (و قد عيّن السفّاح مع انه كان أصغر من المنصور) و أمرهم أن آن الأوان للخروج من الحُميمة فاذهبوا أو اختبئوا في الكوفة فقد قرب وقت الظهور. قتل إبراهيم و وصلت الرسالة إلى

أخويه فانتقلا سراً إلى الكوفة و بقيا متسترين مدة وكان أبو سلمة أيضاً يعمل في الكوفة سراً يقود النهضة فما أن مضى شهران أو ثلاثة حتى أعلنوا عن أنفسهم وحربهم وفتحوا العراق. ذكروا أنه بعد أن قتل إبراهيم و انتقلت الأمور إلى السفاح والآخرين ندم أبو سلمة و رأى أن يرجع الخلافة من بني العباس إلى آل أبي طالب فكتب رسالة بنسختين أرسلهما سراً إلى المدينة إحداهما إلى الإمام الصادقعليه‌السلام و الأخرى إلى عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي‌طالب[١] وقال لمأموره سلّم هاتين الرسالتين سراً إلى هذين الشخصين و لاتخبر أياً منهما أن هناك رسالة للآخر[٢]. و خلاصة ماكتبه في الرسالة ان الخلافة أمرها بيدي وأمر الكوفة بيدي أنا الذي جعلت القضية لصالح بني العباس فإن و افقتم أعيد الأوضاع لصالحكم.

---

١ ـ كان للإمام الحسنعليه‌السلام ابن اسمه الحسن أيضاً يقال له الحسن المثّنى أي الحسن الثاني و قد كان الحسن المثنى في كربلاء مع الإمام الحسينعليه‌السلام لكنه كان من المجروحين و لم يُقتل وعندما جاؤوا إلى الجرحى أخذه أحد أقاربه من جهة أمه معه و تشفّع له عند عبيدالله ابن زياد لا يتعّرضوا له ثم عولج الحسن المثنّى و شفي و تزوّج من فاطمة بنت الحسينعليه‌السلام ـ التي كانت في كربلاء أيضاً لكنها كانت لا تزال صغيرة السن و في البيت و كتبوا أنها: كانت جارية وضيئة ـ (وفاطمة هذه التي طلب شخص من يزيد أن يهبه إياها و سكت يزيد ثم كرّر الطلب فاعترضت زينبعليها‌السلام و قرّعته و انزعج يزيد أيضاً فشتمه على قوله ذلك)أولدت فاطمة ولدين أحدهما عبدالله، فعبدالله من جهة أمه حفيد الإمام الحسينعليه‌السلام و من جهة أبيه حفيد الإمام الحسنعليه‌السلام و كان يفتخر بذلك و يقول قد أولدتني فاطمة (أي فاطمة الزهراءعليها‌السلام المترجم) مرتين و أولدني النبيّ مرّتين و لهذا كان يقاله له عبدالله المحض أي كان من أولاد النبيّ خالصاً و عبدالله كان زعيم بني الحسنعليه‌السلام في زمان الإمام الصادقعليه‌السلام كما ان الامام الصادقعليه‌السلام كان كبير بني الحسينعليه‌السلام.

٢ ـ في جلسة لا حقة ذكر الاستاذ الشهيد ان «ابو سلمة قد ارسل الرسالتين مع شخصين»فيحتمل أن النقل متعدد.

ردّة فعل كل من الإمام عليه السلام و عبدالله المحض

أوصل المبعوث الرسالة أولاً إلى الإمام الصادق عليه السلام (ليلاً) ثم إلى عبدالله المحض و كانت ردّة فعل كل منهما على طرفي نقيض مع الآخر فعندما و صلت الرسالة إلى الإمام الصادق عليه السلام قال المرسَل أتيتك بهذه الرسالة من أحد شيعتك من أبى سلمة فقال عليه السلام ليس من شيعتي أبو سلمة، قال على كل حال هذه رسالة و ينتظر الجواب فطلب عليه السلام السراج فأحرق الرسالة دون أن يقرأها بحضور المرسل و قال له هذا هو الجواب لصاحبك ثم أنشد عليه السلام:

أيـا موقداً نـاراً لغـيرك ضـوؤها و يا حاطباً في غير حبلك تحطب[1]

و القدر المتيقّن أن الإمام عليه السلام يريد أن يبيّن ان هاهنا رجلاً يتعب و الآخر هو الذي ينال ثمرة ذلك التعب و حينئذ اما انه عليه السلام أراد التمثيل لحال أبي سلمة انك تتعب كل هذا التعب و لن تجني منه شيئاً بل المستفيد غيرك أو أنه عليه السلام يخاطب نفسه إذا وافق على طلب أبي سلمة و المعنى أنه يدعوني إلى أمر نبذل نحن الجهد فيه و يستفيد منه غيرنا.

إذن لم يكن هناك أي أمر آخر فقد أحرق الإمام عليه السلام الرسالة و أنشد ذلك البيت. ثم ذهب المرسل إلى عبدالله المحض وسلّمة الرسالة فابتهج بها وناله منها سرور عظيم. يقول المسعودي فركب عبدالله في الصباح الباكر دابته و توجّه إلى الإمام

---

١ ـ كل حاطب يجلب أولاً حبلاً كي يضع عليه الحطب ليربطه به ثم يحمله فإذا اشتبه و وضعه في حبل غيره فإن صاحب الحبل سيأخذه.

الصادق فبالغ الإمامعليه السلام بإكرامه ـ فقد كان من بني أعمام الإمامعليه السلام و كانعليه السلام يعرف ما القضية ـ فسأله هل من جديد؟ فقال: نعم هو أجلّ من أن يوصف و قد أتتني رسالة من أبي سلمة يقول فيها ان شيعتنا في خراسان مهيّؤون كي تعود الخلافة و الولاية إلينا و طلب منّي قبول الأمر، يذكر المسعودي[١] ان الإمامعليه السلام قال له: «متى كان أهل خراسان شيعة لك؟ أأنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان؟ و هل أنت الذي طلبت منهم لبس السواد و أن يتخذوا اللباس الأسود شعاراً[٢] و هل أنت الذي طلبت من الخرسانيين[٣] الذين قدموا إلى هنا أن يقدموا؟ و هل فيهم من يعرفك؟ فانزعج عبدالله من هذا الكلام ـ و الانسان عندما تكون رغبته قوية في شيء و تأتيه البشرى به فإنه لن يستطيع أن يفكّر بالمسألة من كل جوانبها ـ فبدأ بالحديث مع الإمام الصادقعليه السلام في المسألة: ما تقول أنت؟ إنما يريد القوم ابني محمد لأنه مهديّ هذه الأمة (و هذه قصة أخرى سنذكرها فيما بعد) فقالعليه السلام: أقسم بالله انه ليس المهدي و إذا قام إبنك محمد فسيقتل لا محالة فزاد انزعاج عبدالله حتى تجرّأ وقال: أنت تقول ذلك حسداً فأقسم لهعليه السلام انّه لا يريد إلاّ صلاحه

---

١ ـ المسعودي رجل مؤرخ و بالنسبة لتشيّعه أو تسنّنه فبحسب مفهومنا اليوم فهو قطعاً ليس من شيعتنا لان القدر المتيقّن في التمييز بين الشيعي و السنّي هو مسألة الخلافة و أن أبابكر غيره غاصبون لها مع ان المسعودي يجلّ الخلفاء جداً. نعم هو في الوقت ذاته يحترم الأئمّةعليهم السلام احتراماً شديداً و له كتاب اسمه: إثبات الوصية. لكن الظاهر أنه سنّي و على كل حال فهو في الدرجة الأولى من مؤرّخي الإسلام.

٢ ـ ذكروا ان اللباس الأسود قد اتخذ لباساً للعزاء بيحيى بن زيد.

٣ ـ ففي تلك الأثناء جاءت جماعات من خراسان إلى العراق و هؤلاء هم الذين ساعدوا العباسيين بالإضافة إلى جماعة من العرب.

و ليس من مصلحته ذلك و لن تكون له نتيجة. ثم قال له عليه السلام: فوالله ان أبا سلمة أرسل لي عين هذه الرسالة التي كتبها لكنني أحرقتها قبل أن أقرأها فذهب عبدالله و هو منزعج جداً من الإمام الصادق عليه السلام.

هذه الأمور رافقتها تغيّرات عديدة في العراق. فما هي هذه التغيّرات؟ عندما ظهر بنو العباس كان أبو مسلم يسعى جاهداً للقضاء على أبي سلمة بتأييد أعمام السفّاح. فما كاد مبعوث أبي سلمة يصل من المدينة إلى الكوفة حتى كان أبو سلمة مقتولاً. فلم يصل إليه الجواب الذي كتبه إليه عبدالله المحض.

تحليل

مع هذا الوصف الذي ذكره المسعودي[1] و الذي لم يذكر الآخرون غيره فإن قضية أبي سلمة و اضحة جداً في رأيي فأبو سلمة رجل سياسي و ليس شيعياً من أنصار الإمام الصادق عليه السلام على حدّ تعبير الإمام عليه السلام. و لعله غير خافٍ علينا أنه قد غير سياسته فجأة من العمل لصالح بني العباس لكنه لا يملك البديل ليأتي به إلى الخلافة إذ الناس لم تكن ترضى برجل من غير أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و لا بدّ أن يكون الشخص مقبولاً لدى الناس فليس له الاّ أن يلتجيء إلى آل أبى طالب فهو لا يريده من بني العباس. و في آل أبى طالب شخصيتان بارزتان الإمام

١ ـ لا أريد أن أعتمد على نقل المسعودي دون غيره فالآخرون لم يذكروا غير ذلك والمسعودي نقل القضية أكثر تفصيلاً أما الآخرون فقد أشاروا إشارة إلى أن أبا سلمة كتب إلى الإمام جعفر الصادق و الإمام أحرق الرسالة و لم يجب عليها و لم يذكروا أكثر من ذلك لكن المسعودي فصّل في القضية.

الصادق عليه السلام و عبدالله المحض، و السياسة تقتضي أن يكتب لكليهما فحيث أصاب سهمه فسيستفيد منه، فلم يكن عمل أبي سلمة نابعاً من تدّين و إخلاص بل أراد شخصاً يجعله و سيلة لأهدافه. على ان عمله هذا لم يكن ذا نتيجة بدليل انه قتل قبل أن يصل إليه جواب تلك الرسالة فخمدت المسألة كلياً. و إني لأتعجب من بعض مدّعي الخبرة بالتاريخ ـ على ما سمعت ـ انه يقول لِمَ لم يقبل الإمام الصادق عليه السلام بما كتبه إليه أبو سلمة الخلال. فإنه لم يكن هناك أي ظرف مهيّأ لذلك، لا من جهة الشروط المعنوية بحيث يكون الذين يعرضون الأمر ذوي نيّة خالصة و لا الشروط الظاهرية و هي توفّر الإمكانيات.

و حيث جئنا على ذكر عبدالله المحض، و كنّا قد ذكرنا في مقدمة الحديث ان الإمام الصادق عليه السلام لم يتعاون مع بني العباس من أول الأمر أو أنه عليه السلام لم ينهض فمن الضروري التعرّض لحادثة أخرى تدلّ على ان الإمام الصادق عليه السلام قد بيّن من أول الأمر ما هو لون هذه الإنتفاضات ضدّ الأمويين و سنستفيد أيضاً من كتاب أبي الفرج الاصفهاني إذ لم أجد في ما بحثت من نقل ذلك أكثر تفصيلاً منه و أحسن منه. و أبو الفرج مؤرّخ أموي سنّي و يقال له الاصفهاني باعتبار سكناه فيها و الا فهو ليس اصفهانياً بل أموياً و مع أنه أمويّ إلا أنه مؤرّخ سنّي موضوعي و الشيخ المفيد في كتابه الارشاد ينقل عن أبي الفرج هذا، لا من روايات الشيعة.

الإجتماع السرّي لرؤساء بني هاشم

و القضيّة هي انه في بدايات الإنتفاضة ضدّ الأمويين عقد اجتماع سرّي ضمّ

رؤساء بني هاشم و ذلك في الابواء[1] و هي محلّة بين مكّة والمدينة، حضر الإجتماع أولاد الإمام الحسن عليه السلام، عبدالله المحض و إبناه محمد و إبراهيم الإمام وأبو العبّاس السفّاح والمنصور وآخرون من أعمامهم. و تصدّى للحديث عبدالله المحض قائلاً يا بني هاشم أنتم قوم، كل العيون عليكم و الرقاب مشرئبة إليكم وقد هيّأ الله وسيلة جمعنا فيها هنا فهيّا نبايع هذا الشاب ـ يريد إبنه ـ و نختاره قائداً ونحارب الأمويين.

هذه الحادثة جرت قبل زمن طويل من قضية أبي سلمة أي قبل ما يقرب من ١٢ سنة من قيام الخراسانيين، و أوّل ما بدىء بالعمل كان بهذا النحو:

البيعة لـ«محمد ذي النفس الزكيّة»

إبتداءً لم يكن بنو العباس يرون لأنفسهم ساحة جاهزة فرأواأن يرضوا في ابتداء الأمر بأحد أبناء آل علي، يكون وجيهاً عند الناس ثم يعملون على إزاحته

---

١ ـ يكثر ذكر هذه المحلة في تاريخ الإسلام فهي المكان الذي توفيت فيه آمنة أم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما كان الرسول صغيراً بعمر خمس سنين تقريباً حيث كان برفقتها إلى المدينة لزيارة أقاربها، فللرسول قرابة مع أهل المدينة و أثناء الرجوع مرضت و توفّيت في تلك المحلّة فبقي النبيّ صلى الله عليه وآله مع أمة والدته أم أيمن (التي كانت معهم) فعاد معها إلى المكة. و وفاة أمه صلى الله عليه وآله في الغربة في منزل وسط الطريق ملفت للنظر و لهذا ذكروا ان النبي عندما أتي المدينة (أتاها و عمره الشريف ٥٣ سنة أمضى العشر سنين الأخيرة من عمره في المدينة) و في إحدى أسفاره مرّ بالأبواء هذه فعندما و صلوا إليها رأى أصحاب النبي الأكرم انه سلك لوحده طريقاً في اتجاه معيّن فوصل إلى نقطة وقف عندها ثم جلس و دعا ثم رأوا الدموع تجري فتعجّب الجميع و تساءلوا؟ فقال صلى الله عليه وآله لهم: هذا قبر والدتى. فهو صلى الله عليه وآله لم يمرّ من ذلك المكان مدة الخمسين عاماً تقريباً أي من حين كان عمره الشريف خمس سنين و عندما تسنّى له ذلك ذهب يدعو و يبكي.

فيما بعد. فقبلوا لهذا السبب بمحمد ذي النفس الزكيّة، و محمد هو ابن عبدالله المحض الذي ذكرنا أنه ابن للإمام الحسين بن عليّ من طرف الأم و كذلك من طرف الأب[١] و كان عبدالله رجلاً مؤمناً تقياً و جميلاً، أخذ الجمال من أمه بل من أمّهاته (فإن أم أمّه كانت معروفه بجمالها الرائع) كما ورثه من طرف الأب. إضافة إلى أن اسمه[٢] محمد و هو اسم النبيّ و امى أبيه عبدالله، و من القضاء أن في ظهره خالاً فاعتقد هؤلاء أن محمداً هذا هو مهدي هذه الأمة الذي سيظهر و ينقذ العالم و أن هذا العصر هو عصره بعد أن ورد في الروايات بأنه إذا اشتدّ الظلم فإن أحد أبناء النبيﷺ، أحد أبناء الزهراء عليها السلام سيظهر اسمه اسم النبي و على ظهره خال. و على الأقلّ كان هذا الوهم موجوداً لدى أولاد الحسن عليه السلام أما بنو العباس فإما انهم اعتقدوا بذلك أو أنهم من أوّل الأمر عملوا بحيلة.

و كيف كان فقد وقف عبدالله المحض ـ حسب نقل أبي الفرج ـ وبدأ بالحديث و دعا الجمع أن هلّموا في هذه المكان نبايع الواحد تلو الآخر أحداً منّا ولنتعاهد وندعو الله لعلّنا ننتصر علىٰ بني أمية. ثم قال: أيها الناس تعلمون ان ابني هذا هو المهدي فهيّا لمبايعته.

هنا قال المنصور: «لا على أنه المهدي بل لأنه في نظري الأكثر جدارة لهذا العمل. فهو على حق هلمّوا نبايعه» و أعلن الجميع تأييدهم و وافقوا على مبايعة

---

١ ـ كذا في النسخة الفارسية و الظاهر أن هاهنا خطأ الطبع و ان المراد انه ابن الإمام الحسن عليه السلام من طرف الأب. (المترجم)

٢ ـ كذا في النسخة الفارسية و الظاهر وجود خطأ إذ الحديث كان عن عبدالله فصارعن محمد بلا فصل أو إشارة إلى الانتقال فقد يكون الأصل: و كان محمد رجلاً مؤمناً. فلا حظ. (المترجم)

محمد و قد بايعوه. ثم أرسلوا في طلب الإمام الصادق عليه السلام[1]. عندما دخل الإمام الصادق عليه السلام قام عبدالله المحض الذي كان يدير المجلس و أجلس الإمام عليه السلام إلى جانبه ثم أعاد ما كان قد تُكُلّم به من أن الأوضاع كذا و ان الكل يعلم ان ابني هذا هو مهدي هذه الأمّة وقد بايعه الآخرون فهلمّ أنت أيضاً لمبايعته. فقال الإمام عليه السلام: لا تفعلوا ذلك فإن هذا الأمر لم يحن بعد ان كنت ترى ـ يخاطب عبدالله ـ ان ابنك هذا هو المهدي فليس كذلك و لا هذا أوانه «و ان كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله و ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر فإنا و الله لا ندعك فأنت شيخنا و نبايع ابنك في الأمر». كان كلام الإمام عليه السلام واضحاً جداً فهو يقول به: إذا أردت منّي البيعة لابنك على أساس انه مهديّ هذه الأمة فهذا كذب و أنا لا أبايع فهو ليس المهدي ولم يئن بعد وقت ظهور المهدي أما إذا أردت منّي ذلك على أساس الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و جهاد الظلم فأنا أبايع. هنا اتّضح موقف الإمام عليه السلام تمام الوضوح فهو عليه السلام مستعدّ للمشاركة في الجهاد لكن تحت شعار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و مقاومة الظلم و هو غير مستعدّ للمشاركة تحت شعار ان محمد هذا هو مهديّ الأمة، قالوا: لا هذا هو المهدي و هو أمر واضح، فقال عليه السلام: لا أبايع فانزعج عبدالله، حينئذٍ قال الإمام عليه السلام لعبدالله: أقول لك ليس فقط ان ابنك ليس هو المهدي فإن عندنا أهل البيت أسراراً و نحن نعلم من يصير خليفة و من لا يصير، ابنك لن يصير خليفة و سيقتل. يقول أبو الفرج: فتضايق عبدالله

---

١ ـ يقول أبو الفرج في بعض الروايات أن عبد الله قال لا ترسلوا في طلب جعفر فإنه إن أتى لن يوافق وسيفسد علينا الأمر، لكن الآخرين رفضوا فانتهى الأمر بأن أرسلوا في طلبه عليه السلام. والبعض الآخر قال ان عبدالله لم يقل مثل ذلك.

وقال: لا أنت تتكلّم بخلاف ما تعتقد و أنت تعلم ان ابني هذا مهديّ هذه الأمة وإنما تقول ذلك حسداً، فقال عليه السلام: و الله ما ذاك دافعي و غايتي و لكن هذا و إخوته وأبناؤهم دونكم. و ضرب يده على ظهر أبي العباس ثم ضرب يده على كتف عبدالله بن الحسن و قال: أيه ـ و هي كلمة تطلق حال البشاشة ـ ما هي إليك و لا إلى إبنيك (كان عليه السلام يعلم أنه يحرص على الخلافة و ليس أي شيء آخر) و ذكر له أن ولديه مقتولان فهؤلاء لن يسمحوا لهما بالوصول إلى الخلافة ثم خرج عليه السلام و قد اتّكى على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري[١] و قال له هامساً أرأيت صاحب الرداء الأصفر (يقصد أبو جعفر المنصور) قال: نعم، قال: أقسم بالله ان هذا الرجل سيقتل أولاد ذلك الرجل. فتعجّب عبدا العزيز و قال له: أهؤلاء الذين يبايعونه سيقتلهم؟ قال: نعم. يقول عبداالعزيز: فوقع في قلبي أن لعلّ هذا الكلام يقوله عن حسد، ثم يقول عبدالعزيز و أقسم بالله أنني لم أرحل عن الدنيا إلا و قد رأيت أبا جعفر المنصور و قد قتل محمداً و الإبن الآخر لعبدالله.

وفي الوقت نفسه كان الإمام عليه السلام يحبّ محمداً و يذكر أبو الفرج أنه: كان جعفر بن محمد إذا رأى محمد بن عبدالله بن الحسن تغرغرت عيناه و يقول بنفسي هو، ان الناس ليقولون فيه وإنه لمقتول، ليس هذا في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأمّة. فقوله عليه السلام بنفسي هو يدلّ على مدى حبّه عليه السلام له.

مما ذكرنا يتّضح ان انطلاقة هذه النهضة كانت باسم المهدوية و قد خالفها الإمام الصادق عليه السلام بشدّة و قبل المشاركة على أساس الأمر بالمعروف النهي عن المنكر

---

١ ـ لا ندري هل هو الزهري الفقيه المعروف أم أنه شخص آخر.

ورفض البيعة على أساس المهدوية أما بنو العباس فقد كان لهم حسابهم الخاص وهو مسألة المُلك و السياسة.

خصوصيات عصر الإمام الصادق عليه السلام

من الضروري ان أبيِّن مسألة مهمة و هي ان زمان الإمام الصادق عليه السلام من وجهة نظر إسلامية زمان متميِّز، زمان برزت فيه النهضات و الثورات الفكرية أكثر من النهضات و الثورات السياسية، عصر الإمام الصادق عليه السلام يبدأ من العقد الثاني للقرن الثاني حتى العقد الخامس منه فإن أباه عليه السلام توفي سنة ١١٤ هـ. فتسلّم الإمام الصادق عليه السلام حينئذٍ الإمامة و بقي حياً حتى سنة ١٤٨ هـ أي ما يقرب من نصف قرن و كان قد مضى على ظهور الإسلام ما يقرب من قرن و نصف القرن. كما كان قد مضى على الفتوحات الإسلامية حوالي القرن، و قد دخل في المجتمع الإسلامي جيلان أو ثلاثة أجيال من المسلمين الجدد من شعوب مختلفة وكانت قد بدأت ترجمة الكتب في عصر بني أمية فدخلت شعوب ذات ثقافات و آداب مختلفة في الإسلام. و النهضة السياسية كانت باهتة في العالم الإسلامي لكن النهضات الثقافية انتشرت بكثرة و كثير منها كان يهدد الإسلام فقد ظهر الزنادقة في ذلك العصر و هؤلاء بحدَ ذاتهم قضية، فهؤلاء ينكرون الله و الدين والنبي و قد أعطاهم بنو العباس الحرية ضمن خطة معيّنة كما ان التصوّف ظهر بشكل مختلف وبرز فقهاء أتوا بفقه جديد ـ يعتمد الرأي و القياس ـ و غير ذلك.

ظهرت في المجتمع الإسلامي إختلافات فكرية لم يكن لها نظير لا من قبل و لا من بعد. فعصر الإمام الصادق عليه السلام يختلف عن عصر الإمام الحسين عليه السلام بعد السماء

عن الأرض فزمن الإمام الحسين عليه السلام كان عصر اختناق كامل ولهذا نرى أن ما نقل عن الإمام الحسين عليه السلام من أحاديث طول مدة إمامته لا يتجاوز الخمسة أو الستة أحاديث و على العكس من ذلك بالنسبة للإمام الصادق فعل أثر تلك الاختلافات السياسية و هذه النهضات الثقافية تهيّأت ساحة مهمة بحيث ذكروا اسم أربعة آلاف ممّن تتلمّذوا عند الإمام عليه السلام و لهذا فلو افترضنا ـ و هو فرض غير صحيح ـ ان الإمام الصادق عليه السلام قد عاش من الجهة السياسية ذات الظروف التي عاشها الإمام الحسين عليه السلام ـ والحال ان الأمر ليس كذلك ـ لكان هناك تفاوت كبير من نواحٍ أخرى بين موقعِ الإمام الصادق عليه السلام و موقع الإمام الحسين عليه السلام و الإمام الحسين عليه السلام ترتّبت على شهادته آثار كثيرة، لو لم يستشهد لكان معنى ذلك جلوسه عليه السلام في بيته مقفلاً بابه دون أن ينفع النّاس، أما الإمام الصادق عليه السلام فحتّى لو فرضنا أنه استشهد و ان استشهاده ستترتّب عليه نفس آثار شهادة الإمام الحسين عليه السلام لكن مع عدم استشهاده حقق نهضة فكرية و علمية في العالم الإسلامي أثرت في مصير هذا العالم و لم ينحصر بالمجتمع الشيعي و هذا ما سنوضحه في الجلسة المقبلة.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ذكرنا في الجلسة السابقة ان من الأئمة الذين كانوا على تماس مع مسألة الخلافة و الحكومة الإمام الصادقعليه السلام. بمعنى انه أولاً طرأ وضع جعل كل الذين يدّعون الحكومة و الخلافة في حالة حركة و غليان ما عدا الإمام الصادقعليه السلام الذي تنحّى جانباً و الخصوصية الأصلية لزمانهعليه السلام هي تلك العلل و الأسباب التي أدّت إلى أن تنتقل الحكومة من الأمويين إلى العباسيين إضافة إلى ذلك نرى شخصية مثل أبي سلمة الخلال الذي كان مقدماً على أبي مسلم (لقب هو بوزير آل محمد بينما لقّب أبومسلم بأمير آل محمّد) (و قد بذل جهده كي تنتقل الخلافة من الأمويين إلى العباسيين) نراه بعد انقراض الأمويين و استقرار الحكومة للعباسيين يبدّل رأيه و يسعى لنقل الخلافة إلى آل عليّعليه السلام فيكتب رسالتين يرسلهما إلى المدينة عبر شخصين أحدهما إلى الإمام الصادقعليه السلام و الآخر لعبدالله المحض ـ من أبناء عمّ الإمام و أحد أولاد الإمام المجتبىعليه السلام ـ و عبدالله المحض يفرح و يتقّبل الخبر لكن الإمام الصادقعليه السلام يبدي أقصى حالات عدم المبالاة حتى انهعليه السلام لم يقرأ الرسالة و أحرقها بحضور المرسَل و ان هذا هو جواب الرسالة و قد تحدّثنا بالتفصيل عن هذا الامر.

و بشكل عام فقد كان واضحاً ان الإمامعليه السلام اعتزل كلياً عن التصدّي لأمر

الحكومة والخلافة و لم يقدم على أي عمل يدلّ على نيّة الإمام في تسلّم هذه الزعامة. فما السبب؟ و على أي أساس كان ذلك؟ طبعاً لا شكَ أنه لو كانت الظروف مؤاتية تُمكّن الإمامعليه السلام من تسلُّم الحكم لو أراد، لكان من اللازم الإقدام. إلا أن الكلام هو أن الساحة و إن لم تكن مساعدة على ذلك تماماً إلا أنها كانت مؤاتية ولو بنسبة ٥٠ بالمئة فما المانع من أن يقوم الإمامعليه السلام و إن أدّى ذلك إلى مقتلهعليه السلام؟ فيعود البحث من جديد عن المقايسة مع وضع و نهج الإمام الحسينعليه السلام.

و هنا سنتحدّث بمقدار ما حول خصوصيات و شخصيات عصر الإمام الصادقعليه السلام والآثار التي حققهاعليه السلام على الصعيد الإسلامي بحيث لو فرض وجود الإمام الحسينعليه السلام في عصر الإمام الصادقعليه السلام لقام بالعمل نفسه قطعاً فما هو الفرق بين هذا العصر وبين عصر الإمام الحسينعليه السلام و قد ذكرنا ان البحث ليس في أن الفرصة كانت سانحة تماماً لاستلام الحكم والإمام لم يقم بذلك بل لماذا لم يضحي الإمام بنفسه؟.

مقارنة بين عصر الإمام الحسين و عصر الإمام الصادقعليه السلام

الفاصل الزمني بين هذين العصرين يكاد يكون قرناً فقد كانت شهادة الإمام الحسينعليه السلام عام ٦١ للهجرة و وفاة الإمام الصادقعليه السلام كانت عام ١٤٨ للهجرة أي بين هاتين الوفاتين مدة ٨٧ سنة و قد تبدّلت الأمور في العالم الإسلامي خلال هذه المدة تبدلاً عظيماً ففي عصر الإمام الحسينعليه السلام لم تكن هناك إلا مسألة واحدة مطروحة على مستوى العالم الإسلامي هي مسألة الخلافة و الحكومة و كل

العوامل كانت عبارة عن هذه الحكومة و جهاز الخلافة، فالخلافة كانت تعني كل شيء و كل شيء كان يعني الخلافة، أي أن ذلك المجتمع المسلم كان باقٍ على بساطته التي وجد عليها و كان البحث يدور فيمن هو الذي يتولّى الأمر؟ و لهذا كان جهاز الخلافة يشرف على شؤون الحكومة و قد بسط معاوية بساط الديكتاتورية بشكل عجيب أي أن الوضع و الزمان و الظروف قد هُيِّئت له إلى حدّ أنه لم يكن يسمح لأحد أن يتنفّس فلو أراد الناس نقل شيء مخالف لسياسة الحكومة لكان من المستحيلات، و قد ذكروا أنه إذا أراد أحد نقل حديث في فضائل عليّ عليه السلام لم يكن ينقله إلا لمن كان مؤمناً خالصاً و من يُطمأن له لن يفشي بذلك و قد كانوا يذهبون ويتحدّثون في غرف صغيرة و توضع فيها صناديق الثياب و نحوها فالوضع كان عجيباً. كانوا في كل صلاة جمعة يلعنون أمير المؤمنين عليه السلام حتى في حضور الإمامين الحسن و الحسين عليهما السلام. كان عليه السلام يلعن من على منبر النبيّ صلى الله عليه وآله في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله و لذا نرى ان تاريخ الإمام الحسين عليه السلام فترة حكم معاوية أي منذ استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام وحتى استشهاده عليه السلام كان تاريخاً مجهولاً ولا يوجد أي شخص يعطي إشارة عن الإمام الحسين عليه السلام و لا ينقل أي شخص عنه عليه السلام أي خبر، أي حديث، أي جملة، او خطبة أو لقاء. كانوا عليهم السلام في انزواء عجيب إلى درجة أنه لم يكن بمقدورهم الإتصال بأحد. و لو أن الإمام الحسين عليه السلام عمّر مع هذا الوضع خمسين سنة أخرى لبقي الأمر على هذه الحال أي لم يكن لينقل عنه ثلاث جمل. سلبت كل إمكانية للعمل في تلك الساحة لكن الأوضاع كانت مختلفة عن ذلك في أواخر عصر بني أمية الذي انتهى بسقوطهم وفي زمان العبّاسيين بشكل عام و بالخصوص أوائله (لا أريد أن أقول ان بني

العباس هم الذين أوجدوا الحرية بل كان ذلك الأمر مرتبطاً بطبيعة المجتمع الإسلامي آنذاك) بحيث:

أولاً: وجدت الحرية الفكرية بين الناس (و لا شك في وجود مثل هذه الحرية، حرية الفكر، حرية المعتقد) إلا ان الكلام في سبب هذه الحرية الفكرية و هل ان ذلك كان من سياسة بني العباس واقعاً أم لا ؟

و ثانياً: ظهور فوران و نشاط علميين بين الناس لأنه لم تكن هناك أي سابقة في التحرك نحو العلوم بحيوية و نشاط سواء كانت تلك العلوم إسلامية ـ أي العلوم المرتبطة بالإسلام مباشرة مثل علم القراءت، علم التفسير، علم الحديث، والمسائل المرتبطة بعلم الكلام و الفروع الأدبية المختلفة ـ أم كانت غير إسلامية والتي تسمى بالعلوم الانسانية الكلية كالطب و الفلسفة و الفلك والرياضيات و قد ذكر في كتب التاريخ انه قد ظهرت فجأة حركة علمية غير عادية و الأرضيّة قد تهيّأت لان يعرض كل إنسان ما يملك من أفكار. أي توفّرت الساحة التي كانت مفقودة في الأزمنة السابقة حتى ما قبل أواخر حياة الإمام الباقر عليه السلام و عصر الإمام الصادق عليه السلام. ففجأة كان كل رجل من رجال العلم و الفكر و الحديث مدعواً لقول ما عنده، طبعاً كان ذلك حصيلة عدة عوامل بحيث لو أراد بنو العباس الوقوف في وجه ذلك لم يكن ذلك مقدوراً لهم فهناك أعراق مختلفة دخلت المجتمع الإسلامي و التي كان أكثرها حيوية الإيرانيون و كان من تلك الأعراق المصريون. و كان أقواها و أعلمها بلاد ما بين النهرين و سوريا التي كانت مناطقهم مركزاً من مراكز التمدّن في ذلك العصر. هذه الملل المختلفة حقّق الإختلاف فيما بينها رويداً رويداً ساحة لتبادل الأفكار. و عندما دخل هؤلاء في الإسلام رغبوا في التعرّف أكثر

على طبيعة الإسلام، و قد أهمل العرب التعمّق و التدّبر و البحث في القرآن إهمالاً كبيراً. أما الأمم الأخرى فقد أكثرت من الحث حول القرآن و مايرتبط بـه مـن مسائل بشكل لا ينتهي عند حدّ حتى ان البحث كان ينصبّ على القرآن كلمة كلمة.

معركة المذاهب

برزت في ذلك الزمان فجأة سوق لمعركة عقائدية حامية. لنرىٰ كـيف كـانت حرارتها؟ شُرِعَ أولاً في البحوث حول تفسير القرآن و قراءة آياته فظهرت طبقة القرّاء أي الذين يقرأون القرآن و يعلِّمون الناس كلمات القرآن بالطريقة الصحيحة ـ و لم يكن الأمر كما عليه الآن حيث تتوفّر طباعة القرآن ـ فكان أحدهم يسند قراءته للقرآن عن فلان عن فلان عن فلان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله ـ و أغلب هؤلاء القرّاء ينتهي سندهم عند أمير المؤمنين عليه السلام ـ و مثله يقول الآخر، فكـانوا يأتـون المساجد يعلّمون الآخرين قراءتهم و كان أكثر المشاركين في هذه الحلقات من غير العرب لأن غير العرب لم تكن معرفتهم باللغة العربية كافية فصاروا على علاقة قوية بتعلّم القرآن. كان الأستاذ يقرأ القرآن في المسجد فيتعلّم منه القراءة جماعة كثيرة بل كانت أحياناً تظهر اختلافات في القراءة.

والأكثر من ذلك، الأمر في تفسير و بيان معاني القرآن، هل معنى الآية هو هذا أم ذاك؟ و كذلك كان الأمر في الحديث و الروايات الواصلة عن النبي صلى الله عليه وآله. و لا تسلْ عن الفخر الذي كان لدى حافظ الأحاديث، كان يجلس و يقول: أروي هذا الحديث عن فلان عن فلان عن النبّي صلى الله عليه وآله، و هل أن هذا الحديث صحيح ؛ و هل كان بهذه العبارة مثلاً؟

و أرقىٰ من ذلك كله بروز المذاهب الفقهية، و لما كان الناس بحاجة لأن يسألوا عن دينهم تأتي الناس تسأل عن المسألة ـ كما اليوم يأتون ليسألوا عن مسألة ـ فقد ظهرت طبقات منتشرة في الأماكن المختلفة باسم الفقهاء تصدّت لتقديم الأجوبة للناس: هذا حلال، هذا حرام، هذا طاهر، هذا نجس، هذه المعاملة صحيحة، و هذه فاسدة. كانت المدينة أحدى تلك المراكز كما ان الكوفة كانت كذلك و التي كان أبو حنيفة فيها. و البصرة كانت مركزاً آخر.

ثم ان الأندلس فتحت في زمان الإمام الصادقعليه‌السلام وفتحت المراكز في تلك النواحي بالتدريج كانت كل مدينة من مدن الإسلام مركزاً مستقلاً و صار يقال رأي الفقيه الفلاني كذا و رأي الفقيه الآخر كذا، هؤلاء تلاميذ تلك المدرسة وأولئك تلاميذ هذه المدرسة. فبرزت معركة مذهبية على الصعيد الفقهي أيضاً.

و الأكثر حماسة ـ لا أهمية ـ المباحث الكلامية. و قد ظهرت في القرن الأول فئة عرفت باسم المتكلمين (و نرى هذا التعبير في كلمات الإمام الصادقعليه‌السلام حتى أنهعليه‌السلام كان يقول لبعض تلامذته فليأت هؤلاء المتكلمون) كان بحث المتكلمين في العقائد و أصول الدين: حول الله، حول صفات الله، حول الآيات القرآنية المرتبطة بالله، هل الصفة الفلانية الثابتة لله هي عين الذات؟ أم أنها مغايرة للذات؟ و هل الوصف الفلاني حادث أم قديم؟ حول النبوة و حقيقة الوحي، حول الشيطان، حول التوحيد و الثنوية، و في ان العمل هل هو ركن في الإيمان بحيث لا إيمان بلا عمل أم لا دخل للعمل في الإيمان؟ و في القضاء و القدر، حول الجبر و الإختيار. وبالجملة فقد أوجد المتكلّمون ساحة حماسية بكلّ معنى الكلمة.

وأخطرها ـ لا أهمّها أو أكثرها حماسة ـ ظهور الزنادقة و هم ينكرون الله

والأديان و قد أعطيت لهم الحرية ـ بغضّ النظر عن سبب هذه الحرية ـ حتى انهم كانوا في الحرمين مكة و المدينة، بل في المسجد الحرام و مسجد النبي صلى الله عليه وآله، كانوا يجلسون و يدلون بأقوالهم. طبعاً كانوا يتحدّثون على أساس أن عندهم شبهات لابدّ من ذكرها[1]. و الزنادقة كانت فئة من مثقفي ذلك العصر، فئة لها معرفة باللغات الحية في ذلك الزمان فكانوا يعرفون اللغة السريانية التي كانت غالباً هي اللغة العلميّة في ذلك العصر و كثير منهم كانوا على اطلاع باللغة اليونانية و كثير منهم كانوا إيرانيين فيعرفون اللغة الفارسية. و البعض كان يعرف اللغة الهندية.

أتت الزندقة من الهند. و هذا أمر جدير بالبحث، من أين أتت الزندقة إلى العالم الإسلامي؟ و الأكثر يعتقد ان أصل الزندقة من المانويين.

حدث آخر حدث في ذلك الزمان ـ وكل الأحداث كانت بين إفراط و تفريط ـ هي مسألة المتصوّفة ذوي التنسك الجاف فالمتصوّفة ظهرت أيضاً في زمن الإمام الصادق عليه السلام أي أنها كانت في زمانه عليه السلام، فئة ذات أنصار لهم تمام الحرية في أن يقولوا ما يريدون، هؤلاء أيضاً وقعوا في تحجر التنسّك، هؤلاء لم يكونوا يتحدّثون على أنهم مذهب في مقابل الإسلام بل كانوا يدّعون ان حقيقة الإسلام هي ما نقول به نحن فكانوا يطرحون نهجاً غريباً في التنسّك الجاف و يقولون ان

---

١ ـ لابن أبي العوجاء في هذا المجال تعبير جميل ولطيف أتى يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال له: يا ابن رسول الله أنت رئيس هذا الأمر؟ أنت كذا، أنت كذا، جدّك أتى بهذا الدين فعل كذا... لكن الشخص عندما يأخذه السعال فلا بدّ أن يسعل، عندما تحتقن الأخلاط في حلقه لابدّ أن يسعل و عندما تأتي الشبهة إلى ذهن الإنسان فلابدّ من ذكرها فلا بدّ أن أسعل سعلتي الفكرية فأذن لي بأن أقول كلامي، قال له: قل...

الإسلام يدعو إلى ذلك أيضاً، إلى هذا التزهّد الذي لا يمكن تحمّله.

الخوارج والمرجئة شكّل كل منهم مذهباً.

تعاطي الإمام الصادقعليه السلام مع هذه المجريات الفكرية المختلفة

كل هؤلاء قد واجههم الإمامعليه السلام و صادفهم فمن جهة القراءات والتفسير كان للإمامعليه السلام عدة تلامذة و كان للإمامعليه السلام مناقشات مع الآخرين في قراءة آيات القرآن و في التفاسير و كان يصرخ هاتفاً: ما هذا الغلط الذي يقولونه؟ ما هذا الكلام الذي يتكلّمون به، الآيات يجب أن تفسّر بهذا النحو.

و من جهة الحديث كان الأمر واضحاً و كانعليه السلام يبيّن أن كلام هؤلاء لا أساس له و الأحاديث الصحيحة هي تلك التي نرويها نحن عن آبائنا عن النبيّ صلى الله عليه وآله.

و في مجال الفقه كانت مدرسة الإمام الصادقعليه السلام أقوى مدرسة فقيهة في ذلك الزمان حتى أن أهل السنّة يعترفون بذلك و كل أئمة أهل السنّة كانوا من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام إما بواسطة أو بلا واسطة و أوّلهم أبو حنيفة الذي ذكروا أنه تتلمذ سنتين عند الإمام الصادق و له جملة مذكورة في كتبهم: «لولا السنتان لهلك النعمان» (ونعمان اسم أبي حنيفة فإن اسمه كان النعمان بن ثابت بن زوطي بن مرزبان فأجداده إيرانيون). مالك بن أنس و هو من أئمّة أهل السنّة عاصر الإمام الصادقعليه السلام وتتلمذ عنده أيضاً ويفتخر بذلك. الشافعي جاء في عصر متأخّر لكنّه تتلمذ على يد تلامذة أبي حنيفة و على يد مالك بن أنس. و أحمد بن حنبل يرجع نسبه العلمي بإحدى جهاته إلى الإمام الصادقعليه السلام و كذلك الآخرون، كانت حوزة الإمام الصادقعليه السلام الفقيهة أكثر رونقاً من سائر الحوزات بشهادة بعض علماء أهل السنّة.

كلام مالك بن أنس حول الإمام الصادقعليه السلام

مالكبن أنس الذي كان في المدينة إلىٰ حدّ ما رجل لا بأس به. يقول: كنت أذهب إلى جعفر بن محمد و كان كثير التبسّم و من آدابه أنه إذا ذكر اسم النبي في حضوره يتغيّر لونه ـ أي ان اسم النبّيصلى الله عليه وآله كان مؤثراً الى ذلك الحدّ بحيث يتغير لونه عندما يذكره ـ صاحبته مدة من الزمن، ثم ينقل بعضاً من ملامح عبادة الإمام الصادقعليه السلام و إلىٰ أي حد كان رجل عبادة، عابداً متقياً. و ينقل مالك تلك القصة المعروفة، فيقول: كنت في سفرمع الإمام إلى مكة المشرّفة، خرجنا من المدينة و وصلنا إلى مسجد الشجرة فلبسنا لباس الإحرام و أردنا أن نلبّي كي ينعقد الإحرام و كنّا راكبين فنظرت إلى الإمام و هو يريد أن يقول لبّيك فإذا به قد تغيّر لونه تغيّراً شديداً وكان يرتجف حتى كاد أن يقع إلى الأرض من خشية الله فدنوت منه وقلت: يا ابن رسول الله لاحيلة لنا و لا بد من التلبية، فقال لي: وماذا أقول و لمن أقول لبّيك فإذا قال لي في الجواب: لا لبّيك فماذا أفعل؟ و ينقل هذه الرواية الشيخ عبّاس القمّي و غيره في كتبهم و راوي الرواية هو كما ذكرنا مالك بن أنس إمام أهل السنّة.

مالك هذا يقول: ما رأت عين و لا سمعت أذن و لا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد.

محمد الشهرستاني و هو من الفلاسفة و المتكلّمين المتسلّطين جداً، في القرن الخامس الهجري و هو عالم مرموق و صاحب كتاب الملل و النحل، يذكر في هذا الكتاب الفرق الدينية و المذهبية و قد فصل في الفرق الفلسفية في الدنيا، في مكان من هذا الكتاب يأتى على ذكر الإمام الصادقعليه السلام فيقول عنه: «هو ذو علم غزير

وأدب كامل في الحكمة و زهد في الدنيا و ورع تام عن الشهوات و يفيض على الموالي له أسرار العلوم ثم دخل العراق» ثم يشير إلى اعتزال الإمامعليه السلام عن السياسة فيقول: «و لا نازع في الخلافة أحداً» و يعلّل هذا الإعتزال بقوله: «و من غرق في بحر المعرفة لم يقع في شطٍّ»و أنا لا أريد تصحيح تعليله بل أريد الأخذ باقراره أن الإمامعليه السلام إلى أي حدّ كان غارقاً في بحر المعرفة. و هو يريد القول أن أمثال تلك الأمور من الشواطيء. «و من تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطٍ» أي من الوقوع.

هذا الشهرستاني الذي يقول عن الإمام الصادقعليه السلام ذلك هو نفسه من أعداء الشيعة و هو يهاجمهم في كتابه الملل و النحل هجوماً قوياً لكنه يحترم الإمام الصادقعليه السلام ذلك المقدار من الإحترام، وهذا له حسابه الخاص.

و اليوم نجد كثيراً من العلماء في الوقت الذي يعادون فيه مذهب التشيّع تمام العداوة فهم يحترمون الإمام الصادقعليه السلام الذي ينسب إليه ذلك المذهب فلا بدّ أنهم يعتقدون أن ما يخالفهم من مذهب الشيعة ليس من الإمام الصادقعليه السلام لكنهم على كل حال يحترمون الإمام الصادقعليه السلام تمام الإحترام.

رأي أحمد أمين

من جملة معاصرينا أحمد أمين المصري صاحب كتب ضحى الإسلام و فجر الإسلام و ظهر الإسلام و يوم الإسلام و هي من الكتب الإجتماعية المهمة في هذا القرن الأخير، و قد ابتلي بمرض عداوة التشيّع و يقال انه لا يملك معلومات عن التشّيع. و هو في نفس الوقت الذي يضمر فيه عداوة شديدة للتشيّع.

نجد عنده إحتراماً للإمام الصادق عليه السلام و قد قرأت كل كتبه ولم أجد لديه احتراماً لأحد من أئمّة أهل السنّة قدر إحترامه للإمام الصادق عليه السلام و ينقل كلمات في الحكمة عن الإمام الصادق عليه السلام لم أجد من نقلها من علماء الشيعة.

إعتراف الجاحظ

وفي رأيي أن اعتراف الجاحظ أرقىٰ كل ذلك. فالجاحظ كان شيخاً من مشايخ أواخر القرن الثاني و أوائل القرن الثالث، وكان أديباً مميزاً ولم يكن أديباً فقط بل يمكن القول انه كان خبيراً بمجتمع عصره، مؤرخ، صنّف كتاب الحيوان، وهو في معرفة الحيوان، و هو اليوم مورد اهتمام العلماء الأوروبيين حتى انهم عثروا في هذا الكتاب في معرفة الحيوان على أشياء قالوا أنها لا سابقة لها في ذلك العصر لا في عالم الحيوان ولا غيره مع أنه لم تكن علوم اليونان بعدُ قد دخلت المجتمع الإسلامي فقد ظهرت هذه النظريات لأول مرة في كتاب الحيوان للجاحظ.

والجاحظ أيضاً متعصّب وله مباحثات مع بعض الشيعة، فهم البعض منها أنه ناصبي، طبعاً أنا لا أستطيع القول أنه ناصبي (و في مباحثاته صدرت منه بعض الجمل) و كان زمانه متحداً تقريباً مع زمان الإمام الصادق عليه السلام كان في الجيل السابق عنه. يعبّر الجاحظ عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا التعبير:

«جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمُهُ و فقهه، و يقال ان أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري» و سفيان الثوري كان من كبار فقهاء و متصوّفة ذلك العصر.

رأي مير علي هندي

و هو أحد المعاصرين السنة أيضاً يظهر رأيه في الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لا مشاحة في أن انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فكّ الفكر من عقاله، فأصبحت المناقشات الفلسفية[١] عامةً في كل حاضرة من حواضر العالم الإسلامي» ثم يقول: «ولا يفوتنا أن نشير إلى أن الذي تزعّم تلك الحركة هو حفيد عليّ بن أبي طالب المسمَّى بالإمام الصادق و هو رجلٌ رَحبُ أُفُقِ التفكير بعيد أغوار العقل، ملم كل إلمام بعلوم عصره ويعتبر في الواقع هو أوّل من أسّس المدارس الفلسفية[٢] المشهورة في الإسلام ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من أنحاء مختلفة».

كلام أحمد زكي صالح

في كتاب الإمام الصادق تأليف الشيخ المظفّر ينقل عن أحمد زكي صالح ـ وهو من المعاصرين ـ في مجلّة الرسالة المصرية، «أن النشاط العلمي الشيعي كان أكثر من نشاط جميع الفرق الإسلامية» (أريد أن اوضح مدىٰ اعتراف المعاصرين بتلك الحقيقة) . وهذا بحدّ ذاته أمر مهمّ. الإيرانيون يجعلون ذلك باسمهم فيقولون هذا نشاط إيراني والحال انه نشاط شيعي ولم تكن أكثرية الشيعة تلك الأيام من الايرانيين بل كانوا من غيرهم وهو بحث لن ندخل فيه الآن، فهذا المصري يقول: «ومن الجليّ الواضح لدى كل من درس الكلام أن فرق الشيعة كانت أنشط الفرق

---

١ ـ يقال للمناقشات المبتنية على العقل مناقشات فلسفية.

٢ ـ ذكرنا ان هؤلاء عندما يقولون «فلسفية» فمرادهم البحوث الفكرية والعقلية في قبال المحدثين الذين (عملهم) فقط المنقولات وذكر الرواية.

الإسلامية حركة، وكانت أول من أسس المذاهب الدينية على أسس فلسفية حتى ان البعض ينسب الفلسفة خاصة لعليّ بن أبي طالب». ويعني بالشيعة الإمام الصادق عليه السلام.

إهتمام الشيعة بالمسائل العقلية

و أفضل دليل (على ان العلوم العقلية قد بلغت أوجها في عصر الإمام الصادق عليه السلام أنه في كل كتب الحديث السنّية: صحيح البخاري، صحيح مسلم، جامع الترمذي، سنن أبي داود، صحيح النسائي، لن تجد إلا المسائل الفرعية مثل أحكام الوضوء، أحكام الصلاة، أحكام الصوم، أحكام الحج، أحكام الجهاد، أو السيرة، مثل ان النبي صلى الله عليه وآله فعل في السفر الفلاني كذا. لكن عندما ننظر في كتب أحاديث الشيعة نجد أوّل بحث وأوّل كتاب كتاب (العقل والجهل) فمثل هذه المسائل لم تكن مطروحة أصلاً في كتب السنة. طبعاً لا أقول ان منشأ ذلك الإمام الصادق عليه السلام فإن أصله يعود إلى أميرالمؤمنين عليه السلام و أصل أصله إلى النبي صلى الله عليه وآله لكن هؤلاء عليهم السلام أكملوا المسيرة و حيث ان الفرصة قد توفّرت للإمام الصادق عليه السلام في زمانه فقد استطاع حفظ إرث أجداده وان يزيد عليها.

بعد كتاب العقل والجهل ندخل في كتاب التوحيد ونجد مئات بل آلاف البحوث في باب التوحيد وصفات الله والمسائل المرتبطة بالشؤون الإلهية والقضاء والقدر الإلهيين والجبر والاختيار، مسائل فكرية طرحت في كتب أحاديث الشيعة دون غيرها من الكتب ولهذا قالوا ان أول من أسس المدارس

الفلسفية[١] وأول من أسس المدارس العقلية هو الإمام جعفر الصادقعليه السلام.

جابر بن حيّان

وهنا أمر انكشف أخيراً هو ان في تاريخ الإسلام رجلاً اسمه جابر بن حيّان. وقد يقال له جابربن حيّان الصوفي وهو من العجائب، ذكره ابن النديم في الفهرست[٢] ونسب إليه ما يقرب من ١٥٠ كتاباً أكثرها في العلوم العقلية وباصطلاح ذلك اليوم فيالكيمياء، في الصناعة، في خواص طبائع الأشياء. و يُعرف اليوم أنه أبو الكيمياء والظاهر أن ابن النديم يعدّه من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام. ذكره أيضاً ابن خلكان[٣] قائلا: كيميائي وتلميذ الإمام الصادق و قد نقل الآخرون هذا أيضاً. لم تكن لهذه العلوم أي سابقة في العالم الإسلامي قبل جابر بن حيّان. و فجأة يظهر رجل اسمه جابر بن حيان من تلامذة الإمام الصادقعليه السلام و يكتب كل تلك الرسائل في الموضوعات المختلفة والتي أكثرها اليوم ذات قيمة علمية. وقد بحث المستشرقون المعاصرون عن جابر بن حيان

---

١ ـ بالمعنى المتقدم ذكره.

٢ ـ فهرست ابن النديم من أكثر الكتب اعتباراً في هذا المجال ـ وهو كتاب في معرفة الكتب المصنّفة ـ وكان له تحقيق مهم في معرفة الكتب بحيث أن الأوروبيين اليوم يعتمدون عليه كل الاعتماد. عاش ابن النديم في القرن الرابع وهو في كتابه يعرّف الكتب الإسلامية وبعض الكتب غير الإسلامية (الكتب التي كانت في عصره) . كان من النوابغ وفي ابتداء أمره كان وراقاً يبيع الكتب لكنّه كان عالماً فاضلاً بحيث أن المرء إذا قرأ كتابه يتحيّر وقد قرأت الكتاب من أوله إلى آخره وهو يرشدك إلى أنواع الخطوط و أصناف اللغات التي كانت في عصره كما يرشدك إلى أصول اللغات.

٣ ـ القاضي ابن خلكان عاش في القرن السادس.

بحثاً كثيراً وقد أكثر تقي زاده من البحث عنه ومع ذلك بقيت كثير من المجهولات بالنسبة لجابر بن حيان لم تنكشف إلى الآن والعجيب انه لم يرد لهذا الرجل ذكر في كتب الشيعة التي تتحدّث عن الرجال (نعم يحتمل كون ابن النديم شيعياً) ولم يرد في كتب الفقهاء والمحدّثين اسم لهذا الرجل، لمثل هذا التلميذ البارز من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام الذي لا نظير له.

هشام بن الحكم

تلميذ آخر من تلامذة الإمام عليه السلام هو هشام بن الحكم. هشام بن الحكم أعجوبة، تفوّق على كلّ متكلمي زمانه (أقول هذا بشهادة أهل السنّة). أبو الهذيل متكلّم إيراني متسلّط جداً. ويذكر شبلي نعمان في كتابه: (تاريخ علم الكلام) لم يكن أحد يستطيع أن يحاور أبا الهذيل وكان لا يخشى إلا من هشام بن الحكم. والنظام الذي كان يعدّ من نوابغة عصره وعنده نظريات موافقة للنظريات الحديثة ـ مثلاً في اللون والرائحة فقد كان يعتقد أن اللون والرائحة مستقلان عن الجسم وليس كما تخيّلوا أن اللون و الرائحة من عوارض الجسم، خصوصاً الرائحة حيث كان يعتقد أنها شيء ينتشر في الفضاء ـ كان من تلامذة هشام (وذكروا أنه أخذ هذا القول من هشام بن الحكم) و هشام نفسه من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

فانظروا الان من خلال جميع ما تقدم أية ساحة تهيّأت للإمام الصادق عليه السلام من الناحية الثقافية والتي استفاد منها الإمام عليه السلام؟ فرصة لم تسنح لأحد من الأئمة عليهم السلام لا قبله ولا بعده بمقدار ما سنحت له عليه السلام، نعم تهيّأت فرصة للإمام الرضا عليه السلام لكن بنسبة قليلة، لكن الأمر ساء من جديد مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حتى زجّ عليه السلام

في السجن. وكذا الائمة الآخرين، حيث كانوا يموتون عليهم السلام شباناً يوضع لهم السمّ فيمضون من الدنيا. لم يدعوهم أحياء وإلا فإن المحيط كان مساعداً إلى حدٍ ما. إلا أنه قد تهيّأ للإمام الصادق عليه السلام، كِلا الأمرين، فقد عاش عمراً طويلاً (حدود ٧٠ سنة) و كان المحيط والزمان مساعدين. فلنرّ الآن إلى أي حد يوجب هذاالأمر تفاوتاً بين زمان الإمام الصادق عليه السلام و زمان سيّدالشهداء عليه السلام؟ كان أمر سيّد الشهداء عليه السلام دائراً بين أمرين فإما أن يبقى جليس بيته إلى آخر عمره يأكل ويشرب ويعبد الله فقط وفي الواقع يكون سجيناً و إماأن يقتل. و أما الإمام الصادق عليه السلام فلم تكن حاله كذلك، أي إما أن ينزوي أو يُقتل بل كان أمره إما أن يُقتل أو يستفيد قدر الإمكان من الظروف المساعدة المحيطة به.

ولولا أن الأئمّة عليهم السلام هم الذين وضّحوا لنا الأمر و بيّنوا لنا قيْمة ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم نكن لندرك ذلك فلولا الإمام الصادق عليه السلام لم يكن الإمام الحسين ولولا الإمام الحسين عليه السلام لم يكن الإمام الصادق عليه السلام أي لولا الإمام الصادق لم تكن لتثبت و تتضح لنا ما عليه ثورة الإمام الحسين عليه السلام من قيمة.

على ان الإمام الصادق عليه السلام وان لم يتعرض لأمر الخلافة والحكومة لكن الجميع يعلم أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن إلى جانب الخلفاء بل كانت هناك مقاومة مخفيّة، نوع من الحرب الباردة. وقد انتشرت عيوب ومثالب ومظالم الخلفاء في الدنيا بواسطة الإمام الصادق عليه السلام. و هنا نجد للمنصور عبارة عجيبة[١] إذا يقول عن

---

١ ـ كان تعامل المنصور مع الإمام الصادق عليه السلام عجيباً وسببه نفس الإمام الصادق عليه السلام، في بعض الأحيان يصعب عليه الأمور وفي أحيان أخرى يسهلها، طبعاً لم يأخذ الإمام عليه السلام إلى السجن ⇦

الإمام الصادق عليه السلام: «هذا الشيجىٰ معترض في الحلق...» يريد أن يقول انه كالعظم الذي اعترض الحلق فلا يمكن ابتلاعه ولا يمكن إخراجه أي لا أستطيع أن أحصل على دليل ضدّة و أحتال عليه ولا أستطيع أن أتحمّله، وإنني أعلم أن هذا الحياد الذي اتخذه هو ضدّنا لأن كل الذين يتبعونه ويتخرّجون من مدرسته هم ضدّنا، لكن لانملك وثيقة تدينه. نعم هذه هي عبارة المنصور: «هذا الشجى المعترض في الحلق فلا أنا بالعه ولا أنا لافظه».

العوامل المؤثرة في النشاط العلمي في زمان الإمام الصادق عليه السلام

ذكرنا أن حركة علمية غير عادية كانت في عصر الإمام الصادق عليه السلام و هذا النشاط العلمي أوجد صراعاً فكرياً حامياً كان على كل مسلم ذي طينة سليمة أن يدخل هذا الصراع لمصلحة الإسلام ودفاعاً عن الإسلام. فما هي تلك العوامل التي اثّرت في هذا النشاط العلمي؟

كانت هناك عوامل ثلاثة:

العامل الأول: ان المحيط في ذلك العصر كان محيطاً مذهبياً و كانت الناس لأسباب مختلفة مذهبية، ترغيب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالعلم والتعلّم والتعقّل كان

⇦حسب الظاهر لكن في كثير من الأوقات كان يشدد عليه المراقبة و فجأة روقب عليه السلام مدة سنتين حسب الظاهر أي خصّص للإمام عليه السلام منزل وقد راقب المأمورون حركة الذهاب والإياب في منزل الإمام عليه السلام. وفي مرّات عديدة أحضر الإمام عليه السلام وشتم واهين بكلام مثل: ان أقتلك، أضرب عنقك أتبلّغ ضدّي؟، أتثير الناس ضدّي تفعل كذا وتفعل كذا والإمام كان يجيبه بأعصاب هادئة.

العامل الأساسي لهذه النهضة والحيوية والنشاط.

العامل الثاني: ان أعراقاً كثيرة دخلت في الإسلام ذوو سابقة فكرية وعلمية.

العامل الثالث: الذي ساعد على ذلك أن العالم كله كان بمثابة الوطن الإسلامي، أي أن الإسلام يرفض فكرة الوطن المحدود بالماء والتراب. فالوطن الإسلامي هو حيثما يوجد إسلام فهو وطن وكانت النتيجة ان التعصّب قد زال إلى حدّ كبير بحيث ان الأعراق على اختلافها كانت تحيا حياة مشتركة وكانت تشعر بالأخوّة، فالتلميذ مثلاً خراساني والأستاذ مصري أو بالعكس. كانت تتشكل حلقة درس يكون الأستاذ فيها غلام بربري مثلاً ثم نرى العراقي والسوري والحجازي والمصري والإيراني والهندي يشاركون في درسه. وهذا عامل مهم جداً كي تتهيأ الساحة لهذه الحركة والفورة ولعل الأرقى من ذلك ما يسمَّى اليوم بالتسامح والتساهل الديني الذي يعني مشاركة غير المسلمين في الحياة وبشكل خاص مشاركة أهل الكتاب. وقد كان أهل الكتاب في ذلك الزمان من أهل العلم فانضمّوا إلى المجتمع الإسلامي، وأخذ المسلمون منهم العلوم في العصر الأول لكن في العصر الثاني تسلّم المسلمون زعامة المجتمع العلمي. ومسألة التسامح والتساهل مع أهل الكتاب عامل مهمّ جداً. وهذا بالطبع له أساس في الروايات وعندنا احاديث كثيرة في هذا المجال والمرحوم المجلسي ينقل في البحار حديثاً ـ وهو موجود في نهج البلاغة أيضاً ـ ان النبي ﷺ يقول: «خذوا الحكمة ولو من مشرك» (والمراد بالحكمة ـ الكلام العلمي الصحيح) . وهناك الجملة المعروفة «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أينما وجدها» والمقصود منها هو ذلك. (في بعض التعابير إضافة ولو من يد مشرك) أي أن الحكمة التي يقول عنها القرآن ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ

﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ والتي معناها الكلام العلمي المحكم والموزون والصحيح والمعتبر وهي ضالة المؤمن. والتعبير بـ«ضالة» تعبير راقٍ جداً. فالإنسان إذا فقد شيئاً كان يملكه فإنه سيبحث عنه في كل مكان وإذا كان عندك خاتم قيّم تحرص عليه ثم ضاع فإنّك ستفتّش عنه في كل مكان تحتمل وجوده فيه وتكون كل حواسك متعلّقة به، أن ابحث هنا أو هنا فلعلّك تعثر على ضالتك. من محاسن ومفاخر التعابير الإسلامية هذا التعبير «الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها يأخذها ولو من يد مشرك». فلو أن مالك ضاع منك ثم وجدته في يد مشرك فهل تقول لا شأن لي به أم تقول هذا مالي؟

أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «المؤمن يرى العلم في يدالمشرك مستعار ويرى نفسه المالك الأصلي له ويقول هذا المشرك لا يليق بهذا العلم والذي يليق به هو أنا».

ينسب البعض التسامح والتساهل مع أهل الكتاب إلى الخلفاء «وان سعة صدر الخلفاء أوجبت أن يختلط المسلمون والمسيحيّون في دار الخلافة واليهود والمجوس وغيرهم مع بعضهم البعض وأن يستفيدوا من بعضهم» وهو كلام غير صحيح بل ان النبي صلى الله عليه وآله كان يأمر بذلك، جرجي زيدان يسند السبب إلى سعة صدر الخلفاء وينقل قصّة عن السيّد الرضي (والسيّد الرضي في مصاف مراجع التقليد وكان رجلاً كاملاً وهو أخو السيّد المرتضىٰ) عندما توفي العالم المعاصر له أبوإسحاق الصابئي[1] أنشد قصيدة في مدحه قال فيها:

---

١ ـ أبو إسحاق الصابي لم يكن مسلماً كان صابئياً (وهناك كلام كثير حول الصابئة فقال البعض أن أساس هذه الفرقة المجوسية لكنها فرقة مسيحيّة. واليوم هناك بحوث حول أصل هذا ⇦

أرأيت من حملوا عـلى الأعـواد   أرأيت كيف خبا ضياء النـادي[١]

يريد أن يقول هل ترى من هو الذي حمل في التابوت هذا جبل هوىٰ ... فأعابه البعض على ذلك ان كيف يمدح شريف من أولاد النبيﷺ و عالم إسلامي كبير رجلاً كافراً هذا المديح فأجابهم إنما رثيت علمه ولأجـل عـلمه رثـيته (ولو أن شخصاً يفعل مثل ذلك في هذا الزمان لطردوه من بلده) يقول جرجي زيدان بعد نقل هذه القصّة: «أنظروا إلى سعة صدر سيّد من أولاد النبيّ مثل السيّد الرضي مع ما هو عليه من العظمة المعنوية والمقام العلمي والسيادة والشموخ» (يمدح مثل هذا الكافر) ثم يـقول: «وهـذا يـعود إلى بـلاط الخـلفاء الذيـن كـانوا رجـالاً رحيبي الصدر». كلّا هذا لا ربط له ببلاط الخلفاء، السيّد الرضي من تلامذة عليّ بن أبي طالب والذي جمع نهج البلاغه و هو أكثر الناس معرفة بأوامر جدّه النبيﷺ و علي بن أبي طالبعليه السلام الذي يقول: «الحكمة والعلم معظّمان أينما وجدا».

كانت هذه العوامل التي أوجدت هذه الحيوية والنشاط العلمي والتي هـيّأت ـ قهراً ـ الساحة للإمام الصادقعليه السلام فالبحث في الواقع غدا في أنه وان لم تـتوفر للإمامعليه السلام فرصة الزعامة والتي لو توفّرت لكانت فرصة أفضل من غيرها بلا ريب، لكن تهيّأت له ساحة أخرى استفاد منها الإمامعليه السلام بحث يمكن القول ان الحركات العلمية في العالم الإسلامي الأعمّ من السنّي والشيعي مرتبطة بالإمام الصادقعليه السلام،

⇦المذهب) كان عالماً مرموقاً ورجلاً مؤدّباً ولأنه كان أديباً فقد أحبّ أدب القرآن و كثيراً ما كان يستشهد بآيات القرآن. لم يكن يأكل شيئاً في شهر رمضان فيقال له أنت لست مسلماً فلماذا لا تأكل؟ فيقول الأدب يقتضي أن أتوافق مع من أعاشر.

١ ـ هذه القصيدة نقلتها في «قصص الصالحين» (الجزء الثاني ص ٢٣٧).

أما الحوزات الشيعية فالأمر فيها واضح جداً أما الحوزات السنيّة فهي أيضاً نتاج الإمام الصادق عليه السلام لأنّ رأس ورئيس هذه الحوزات الجامع الأزهر الذي تشكّل منذا أكثر من ألف سنة على يد الشيعة الفاطميين وكل الحوزات الأخرىٰ متفرّعة عن الجامع الأزهر وكل هذه من ثمرات استفادة الإمام الصادق عليه السلام من وضع زمانه.

هذا الأمر على الأقلّ يطرح مسألةً هي أنه هل كان من الأفضل للإمام الصادق عليه السلام إهمال هذه الفرصة والإشتغال بالحرب وجهاد الظلم حتى يُقتل؟ أم الأفضل أن يستفيد منها قدر الإمكان؟ والإسلام ليس مجرّد مواجهة الظلم، في الإسلام أمور أخرى أيضاً.

وعليه فالمطلب عرضناه كفرق من جملة الفوارق بين عصر الإمام الصادق عليه السلام والعصور الأخرى بحيث لو لم يستفد الإمام عليه السلام من هذه الساحة لكنّا تساءلنا: ألم يكن الأئمة عليهم السلام يريدون الخلافة لأجل نشر الإسلام؟ فلماذا لم يستفيدوا من هذه الساحة وسلكوا بأنفسهم طريق القتل؟ فالجواب أنه عندما كانت تتهيّأ مثل هذه الساحة لم يكونوا ليفوّتوا عليهم ذلك، الإمام الرضا عليه السلام سنحت له فرصة مناسبة هي أنه عليه السلام كان في مجلس المأمون يرفع صوته بما يريد ولعلّ الإمام الرضا عليه السلام لم يبق عند المأمون أكثر من سنتين لكن ما وصلنا عن الإمام الرضا عليه السلام خلال فترة وجود المأمون لم ينقل عنه عليه السلام مثله خلال بقيّة عمره عليه السلام.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

* * *

سؤال و جواب

السؤال: هل تعلّم جابر بن حيّان علمه من الإمام الصادقعليه السلام؟

الجواب: ذكرنا أن قسماً من هذا الأمر من المجهولات التاريخية ولم يستطع التاريخ أن يبيّنها الآن بشكل مؤكّد والمقدار الموجود أنه أخذ هذه الدروس من الإمام الصادقعليه السلام. طبعاً هناك من لا يعتمد على جابر ويقول انه كان في عصر متأخّر عن الأمام الصادقعليه السلام وهؤلاء القائلون بتأخّره عنهعليه السلام يقولون انه تلميذ بعض تلامذة الإمام الصادقعليه السلام. وعلى كل حال فالذين كتبوا في ذلك ويعتمدون هذه المسألة كتبوا انه أخذ هذه الدروس منالإمام الصادقعليه السلام.

والركيزة الأساسية ان هذه العلوم لم يكن لها سابقة قبله وهذا يدلّ على أن الإمام الصادقعليه السلام كان له تلامذة مختلفون في اقسام مختلفة إذ ليس كل الأفراد (على شاكلة واحدة من جهة الإستيعاب الروحي والفكري) كما يقول أميرالمؤمنينعليه السلام لكُميْل بن زياد.

«إنّ هٰهنا لعلماً جماًلو أصبت له حملة» ثم يبيّنعليه السلام انه لم يجد إلّا ذكياً ذا استعداد لكنه طالب دنيا محتال يريد الدين للدنيا أو متنسكاً متديناً لكنه أحمق بلا قابليّة علمية ولم أجد رجلاً ذو قدرات علمية وأخلاقية.



الفصل الخامس

أسباب إستشهاد الإمام موسى الكاظمعليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، باريء الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على عبدالله ورسوله وحبيبه وصفيّه سيدنا ونبينا ومولانا أبي القاسم محمدصلى الله عليه وآله وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

«انتم الصراط الأقوم والسبيل الأعظم و شهداء دارالفناء وشفعاءدار البقاء»[1]

كل الأئمة الأطهارعليهم السلام عدا الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الذي لا زال على قيد الحياة، قد مضوا شهداء لم يلق أي منهم موتاً طبيعياً أو مات بمرض عادي وهذا من كراماتهمعليهم السلام.

فأولاً كانوا بأجمعهمعليهم السلام يتمنّون الشهادة في سبيل‌الله ونرى ذلك في الأدعية التي علّمونا إياها والتي هم أنفسهمعليهم السلام كانوا يقرأونها. يقول عليّعليه السلام: «لألف

---

١ ـ فقرة من الزيارة الجامعة.

ضربة بالسيف أفضل من ميتة على الفراش». ونحن عندما نقرأ الأدعية والزيارات التي نزورهم عليهم السلام بها نذكر من جملة فضائلهم أنهم من زمرة الشهداء، مضوا شهداء وهناك جملة ذكرتها في بداية الحديث تجدها في الزيارة الجامعة الكبيرة «أنتم الصراط الأقوم والسبيل الأعظم وشهداءدار الفناء وشفعاء دار البقاء».

الشهيد لقب الوجود المقدّس للإمام الحسين عليه السلام ونحن عادة نسميّه بالشهيد فنقول الحسين الشهيد، كما اننا نلقب الإمام الصادق عليه السلام فنقول جعفر الصادق وفي لقب الإمام موسى بن جعفر نقول موسى الكاظم و لقب سيّد الشهداء الحسين الشهيد. لكن لا يعني هذا ان الإمام الحسين عليه السلام تفرّد عن الأئمّة بالاستشهاد كما أننا عندما نقول للإمام موسى بن جعفر، الكاظم فليس بمعنى أن الأئمة الآخرين عليهم السلام ليسوا كاظمين أو عندما نقول للأمام الرضا عليه السلام (الرضا) فليس معنى ذلك عدم كون الآخرين عليهم السلام من مصاديق الرضا وعندما نقول للإمام الصادق (الصادق) فليس معناه ان الأئمة الباقين عليهم السلام ـ والعياذ بالله ـ ليسوا صادقين. فكذلك الأمر عندما نقول لسيّد الشهداء (الشهيد) فليس بمعنى أن أئمتنا الباقين عليهم السلام ليسوا شهداء.

تأثير مقتضيات الزمان في شكل الجهاد

حينئذٍ يأتي الكلام: لماذا استشهد الأئمة عليهم السلام؟ فإن التاريخ لا يشير إلى أنهم قاموا وشهروا السيف ضدّ الأنظمة الجائرة في زمانهم، وظاهر سيرتهم يعطي ان طريقتهم كانت مخالفة لطريقة الإمام الحسين عليه السلام، الإمام الحسين استشهد، وهذا واضح لكن لماذا استشهد الإمام الحسن؟ ولماذا استشهد الإمام السجّاد؟ ولماذا

استشهد الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم وسائر الأئمة عليهم السلام؟

والجواب: إننا نكون في ضلال إذا تصوّرنا اختلاف خطّ الإمام الحسين عليه السلام مع سائر الأئمة عليهم السلام من هذه الجهة، وهناك من عنده مثل هذا الوهم ويقول: «ان الإمام الحسين عليه السلام من بين جميع الأئمة كان مصراً على محاربة نظام الجور في زمانه أما الأئمة الباقون فكانوا غير ذلك ولم يجاهدوا».

وإذا كان هذا هو تفكيرنا فهو اشتباه عظيم والتاريخ ينطق بخلافه وكل القرائن والدلائل تنفيه أيضاً، نعم إذا تلقّينا الأمر بشكل آخر كما هو كذلك وهو أنه لا يمكن لأي مسلم واقعي ومؤمن واقعي ـ فضلاً عن مقام الإمام المقدّس ـ أن يسالم جهاز الظلم والجور في زمانه مسالمة واقعية أي يتوافق معهم بل هو دائماً في حالة حرب معهم لكن الفرق في شكل الجهاد فقد يكون جهاداً علنياً، إعلان حرب، حرب السيف، وهذا نحو من أنحاء الجهاد. وقد يكون جهاداً سرياً. في هذاالجهاد يحطّم الخصم أيضاً و يغرق في الوحل ويصرف الناس عنه. إعلان باطليته، سوق المجتمع ضدّه لكن لا بنحو يشهر فيه السيف.

هذا هو معنى أن مقتضيات الزمان مؤثرة في شكل الجهاد. وهي لا يمكنها أن تكون مؤثرة من جهة مصالحة الظلم بحيث يكون الصلح مع الظلم جائزاً في زمان و غير جائز في زمان آخر لا يجوز الصلح في الظلم أبداً في أي زمان لكن شكل المواجهة يختلف فقد تكون علنية وقد تكون تحت الستار سريّة. وتاريخ الأئمة عليهم السلام بشكل عام يحكي أنهم عليهم السلام كانوا دائماً في حال جهاد، وإذا قالوا: مواجهة حال التقيّة (فليس معنى التقيّة السكون وعدم الحركة) التقيّة كلمة مأخوذة من وقى كالتقوى مأخوذة منها. معنى التقيّة أن يكون الدفاع سريّاً وبعبارة أخرى

التترّس في العمل، تضرب أكبر قدر ممكن و يصلك أقلّ قدر ممكن من الضـرر وليس معناها التخلّي عن الجهاد حاشا وكـلّا. و مـن هـنا نـرى أن كـل الأئـمة الأطهار عليهم السلام كان لهم هذا الفخر ـ أجل هذا الفخر ـ انهم لم يسالموا أي خليفة من خلفاء الجور و كانوا دائماً في حالة جهاد.أنتم اليوم و بعد مضيّ ١٣٠٠ سنة أو اكثر وبالنسبة لبعض الأئمة عليهم السلام ١٢٥٠ سنة أو ١٢٦٠ أو ١٢٧٠ ترون ان خلفاء مـثل عبدالملك بن مروان (و من قبل عبدالملك بن مروان إلى عبدالملك بن مروان، الى اولاد أعمام عبدالملك. بنوالعبّاس: المنصور الدوانـيقي، أبـو العـباس السـفّاح، هارون الرشيد،المأمون، المتوكّل) هم من أسوأ ما عرف التاريخ من أفراد، وهذا بين الشيعة واضح جداً، حتى أوساط السنّة فهؤلاء في الطين. متى توحّل هؤلاء؟ فلو لم يكن هناك جهاد من الأئمة الأطهار عليهم السلام ضد هؤلاء و لو لم يكـن هـؤلاء يجاهرون بفسقهم وانحرافاتهم أمام الملأ واتضاح كونهم غاصبين غير جـديرين لدى الناس، أجل لولا هذا الأمر لكنّا قد عددنا هارون ـ وخصوصاً المأمون ـ في عداد القدّيسين لولا ان الأئمة عليهم السلام قد كشفوا باطن المأمون وعرّفوه لنا تعريفاً كاملاً لكان من المسلَّم به انه سيُتَلقّى كبطل كبير في العلم والدين.

بحثنا في موجبات استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: لماذا استشهد عليه السلام؟:

ومن مسلّمات التاريخ ان موسى بن جعفر عليه السلام استشهد ولا يسع أحد إنكار ذلك وبناءً على اكثر الروايات اعتباراً وشهرةً فقد قضى عليه السلام أربعة سنين من حياته في ركن من أركان سجن مظلم ضيّق وقد توفي عليه السلام في السجن أيضاً وقد طلبوا مـنه مراراً وتكراراً أن يقدّم ولو اعتذاراً أو اعترافاً ولو لسانياً لكنّه عليه السلام لم يكن يوافـق على ذلك والتاريخ سجّل ذلك.

الإمامعليه السلام في سجن البصرة

لم يرَ الإمامعليه السلام سجناً واحداً بل مرّ في سجون متعددة، كانوا ينقلونهعليه السلام من سجن إلى آخر. والسرّ في ذلك انهم عندما كانوا يضعونه في سجن يرون بعد مضيّ مدة قليلة من الوقت ان السجّانين يصبحون من محبيّهعليه السلام ويقبلون عليه.

أخذعليه السلام في أول الأمر إلى سجن البصرة وكان والي البصرة عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أي حفيد المنصور الدوانيقي، حُوِّل الإمام إليه وهو رجل لاهٍ مترف شارب للخمر من أهل الرقص والغناء وعلى قول أحدهم جاؤوا برجل عابد يعرف الله إلى مكان سمع فيه أشياء لم يسمعها في حياته. جاؤوا بالإمامعليه السلام إلى سجن البصرة في ٧ ذيالحجّة من سنة ١٧٨ للهجرة وكان عيد الأضحى على الأبواب فكانت أيام احتفالات وسرور، أخذعليه السلام بشكل مهين (من جهة معنوية) وبقيعليه السلام مدة في السجن. ورويداً بدأ عيسى بن جعفر هذا يتعلّق بالإمامعليه السلام وصار يقبل عليه. كان عيسى يظنّ أن موسى بن جعفرعليه السلام هو واقعاً كما بلَّغ جهاز الحكم ضدّه من أنه رجل متمردّ لا شغل له إلا إدّعاء الخلافة أي أن حبّ الرئاسة ملأ رأسه فرأى عكس ذلك، رآه رجل الروحانية وان كان يطرح مسألة الخلافة فلجهتها المعنوية لا لأجل أنه رجل طالب دنيا. فتغيّرت أوضاع الإمامعليه السلام فأمر عيسى أن يجعل تحت تصرّف الإمامعليه السلام غرفة ممتارة وأعلن رسمياً عن ضيافة الإمامعليه السلام فأرسل هارون رسالة سريّة أن أقضي على هذا السجين فأرسل إليه أنني لن أفعل. وأخيراً كتب إلى الخليفة أن أعط امراً بنقله من عندي وإلا فإنني سأحرّرة بنفسي فإنني لا أستطيع حفظ هذا الرجل عندى كسجين، وحيث انه كان ابن عمّ الخليفة وحفيد المنصور فكلامه مسموع.

الإمام في السجون المختلفة

أتوا بالإمام عليه السلام إلى بغداد وسلّموه إلى الفضل بن الربيع وهو ابن ربيع الحاجب المعروف[١]، جعل هارون الإمام في عهدة الفضل ـ لكنه هو أيضاً ـ و بعد مدة تعلق بالامام عليه السلام فغير من وضعه و حسنه فارسل الجواسيس الى هارون ان موسى بن جعفر يحيا حياة هنيئة في سجن الفضل بن الربيع و انه في الواقع ليس سجينا بل ضيفاً. فنقل هارون الإمام عليه السلام الى الفضل بن يحيى البرمكى فحدث نفس الشيء مع الفضل و عامل الإمام عليه السلام بالحسنى الامر الذي ازعج هارون كثيراً فارسل عيوناً له لتحقق في المسألة فرأوا ان الامر كذلك. فأخذ الإمام عليه السلام من الفضل بعد ان غضب على الفضل ثم ان اباه يحيى ـ هذا الوزير الايراني ـ عليه ما عليه ـ حتى لا يسقط اولاده من عين هارون إذا لم ينفذوا امره ـ همس في اذن هارون في مجلس الزيارة انه ان كان ولدي مقصراً فانا مستعد لتنفيذ كل ما تطلبه و ابني قد تاب ابني كذا، ابني كذا، ثم جاء الى بغداد و اخذ الإمام عليه السلام من ابنه و جعله في عهدة سجان آخر اسمه السندى بن شاهك، الذي قالوا عنه انه لم يكن مسلماً اصلاً و قد صعب الحال على الإمام عليه السلام في سجنه بحيث لم ير الإمام عليه السلام في هذا السجن اي راحة.

طلب هارون من الإمام

في اواخر ايام سجن الإمام عليه السلام أي قبل اسبوع من استشهاده عليه السلام ارسل هارون

---

١ ـ كان للخلفاء العباسيين حاجب اسمه الربيع، كان في البداية حاجب المنصور وبقى بعد المنصور في جهاز الخلافة ثم ابنه الذي كان في جهاز هارون فكانت الحجابة لبني العباس مختصة بهم وكانوا معتمدين عندهم كلّ الإعتماد.

في طلب يحيى البرمكى المتقدم ذكره و قال له بلسان لطيف: ابلغ سلامي إلى ابن عمى و قل له: «ثبت لنا انك غير مذنب و لا مقصر، لكني ـ للأسف ـ كنت قد اقسمت و لا يمكننى الحنث بيميني اقسمت انك ما لم تعترف بالذنب و تطلب مني العفو فلن احررك و ليس من الضروري ان يعرف احد بذلك فقط اعترف بهذا المقدار امام يحيى و ليس من الضروري ان اكون موجوداً و لا أي شخص آخر بحيث لا احنث بقسمى و اطلب المعذرة و اعترف بالتقصير و اطلب المسامحة فاحررك ثم تقدم علينا عزيزاً مكرماً». انظروا الى الروح الجهادية، و لماذا هؤلاء شفعاء دار البقاء، و لماذا استشهد هؤلاءعليهم السلام؟ استشهدوا في طريق الإيمان و العقيدة. ارادوا ان يقولوا: ايماننا لا يسمح لنا بمجازاة الظالم. و الجواب الذي اعطاه الإمامعليه السلام ليحيى هو هذا: «قل لهارون انه لم يبق من عمرى شيء» بعد اسبوع وضعوا السم للامامعليه السلام.

سبب اعتقال الإمامعليه السلام

لماذا امر هارون باعتقال الإمامعليه السلام؟ لانه كان يحسد الإمام على موقعه الأجتماعي و يشعر بالخطر منه، مع ان الإمامعليه السلام لم يكن في صدد النهضة ابداً و لم يقدم على اي شيء من اجل الثورة (الثورة الظاهرية) لكنهم شخصوا ان الإمام اعلن ثورة روحية عقائدية. عندما خطط هارون لجعل ولاية العهد لولده الامين و من بعده للمأمون ثم للمؤتمن على ان يدعو العلماء و ذوى المراكز في البلاد للمجيء هذه السنة الى مكة حيث يأتي الخليفة اليها و يشكل مؤتمراً عظيماً لاخذ البيعة من الجميع، تساءل عمن يمكن ان يكون المانع من تنفيذ هذه الخطة؟ فرأى

انه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام و عندما يأتى المدينة يصدر امراً باعتقال الإمام. و قد كان يحيى البرمكي المتقدم ذكره قال لبعضهم: اعتقد ان الخليفة سيأمر خلال اليوم أو الغد باعتقال موسى بن جعفر قالوا كيف؟ قال كنت في رفقته عند ما ذهبنا لزيارة الرسول في مسجد النبي(۱) و عندما سلم على النبى بقوله السلام عليك يا ابن العم يا رسول الله قال: «أعتذر اليك فانا مضطر لتوقيف ابنك موسى بن جعفر ـ و كأنه يستطيع ان يكذب على النبي صلى الله عليه وآله ـ فان المصالح تقتضى ذلك و لإن لم افعل تكن فتنة في بلادي فلمنع هذه الفتنة و لاجل مصالح البلاد العليا اضطر للقيام بهذا العمل يا رسول الله اعتذر اليك» قال يحيى لصاحبه اعتقد انه من اليوم الى الغد يصدر الامر بتوقيف الإمام عليه السلام.

اصدر هارون امر فذهب جلادوه الى الإمام عليه السلام فصادف ان الإمام عليه السلام لم يكن في المنزل. اين كان؟ كان في مسجد النبي صلى الله عليه وآله حيث كان عليه السلام مشتغلاً بالصلاة فلم يمهلوه حتى يتم صلاته بل اخذوه و هو في الصلاة و جرّوه جرّاً من مسجد النبي صلى الله عليه وآله فنظر عليه السلام الى قبر الرسول صلى الله عليه وآله و قال: «السلام عليك يا رسول الله السلام

---

۱ ـ ويل لهؤلاء فهم في عمق قلوبهم مؤمنون. لا تصدقوا انهم لا اعتقاد لهم، لو كانوا غير معتقدين لم يكونوا اشقياء الى هذا الحد بل كانوا معتقدين و الى هذا الحد هم اشقياء كقتلة الإمام الحسين عليه السلام عندما سأل الإمام عن اهل الكوفة اجابه الفرزدق «قلوبهم معك و سيوفهم عليك». فهم يحاربون قلوبهم، قاموا ضد اعتقادهم و شهروا سيوفهم عليك، والويل لبشر تحركه المطامع الدنيوية و حب الرئاسة فانها تصيره محاربا لمعتقده. لو لم يكن هؤلاء معتقدين بالاسلام واقعاً. لو لم يكن عندهم ايمان بالنبي صلى الله عليه وآله و بموسى بن جعفر عليه السلام و كان لديهم اعتقاد آخر لم يكونوا الى هذا الحد محل تانيب و تقريع و لم يكونوا اشقياء و معذبين عند الله ذلك المستوى من الشقاوة والعذاب، هم معتقدون و بخلاف اعتقادهم عملوا.

عليك يا جداه انظر الى امتك ماذا تفعل؟».

لماذا فعل هارون ذلك؟ لانه يريد اخذ البيعة لأولاده. لكن الإمام موسى بن جعفرعليه السلام لم يقم ضده اصلا. الا ان وضع الإمامعليه السلام وضع آخر فهو يحكي ان هارون و أبناء ه غاصبون للخلافة.

كلام المأمون

تصرف المأمون بشكل اعتقد كثير من المؤروخين انه شيعي و في رأيي انه لا مانع أن يكون للمرء اعتقاد ما لكنه يعمل ضد اعتقاده. كان شيعياً و من علماء الشيعة فهذا الرجل له حوارت مع علماء السنة ضبطت في التاريخ و لم اجد عالماً شيعياً له مناقشات منطقية بهذا النحو. و قبل سنتين كتب قاضٍ تركي كتاباً ترجم الى الفارسية اسمه «تشريح و محاكمة حول آل محمد» يذكر في هذا الكتاب مناقشة المأمون مع علماء اهل السنة حول الخلافة و ان الخليفة بعد الرسولصلى الله عليه وآله بلا فصل هو أمير المؤمنينعليه السلام و هي مناقشة لطيفة علمية الى حد ان المرء قليلاً ما يرى عالماً شيعياً يملك هذه المناقشة العلمية.

و قد ذكروا ان المأمون قال يوماً: لو قلتم ممن أخذت التشيع؟ قالوا: ممن؟ قال: من ابي هارون تعلمت درس التشيع، قالوا: ابوك هارون كان اشد الناس عدواة للشيعة و أئمة الشيعة قال: و مع ذلك فالامر كما اقول لكم ففي احد الاسفار التي ذهب والدي إلى الحج كنت برفقته و كنت صغيراً، و كان الجميع ياتى لرؤيته خصوصاً المعارف و كبار القوم و كانوا مكرهين على المجيء. و كان هارون قد امر كل من يأتي ان يعرف نفسه أولاً، بذكر اسمه و اسم ابيه و اسم اجداده الى جده

الاعلى حتى يعرف الخليفة انه من قريش أو غيرها و ان كان من الانصار فهل هو خزرجي او اوسي؟ فكل شخص كان يأتيه يأتي الحاجب الى هارون و يقول له: في الباب فلان بن فلان ... جاء الحاجب يوماً الى الخليفة قائلاً له بالباب رجل يقول انه موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب فما ان قال ذلك حتى هب ابي واقفاً و قال: قل له ان يتفضل وليأت كما هو راكباً لا يترجل ثم امرنا باستقباله فذهبنا و راينا رجلا عليه آثار العبادة ظاهرة و التقوى على وجناته جليّة مما يدلّ على انه من العبّاد و النسّاك من الرتبة الاولى و كان راكباً فناداه ابى من بعيد بمن اقسمْ عليك كي تبقى راكباً حتى تصل؟ و من اصرار والدى سار راكباً على مقدار من السجّاد و اسرعنا بامر هارون ناخذ ركابه و ننزله و هو نفسه اعطاه يده بشكل مؤدب ثم كانت اسئلة و أجوبة: كم عدد افراد عائلتكم؟ فعلم أن عددهم كثير. كيف تمضي حياتكم؟ تمضي كذا؟ ما عوائدكم؟ عوائدنا كذا. ثم قال لي بهدوء: ستصير خليفة و لا اوصيك إلّا بوصية واحدة وهي أن لا تسيء الى اولادي.

عدنا و نحن لا نعلم من هو و كنت اكثر الابناء جرأة و عندما خلا الجو سألت ابي: من هذا الذي قدمت له هذا الاحترام؟ فضحك و قال: إن كنت تريد الحق فهذا المسند الذي نجلس عليه هو حق لهم، قلت: او تعتقد بهذا؟ قال: نعم قلت: فلم لا تجعل الامر لهم؟ قال ان الملك عقيم و اعلم انك لو نازعتنى انت الملك لقلعت الذي فيه عيناك.

مضت القضية، وكان هارون يصل الناس و يرسل المال جزافاً الى هذا و ذاك من خمسة آلاف دينار من الذهب الاحمر، أربعة آلاف دينار ذهباً أحمر و غير

ذلك فقلنا لا بد انه سيرسل الى هذا الرجل الذي يحترمه هذا الاحترام مالاً وافراً جداً لكنه ارسل اليه اقل قدر من المال ٢٠٠ دينار فسألتة عن ذلك فقال: ألّا تعلم ان هؤلاء هم منافسونا و السياسة تقتضى ان تبقى يدهم خالية و ان لا يملكوا المال لانه اذا زادت امكانياتهم المالية فسيأتي يوم و ينهض مئة الف سيف ضد ابيك.

النفوذ المعنوي للامام

من هنا يمكنكم ان تدركوا النفوذ الذي كان يمتلكه ائمة الشيعةعليهم السلام انهم لم يكن عندهم سيف و لا اعلام، لكن ملكوا القلوب و قد كان من بين اقرب الناس الى جهاز هارون شيعة، و الحق و الحقيقة لهما جاذبيتهما التي لا يمكن اغفالها، قرأتم ليل امس في الجرائد ما قاله الملك حسين: علمت انه حتى سائقي مع الثائرين، طباخي ايضاً منهم، علي بن يقطين كان وزيراً لهارون، الرجل الثانى في البلاد، لكنه كان شيعياً متكتماً يخدم اهداف الإمام موسى بن جعفرعليه السلام و ان كان في ظاهر الامر هو مع هارون. قدمت مرتين او ثلاث تقارير عن علي لكن موسى بن جعفرعليه السلام كان بما يملكه من وضوح الرؤية، ذلك الوضوح الخاص بالامامة كان يتدارك الامر بسرعة فيعطي اوامره لعلي لينفذها و يسلم و يبقى مصاناً.

و في نظام هارون افراد احبوا الإمام حباً شديداً جداً و كانوا منشدين اليه انشداداً لا حد له، لكنهم لم يكونوا يجرأون على الاتصال بهعليه السلام، احد الايرانيين الشيعة الاهوازيين يقول: نالتني ضرائب ضخمة فكتبوا إليّ بها.

و كانت بحيث اذا دفعتها تدمر حياتي و صادف انّ والي الاهواز عزل و عين

آخر مكانه و كنت قلقاً جداً انه ان لاحظ سجل الضرائب و طالبني فستشلّ حياتي لكن ذكر لي بعض اخواني ان هذا الوالي شيعي في الباطن و انت شيعي، لكن لم تكن عندي الجراة ان اذهب إليه و اقول له انني شيعي إذا لم اطمئن لذلك فرأيت من الافضل الذهاب إلى المدينة عند موسى بن جعفر عليه السلام (لم يكن الإمام عليه السلام في ذلك الوقت سجيناً) فإن ايّد كون الرجل شيعياً اطلب منه توصية. ذهبت إلى خدمة الإمام عليه السلام فكتب لي رسالة من ثلاث او اربع جمل لا اكثر، ثلاث او اربع أوامر. لكنها من النوع التي يكتبها الإمام عليه السلام لشيعته ترجع الى ان قضاء حاجة المؤمن ورفع الضيق عن المؤمن له عندالله كذا و كذا، والسلام. اتيت بالرسالة الى الاهواز سرّاً اذ علمت ان الرسالة يجب ان تسلم بسريّة تامة. و في ليلة من الليالي ذهبت الى بيته فجاءني الحاجب فقلت له: قل له ان شخصاً اتاك من قبل الإمام موسى بن جعفر يحمل لك رسالة فجاء نى هو بنفسه و سلّم عليّ و قال: ما تقول؟ قلت: جئت من عند الإمام موسى بن جعفر و معي رسالة، فاخذها فعرفها ثم قبّلها و قبّلني وقبّل عيني وادخلني فوراً الى بيته و جلس قربي كما يجلس الطفل و قال كنت في خدمة الإمام عليه السلام؟ قلت: نعم، قال: و رأيت جمال الإمام بهاتين العينين وزرته، قلت: نعم. قال: ما بلاؤك؟ قلت: قد جعلوا عليّ ضرائب ثقيلة و لا تتحمل حياتي دفعها فامر تلك الليلة ان يوتي بالسجلّات و اصلح الأمر، و لأن الإمام عليه السلام كتب اليه ان من يدخل السرور على قلب المؤمن له كذا و كذا، قال: ارجو منك ان تقبل منى خدمة اخرى، قلت: نعم قال: اقاسمك اموالي فما عندي من نقد اقسمه و ما كان من الاجناس اقوّمه ثم انصفه فاقبل منّي ذلك، قال: خرجت. و عندما ذهبت إلى الإمام عليه السلام حكيت له ذلك فتبسم و انشرح.

من ماذا كان يخاف هارون؟ كان يخشى جاذبية الحقيقة، كونوا دعاة لنا بغير السنتكم[١] و ليس التبليغ و الدعوة باللسان دائماً فإن الدعوة باللسان أثرها قليل جداً، الدعوة دعوة العمل و كل من كان يلتقي الإمام موسى بن جعفرعليه السلام او احد آبائه او ابنائه الكرام الطاهرين و يبقى معهم مدة فانه تتجلى له الحقيقة في وجودهمعليهم السلام و يرى انهم يعرفون الله معرفة واقعية و يخشونه خشية واقعية. وانهم في الواقع محبوا الله و ما يعملونه فانما هو لاجل الله و الحقيقة.

سنّتان عند الائمةعليهم السلام

تجدون عند الائمةعليهم السلام سنّتين بشكل واضح و ظاهر جداً:

احداهما: العبادة و خوف الله و الإيمان به وفي وجودهم إيمان عجيب، يبكون من خشية الله ويرتجفون، يرون الله، يرون القيامة، يرون الجنة، يرون النار. و نقرأ عن الإمام موسى بن جعفرعليه السلام: حليف السجدة الطويلة و الدموع الغزيرة[٢] و ما لم يتفاعل وينقلب الداخل ناراً لا يبك الانسان.

السنّة الأخرى التي نجدها عند جميع اولاد عليعليه السلام ـ من الائمةعليهم السلام ـ المواساة و الشعور بآلام الضعفاء و المحرومين و البؤساء و المبتلين، و في الواقع للانسان قيمته الخاصة عندهمعليهم السلام، و نقرأ في تاريخ كل الائمةعليهم السلام الإمام الحسن الإمام الحسين و الإمام زين العابدين الإمام الباقر و الإمام الصادق و الإمام الكاظم

---

١ ـ اصول الكافي باب الصدق و باب الورع.

٢ ـ منتهى الامال ج ٢ ص ٢٢٢.

والباقين عليهم السلام فنجد ان مساعدة الضعفاء و الفقراء جزء من برنامج حياتهم. و هم يقومون بالمساعدة بأنفسهم لا مجرد أن يأمروا بذلك و يوكلوا شخصاً آخر لذلك العمل، فهذا الامر مشهود عندهم عليهم السلام.

خطة نظام هارون

في المدة التي قضاه الإمام عليه السلام في السجن خطط هارون كي ينقص من مكانة الإمام عليه السلام فأتوا بأمة شابة جميلة جداً كي تخدم الإمام عليه السلام في السجن، والسجن يحتاج الى شخص يأتي بطعام و اذا كان للسجين حاجة فإنّه يطلبها منه و قد أُمرت هذه الأمة الشابة الجميلة بذلك و اعتقدوا أنه مهما كان الأمر فهو رجل، وقد مضى عليه زمن و هو في السجن ينظر إليها نظرة ما، أو على الأقل يمكن اتهامه بشيء ويشاع، هل يمكن ان لا يحصل شيء في غرفة خلت لرجل مع أمة شابة. لكن جائهم خبر عن هذه الامة تبدلت هي ايضاً (وضعت سجادة الصلاة و اشتغلت بالعبادة)[1] رأوا ان هذه الامة صارت مثل الإمام، او صلوا الخبر الى هارون فجاءوا بالامة فرأوا التغير باد عليها و ان حالها قد غدت حالة اخرى، يتأمّلون في اطراف المسألة و يتساءلون ماالقضية؟ فقالت لهم: مذ رأيت هذا الرجل لم أعد أعي نفسي و علمت انني قد ارتكبت في عمري ذنوباً كثيرة و كم كنت مقصرة؟ فرأيت إنّ عليّ التوبة و لم تنصرف عن هذه الحالة حتى ماتت.

---

١ ـ حيث ان الإمام عليه السلام لم يكن عنده عمل في السجن فكان كل ما يستطيعه العبادة، عبادة باقصىٰ حد، التي لا يمكن ان يأتى بها انسان إلّا اذا كان حبه كاملاً.

بشر الحافي و الإمام الكاظم عليه السلام

سمعتم بقصة بشر الحافي[١]، و هي أن الإمام عليه السلام مر يوماً في أحد ازقّة بغداد وكانت اصوات العربدة و الآلات الموسيقية و الطنبور و العزف و الرقص تسمع من احد البيوت، و صادف ان خرج من المنزل خادم يريد رمي النفايات، قيل إنه كان يريد وضعها في الخارج كي يأتي مسئول التنظيفات و يأخذها فسأله الإمام عليه السلام عن صاحب هذا البيت أحر هو أم عبد، و تعجّب الخادم من السؤال، و قال: إلّا تعرف من صاحب هذه الدار مع ما هو عليه من الجلالة؟ هذا بيت بشر احد الرجال الأشراف أحد الأعيان، واضح انه حرّ. فقال عليه السلام: نعم حر و لو كان عبدا[٢]، لم تكن لترتفع هذه الاصوات من داره. و لم ينقل لنا إلّا هذا السؤال و الجواب من الحديث الذي دار بينهما. لا ندري ان كان هناك كلام آخر لكن لم ينقل الا هـذا المـقدار مكث قليلاً و رحل. التفت بشر الى خادمه الذي خرج ليرمي النفايات و يعود فان خروجه لا يستدعى منه ان يبقى اكثر من دقيقة مثلاً لكنه غاب عدّة دقائق فجاء اليه و سئله: لِم هذا التأخير؟ قال: قد أوقفني رجل للكلام فسأله: ماذا قال؟ قال: سألني سؤالاً عجيباً فقال: ما السؤال؟ قال سألني صاحب هذا البيت حرّ أم عبد؟ فقلت له: طبعاً حرّ.

فقال لي: نعم لو كان عبداً، لم تكن لترتفع هذه الأصوات من داره فسأله عن

---

١ ـ كان الائمة عليهم السلام يعملون بعض قدراتهم، طبعاً عندما يكون هناك داع لها لا انـهم يـريدون مجرد عرضها.

٢ ـ يريد عليه السلام العبودية لله .

أوصافه فوصفه له فعلم أنه موسى بن جعفر فسأله: من أية جهة ذهب؟ فأشار له إلى الجهة التي ذهب منها فلم يمهل نفسه كي يلبس حذاءه خوفاً من أن لا يدرك الإمام عليه السلام فعدا حافياً (فقد أحدثت تلك الجملة في نفسه تغييراً) حتى وصل إلى الإمام عليه السلام فسأله عن قوله ماذا قال فأجابه قلت: كذا ففهم المقصود وقال: سيّدي أريد من الآن أن أكون عبداًلله. وصدق في قوله فغدا من تلك الساعة عبداًلله.

هذه الاخبار كانت تصل إلى هارون مما جعله يشعر بالخطر فكان يقول للإمام عليه السلام: وجودك ذنب. يكفي ان الإمام موجوداً حتى يعتبره هارون مذنباً فعندما كان يسأله الإمام عليه السلام عن السبب، فأي ثورة قد قام بها وماذا فعل؟ لم يكن لدى هارون جواب لكن لسان حاله يقول: «وجودك ذنب» وهم عليهم السلام لم يقصّروا في توضيح المسألة وتفهيمها لشيعتهم و محارمهم و أفرادهم وكانوا يفهمون جذور هذه المسألة.

صفوان الجمال وهارون

سمعتم أيضاً بقصة صفوان الجمّال، صفوان كان ـ وحسب ما يقال اليوم ـ يمتلك مركزاً لتأجير وسائل النقل التي كانت في ذلك الزمن الجمال وكان معروفاً، وجماله كثيرة بحيث أن جهاز الخلافة كان يطلب منه حمل ونقل الأحمال. وفي يوم أراد هارون السفر إلى مكة فطلب لوازم الحمل والنقل من صفوان فعقد عقد الإجارة. صفوان كان شيعياً، و من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وجاءه يوماً وقال له: فعلت كذا، أو انه كان عرض له الأمر مسبقاً، فقال له عليه السلام: لماذا أجرت جمالك لهذا الرجل الظالم الجائر؟ قال: أجّرته حيث لم يكن سفره معصية، بل كان سفر

حج، سفر طاعة وإلالم أكن لأوجره، فقال: أخذت مالك أم لا؟ وهل بقي من الأجرة شيء أم لا؟ قال: نعم بقي فقالعليه السلام: اسأل قلبك، الان حيث أجرته جمالك ألا تحبّ أن يبقى هارون ـ ولو هذه المدة ـ في الدنيا حياً حتى يأتي ويعطيك الأجرة، فقال: نعم فقالعليه السلام: فأنت راضٍ ببقاء الظالم بهذا المقدار وهذا ذنب فخرج صفوان وكانت له سوابق مع هارون وفجأة أنتشر الخبر بأن صفوان باع جماله مرّة واحدة وتخلّى عن هذا العمل ثم ذهب إلى الذي عقد معه الإجارة على الجمال لهارون وقال له: إني أفسخ العقد لأنني لا أريد أن أقوم بهذا العمل بعد الآن وحاول أن يأتي بأعذار شتى. وصل الخبر إلى هارون فطلبه وعندما حضر سأله: ما الأمر؟ قال: قد عجزت ولم يعد هذا العمل ملائماً لي فرأيت أن أختار عملاً غيره. هارون كان قد علم بالخبر، فقال له: أصدقني الخبر لماذا بعت؟ قال: ما قلته هو الصدق قال: لا أنا أعلم ما القضية، علم موسى بن جعفر أنك آجرتني وقال لك هذا خلاف الشرع ـ لاتنكر ـ وأقسم بالله لولا ما لدينا من سوابق كثيرة هذه السنين الطويلة مع عائلتك لأمرت أن تعدم هاهنا.

اذن هذه هي موجبات استشهاد الإمام موسى بن جعفرعليه السلام:

أولاً: وجودهمعليهم السلام فكانت شخصيتهم بحيث يشعر الخلفاء منها بالخطر.

ثانياً: كانوا يبلغون ويوضّحون الأمور لكن مع التقية، أي العمل قدر الإمكان دون أن يتوفر أي مستمسك ضدّهم. نحن نتوهم أن التقية تعني الذهاب إلى النوم الأوضاع في زمانهمعليهم السلام كانت تتطلّب عملاً فكانوا يسعون أن لا يكون هناك أي مدرك ضدهم ولا يجعلون للخصم أي عذر وعلى الأقل تكون المدارك ضدهم قليلة قدر الإمكان.

ثالثاً: هذه الروح الجهادية العجيبة التي كانوا يتحلّون بها وقد ذكرنا انهم عندما طلبوا منه مجرّد عذر لساني في حضور يحيى أجابهم عليهم السلام: لم يبق من عمري شيء.

مرة أخرى أرسل هارون شخصاً إلى السجن محاولاً كسب اعتراف من الإمام وكلّمه أيضاً بهذا الكلام: إننا على علاقة بك ونُكِنّ لك محبّة لكن المصالح تقتضي أن تكون هنا وأن لا تذهب إلى المدينة وإلا فليس في نيتنا سجنك وإنما أمرنا أن تكون في محلٍ آمن وأنا أتولّى حِراستك شخصياً وقد أرسلت طبّاخي الخاص ليهيّيء لك ما ترغبه من الطعام، والشخص الذيأرسله هارون هذه المرة هوالفضل بن الربيع المتقدم ذكره الذي كان الإمام عليه السلام في سجنه مدّة وكان من الضبّاط ذوي الرتب العالية عند هارون. كان الفضل يرتدي لباسه الرسميكما كان مسلحاً يحمل سيفه عندما ذهب إلى الإمام عليه السلام في سجنه. كان الإمام عليه السلام يصلّي وعلم ان الفضل ابن الربيع أتى (فانظروا إلى تلك القدرة المعنوية) وقف الفضل ينتظر الإمام كي ينتهي من صلاته ليبلغه رسالة الخليفة، لكن ما أن سلَّم الإمام عليه السلام حتى شرع في صلاة أخرى، ثم ما ان قال: السلام عليكم حتى وقف وكّبر للصلاة ولم يمهل الفضل، وتكرر ذلك من الإمام عليه السلام عدة مرّات فعلم الفضل ان الإمام يتعمّد ذلك إذ كان يظنّ ان الإمام عنده صلوات يريد صلاتها، أربع ركعات، ستّ ركعات أو ثمانية لكنه فهم أخيراً ان الإمام عليه السلام لايريد أن يوليه أهمية ولا يريد استقباله وهو يعبّر عن ذلك بهذه الطريقة ورأى انه في النهاية لا بدّ من القيام بما أمر به وان طال به الوقت أساء هارون الظنّ، عسى يكون الفضل قد عقد إتفاقية مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في السجن، هذه المرة، ما ان قال الإمام عليه السلام: السلام عليكم حتى شرع الفضل بالكلام وقال له كل ما طلب هارون قوله من انه إياك أن تقول له ان

أميرالمؤمنين يقول كذا لا تسمني بأميرالمؤمنين، قل له ابن عمك هارون، الفضل أيضاً بكل ادب و تواضع قال له: يسلّم عليك ابن عمّك هارون ويقول لك قد ثبت لنا انه لا تقصير من قبلك ولا ذنب، لكن المصالح توجب أن تكون هنا و أن لا ترجع إلى المدينة حتى يحين وقت ذلك وقد أمرت بنفسي طبّاخي الخاص أن يهيّئ لك الطعام الذي تأمر به، قالوا ان جواب الإمامعليه السلام كان: «لا حاضر لي مال فينفعني وما خلقت سؤولاً، الله أكبر»[١].

الله، أي ليس عندي من مال الحلال أصرفه مقابل الطعام، و لست رجلاً يطلب وجبته اليومية أو الشهرية، لست رجلاً يَسْأل، الله أكبر.

هذا الذي رآه الخلفاء منهم ولم تكن هناك طريقة أو وسيلة تحرّكهم للسيطرة عليهم ليتبعونهم ويستسلمون لهم، وإلا فالخلفاء يدركون ان استشهاد الأَئمّة يكلّفهم غالياً لكن السياسة تجبرهم على سلوك هذا الدرب.

كيفيّة استشهاد الإمامعليه السلام

ذكرنا ان آخر سجن مرّ فيه الإمامعليه السلام هو سجن السندي بن شاهك. وقد قرأت يوماً عنه انه ليس مسلماً أصلاً وكان من الأشخاص الذين إذا أمروا بأمر نفّذوا بصرامة، جُعِلَ الإمامعليه السلام في سجن مظلم وقد سعوا بكل جهد لبيان ان الإمامعليه السلام قد جاء أجله الطبيعي وذكروا ان يحيى البرمكي المتقدم ذكره ولكي يبّرئ ابنه الفضل أعطى لهارون قولاً أن يقوم بما تلكّأ به الآخرون فرأى السندي وطلب منه

---

١ ـ منتهى الآمال ج ٢ ص ٢١٦.

القيام بهذا العمل ـ قتل الإمام عليه السلام ـ فقبل، هيّأ يحيى سمّاً خطيراً جعله في تصرّف السندي الذي وضع السمّ بطريقة خاصة في حبّات التمر وأطعمه للإمام عليه السلام و فوراً جيء بالشهود، دعوا العلماء والقضاة (وقالوا: انهم عدول المؤمنين، أي وجوه القوم وعبّادهم الذين يثق بهم الناس) وأحضروا الإمام عليه السلام. في هذه الجلسة قال هارون: أيها الناس انظروا إلى الشائعات التي يطلقها الشيعة حول موسى بن جعفر، يقولون أنه يتألّم في السجن، أنه كذا... انظروا إليه انه سليم معافىً تماماً. فما ان أنهى هارون كلامه حتى قال الإمام عليه السلام: انه يكذب، الآن قد سمموني ولم يتبقّ من عمري أكثر من يومين أو ثلاثة. هنا ألقموا حجراً. ولهذا[١] وضعوا جثمان الإمام عليه السلام بعد استشهاده على جسر بغداد، يدعون الناس لينظروا إلى الإمام عليه السلام وانه كان سالماً فليس هناك عضو مكسور ولم يقطع رأسه، وعنقه ليس أسود إذن نحن لم نقتل الإمام بل جاء أجله الطبيعي. أبقوا جثمان الإمام عليه السلام على الجسر ثلاثة أيام كي يُفْهِموا الناس ذلك الأمر، طبعاً كان للإمام عليه السلام محبون كُثُر لكن الفئة التي كانت كالحرمل[٢] على النار هي الشيعة.

تنقل حادثة تحرق القلوب واقعاً، وهي ان عدداً من الشيعة جاؤوا من إيران مع تلك الأسفار القديمة وما فيها من صعوبات، وكانوا يأملون جداً أن يروا هذا السجين بعد ان وُفِّقوا بالمجيء إلى بغداد. فإنه لا يصح اعتبار لقاء السجين جرماً، لكن لم تعط لهم الإجازة على الإطلاق فظنّوا أنهم إذا ترجّوهم فسيأذنوا لهم بلقائه

---

١ ـ أي لأنهم أرادوا التأكيد على انهم لم يقتلوا الإمام عليه السلام.

٢ ـ الحرمل: بذر أسود يحرق في الجمر وقاية من عين الحسود يريد أن يقول كالجمر على النار (المترجم)

فجاؤوا يرجونهم فصادف أن وافقوا على أن يرتّبوا لهم ذلك.

اطمأنّ هؤلاه المساكين انهم سوف يزورون الإمامعليه السلام وسيعودون إلى بلادهم يخبرون عن هذه الزيارة وانهم سألوه عن كذا وأجابهم بكذا، وإذا هم على هذه الحال ينتظرون خارج السجن من يعطيهم الإذن بالملاقاة إذا بهم يـرون أربـعة أشخاص يحملون جُثماناً على أكتافهم ومأمور النظام يقول لهم: هذا هو إمامكم.

ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.



الفصل السادس

ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام

الجلسة الأولىٰ:

بسم الله الرحمن الرحيم

بحثنا اليوم بحث تاريخي ومن فروع المسائل المرتبطة بالإمامة والخلافة، وهي التي اصطلح عليها؟ بـ «ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام» حيث نصّبه المأمون وليّاً للعهد عندما جاء بالإمام عليه السلام من المدينة إلى خراسان (مرو). وهذه الكلمة أعني ولاية العهد استعملت في ذلك الزمن وهي ليست مختصة بزماننا هذا وقد بحثت ومنذ عدة سنوات عن هذه الكلمة وتاريخها فهي لم تكن مستعملة في صدر الإسلام بل لم يكن لها مورد أصلاً ولم تكن لغتها أيضاً مورد استعمال، هذا العمل الذي يقوم به الخليفة عندما يختار فرداً خلفاً له ويعلنه ويطلب البيعة من الناس أول ما بدأ به معاوية لابنه يزيد، لكن لم يكن بهذه العبارة، أي بايعوا يزيداً على ولاية العهد ولا أذكر أنني قد رأيت استعمالاً لهذا اللفظ في مكان ما في العصور اللاحقة أيضاً مع التفاتي إلى هذه النكتة، لكن هنا نرى استعمال الكلمة مراراً ولهذا نحن نبيّن هذا اللفظ ـ لأنه تعبير مرتبط بالتاريخ والتاريخ عبّر بهذا اللفظ ـ فلا بدّ

لنا أن نعبّر به أيضاً.

وان الشبهة التي وردت في مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام آتية هنا أيضاً.

وان كان يبدو في ظاهر الأمر انهما متناقضان، لأن عمل الإمام الحسن عليه السلام كان تسليم الإمر والإمام الرضا تسلُّم الأمر وليس تسليماً، فهما متعاكسان ولربما قائل يقول متعجباً: فماذا يفعل الأئمة عليهم السلام؟ فعندما يسلّمون الأمر تعترضون وعندما يتسلّمون الأمر تعترضون، فما هو الإشكال إذن؟ لكن المعترضين يعترضون على أمر يدّعون أنه مشترك بينهما، بين ذلك الذي سلّم الأمر إلى الآخرين وذلك الذي يراد تحويل الأمر إليه من قبل الآخرين، ويقولون: إن كِلا الأمرين صلح فذلك التسليم نوع من الصلح مع خليفة العصر الذي نتيقّن بأنه أخذ الخلافة غصباً وهذا القبول بولاية العهد يؤول أيضاً إلى كونه نوعاً من الصلح.

فكلام المعترضين أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن له أن يسلّم الأمر ويصالح بهذا التحويل، بل كان يجب أن يحارب حتى يقتل، وأنّ الإمام الرضا عليه السلام لم يكن له أن يقبل حتى لو أجبروه على ذلك، وكان عليه أن يقاوم حتى يُقتل.

والآن سنحلّل مسألة ولاية العهد التي تعتبر من المسائل التاريخية المهمّة كي يتّضح المطلب وكنا قد بحثنا سابقاً حول صلح الإمام الحسن عليه السلام.

ابتداء يجب تحليل ما جرى من جهة تاريخية بغضّ النظر عن مسألة لماذا قبل الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد.

مسلك العباسيين مع العلويين

ورث المأمون الخلافة العباسية، وكان عمل العباسيين، من أول يوم استلموا فيه

الأمر، محاربة العلويين بشكل كلّي وقتلهم، ومقدار ما ارتكبه العباسيون من جنايات بحق العلويين من حين تسلّمهم الخلافة لم يكن أقلّ مما ارتكبه الأمويون منها، بل كانت غاية الأمر أن الأمويين ارتكبوا فاجعة كربلاء التي كان الطرف فيها الإمام الحسين عليه السلام ولهذا بلغت القضيّة اوجها وإلّا فبغضّ النظر عن الإمام الحسين عليه السلام فإن ما أتاه العباسيون من فجائع بحق سائر العلويين لم يكن أقل من فاجعة كربلاء بل أكثر، وماذا فعل المنصور الخليفة العباسي الثاني مع العلويين وأولاد الحسن عليه السلام الذين بايعهم في ابتداء الأمر، وكم قتل منهم وكم أمضوا في السجون الصعبة حتى يصبح الشعر بطول جسم الإنسان وكثير من هؤلاء السادة المساكين أمضوا السجن بلا ماء ولا خبز فكانوا لا يأذنون لهم بالخروج حتى ولو للتخلي فقد ضيّقوا عليهم أشدّ الضيق وكان إذا أراد قتلهم يأمر بهدم السقف على رؤوسهم.

وكل خليفة أتى بعد المنصور كان يفعل نفس الفعل، في زمن المأمون أيضاً ثار خمسة أو ستة من أولاد الأئمة عليهم السلام علىٰ ما يذكر المسعودي في مروج الذهب وإبن الأثير في الكامل، وفي زمان المأمون وهارون انتفض سبعة أو ثمانية من السادات العلويين فالعداوة والبغضاء بين العباسيين والعلويين ليست شيئاً صغيراً، والعباسيون لأجل الوصول إلى الخلافة لم يبقوا على أحد، حيثما وجد منافس للعباسيين، كان يقتل فوراً في بعض الأحيان. أبومسلم مع ما أدّاه لهم من خدمات لهم بمجرّد أن شعروا بذرة من الخطر منه قضوا عليه، البرامكة مع ما قدّموا من خدمات لهارون وما كانت عليه العلاقة الحميمة بينهم وبين هارون حتى غدت

مضرب المثل في التاريخ[۱] الا أن هارون وبسبب أمر حقير سياسياً ينقلب عليهم فجأة ويصيّر عوائلهم أثراً بعد عين. أوقع بين المأمون وأخيه فحاربا بعضهما البعض وانتصر المأمون وقتل أخاه الأمين شرّ قتلة.

فمن عجائب التاريخ أن يكون مثل هذا المأمون حاضراً لأن يأتي بالإمام الرضا عليه السلام من المدينة وعندما يحضر الإمام عليه السلام يعرض عليه قبول الخلافة منه، ثم يرضى أخيراً بأن يُلزم الإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد بحيث يوصل الأمر الى حدّ التهديد، التهديد الصعب. فما هو الباعث له على هذا العمل؟

وماذا كان يخطط[۲]؟ .

ليس من السهل تحليل هذه القضية من الناحية التاريخية، وقد بحث جرجي زيدان هذه القضية في كتابه تاريخ التمدن فيالمجلّد الرابع منه، وله استنباط خاص فيالقضية سنعرضه، لكنه يعترف ان بني العباس أبقوا سياستهم سريّة حتى علىٰ أقرب المقرّبين إليهم ولهذا بقيت أسرار سياستهم مكتومة، فمثلاً لم يتّضح إلى الآن لماذا كانت ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام[۳]؟ هذا الحدث بقي طي الكتمان من جهة نظام الخلافة.

---

۱ ـ طبعاً لا أريد أن أدافع عن البرامكة لأنهم إيرانيون كما يفعل الكثير ممن يسمّون بمقدّسي إيران بل كانوا في صفوف الخلفاء وليس هناك أدنى تفاوت بين البرامكة وبينهم من الجهة الروحية والإنسانية.

۲ ـ وهذا ليس قطعياً بالنظر إلى التواريخ لكن في كثير منها ان هذا قد حدث.

۳ ـ أي بالنظر إلى التاريخ كما أشار إليه مسبقاً وسيشير إليه فيما سيأتي (المترجم)

ولاية العهد للإمام الرضاعليه السلام والمنقولات التاريخية

لكن هذه الأسرار التي كان يجب أن تبقى مخفية، لم تعد كذلك آخر الأمر فمن جهتنا نحن الشيعة قد اتّضحت أسرار هذه القضية إلى حدّ كبير وفي أخبارنا ورواياتنا، أي التاريخ الذي نقل عن طريق علماء الشيعة الذي وصل إلينا عن طريق الروايات التي نقلت عن الأئمةعليهم السلام كالذي ينقله الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد وأكثر منه ما ينقله الشيخ الصدوق في كتاب عيون أخبار الرضاعليه السلام وبشكل خاص عيون أخبار الرضاعليه السلام التي يوجد فيها الكثير من الحديث حول مسألة ولاية الإمام الرضاعليه السلام للعهد، وأنا قبل أن أستند إلى كتب الشيعة التاريخية سأجعل كتاباً من أهم كتب أهل السنّة مستنداً لي وهو كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني، وأبو الفرج الاصفهاني من كبار مؤرخي العصر الإسلامي وهو أموي من نسل بني أمية وهذا من المسلّمات، عاش في عصر آل بويه ولأنه سكن اصفهان عرف باسم «أبو الفرج الاصفهاني» فهذا الرجل ليس شيعياً كي يقال أن كتابه كتب على أساس عاطفة شيعية بل هو مسلم سنّي كما انه لم يكن رجلاً كثير التقوى حتى نقول ان الكتاب كتب تحت تأثير ورعه. وهو صاحب كتاب الأغاني، و الأغاني جمع أغنية، يبيّن في هذا الكتاب الذي يبلغ تقريباً ١٧ مجلّداً كبيراً تاريخ الموسيقى في العالم الإسلامي وبالمناسبة يتعرّض إلى تواريخ كثير من الأمور، ويقال ان الصاحب بن عباد الذي كان معاصراً له كان اذا ذهب الى مكان أخذ معه حملاً كبيراً من الكتب وعندما وقع في يده كتاب أبي الفرج قال: الآن لم أعد بحاجة إلى مكتبة، فالكتاب كان جامعاً و شاملاً فمع أن موضوعه تاريخ

الموسيقى والموسيقيين ومع ان كاتبه هو أبو الفرج فإن بعض محدّثي الشيعة كالمرحوم المجلسي والمرحوم الشيخ عباس القمّي ينقلان بشكل متكرر عن كتاب الأغاني قلنا ان أبا الفرج عنده كتاب يعدّ من الكتب المعتبرة في تاريخ الإسلام هو «مقاتل الطالبيين» أي تاريخ مقتل بني أبي طالب (أولاد أبي طالب) جمع فيه نهضات العلويين وشهادة ومقتل أولاد أبي طالب سواء أكانوا من العلويين أم من غيرهم ـ وان كان أكثرهم من العلويين ـ ولا يزال الكتاب متداولاً بين الناس، وقد خصص في هذا الكتاب ما يقرب من عشر صفحات عن الإمام الرضا عليه السلام ينقل فيها مسألة ولاية الإمام الرضا عليه السلام للعهد وكيف جرت، وعندما نطالع هذا الكتاب نرى انه يوافق ما نقله علماء الشيعة من تاريخ وبشكل خاص موافقة ما جاء في مقاتل الطالبيين مع ما جاء في الإرشاد للشيخ المفيد فقد أجريت مقارنة بينها ورأيت انهما متقاربان جداً حتى كأنهما كتاب واحد، ويقال ان الأسانيد التاريخية لكلا الكتابين ترجع إلى مصادر واحدة، إذن فلا نستند في هذه المسألة إلى خصوص كلام علماء الشيعة.

فلنتحدّث الآن عن بواعث المأمون ولنرما الذي حركة لطرح هذا الموضوع؟ فهل انه اعتقد واقعاً أن يجعل الولاية للإمام عليه السلام حتى إذا مات أو قتل تنتقل الخلافة إلى العائلة العلوية والإمام الرضا عليه السلام، فهل هذا كان اعتقاده؟ وهل بقي على هذا الاعتقاد حتى النهاية؟

و في هذه الحالة يجب أن نرفض دعوى ان المأمون وضع السّم للإمام الرضا عليه السلام ويجب قبول قول من يقول ان الإمام عليه السلام مات موتاً طبيعياً.

من وجهة نظر علماء الشيعة ليس صحيحاً ان المأمون كان ذا نيّة سليمة مستمرّة

حتى النهاية ولكن الكثير من المثقفين يعتقدون بصحّة ذلك، وان المأمون كان في الواقع شيعياً مؤمناً محبّاً لآل علي.

المأمون والتشيّع

المأمون أعلم الخلفاء بل لعلّه أعلم سلاطين العالم ولعلّك لا تجد بين ملوك العالم من هو أعلم وأكثر حبّاً[١] للعلم من المأمون. ولا ريب ان المأمون كان ذا ميل فكري وروحي نحو التشيّع إذ لم يشمّ من المأمون رائحة التشيّع في خصوص جلساته التي كان يشترك فيها الإمام الرضاعليه السلام والشيعة فحسب بل كان ذلك ملحوظاً حتى في جلساته مع أهل السنة، وابن عبد البرّ وهو أحد علماء السنّة المعروفين، ينقل قصة تذكر في كتب الشيعه في كتابه المعروف، ان المأمون دعا يوماً أربعين رجلاً من أكابر علماء السنة في بغداد للحضور في الصباح الباكر عنده وفي الصباح اجتمعوا واستقبلهم وطلب منهم المناقشة في مسألة الخلافة ونقل مقداراً من تلك المناقشة السيد محمد تقي شريعتي في كتاب الخلافة والولاية، ولم أجد أحداً من علماء الدين يستدلّ على الخلافة بحسن استدلال المأمون قطعاً فقد حاورهم كلهم في مسألة خلافة أميرالمؤمنين وغلبهم، وقد ورد في روايات الشيعة وهذا ما ينقله المرحوم الشيخ عباس القمي في كتاب منتهى الآمال وهو ان شخصاً سأل المأمون من أين تعلّمت التشيّع فقال من أبي هارون، أراد أن يقول ان أبي هارون عنده ميل نحو التشيّع أيضاً ثم ينقل للسائل قصّة مفصلة من ان أباه كان

---

١ ـ لا بمعنى تشجيع العلماء.

له ميل شيعي وكان محباً للإمام موسى بن جعفر... لكن في نفس الوقت عامله أسوء معاملة، فسألته: لماذا تتعامل معه بهذا الشكل؟ فأجابني المُلك عقيم (مثل بين العرب) اي ان الملك لا يعرف إبناً فكيف بغيره فقلت: وأنا! قال: لو نازعتني أنت إيّاه لقطعت الذي فيه عيناك.

إذن لا شكَ ان المأمون كان عنده ميل شيعي، غايته أن يقال عنه: شيعي قتل الإمام، وأهل الكوفة ألم يكونوا شيعة وقتلوا الإمام الحسين عليه السلام؟

كما أنه لا بحث في أن المأمون كان رجلاً عالماً ومحباً للعلم و هذا الذي جعل الكثير من المثقّفين يعتقدون ان المأمون كان يعمل على أساس العقيدة و بخلوص نيّة، فسلّم ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام، لكن حوادث الايام منعت تحقيق الامر اذ مات الإمام الرضا عليه السلام موتاً طبيعياً فانتفى الموضوع، لكن علماء الشيعة يخطئون هذه النظرية كما ان القرائن تشير إلى خلافها إذا لو كان الأمر جدياً وواقعياً عند المأمون إلى هذا الحدّ لم تكن ردة فعل الإمام عليه السلام في مسألة قبول ولاية العهد بالنحو التي كانت، ونحن نرى أن الإمام الرضا عليه السلام لم يتلق القضية بشكل جدّي.

رأى الشيخ المفيد والشيخ الصدوق

رأى آخر ـ وهو ليس بذلك البعد إذ قبله مثل الشيخ المفيد والشيخ الصدوق ـ وهو أن المأمون كان مصمماً على ذلك في ابتداء الأمر لكنه ندم عن ذلك وتراجع. وفي التاريخ ـ على ما نقله أبو الفرج أيضاً والصدوق ينقله أكثر تفصيلاً ونقله الشيخ المفيد أيضاً ـ نجد أن المأمون عندما اقترح ذلك قال: طلبني يوماً أخي الأمين (الأمين كان خليفة والمأمون بالإضافة إلى انه قد أوكل إليه قسم من المُلك

كان ولي العهد أيضاً) فلم أذهب فأرسل جيشاً ليأتي بي مقيّداً، و كانت هناك في أطراف خراسان انتفاضات فأرسلت جيشاً انـهزم، ومـثله فـي المكـان الفـلاني، فرأيت ان معنويات قياديي الجيش عندي ضعيفة فـتيقّنت ان لا طـاقة لي عـلى مقاومة أخي وسيأخذونني ويأخذ سرير الملك وسيكون مستقبلي كـثير الشـؤم فتبت يوماً بيني وبين الله وأمرت بإحضار الماء لي في هذه الغرفة ـ ويشـير إلى غرفة لمحدثه ـ فاغتسلت أولاً وتطهرت (ولا أدري هل أراد بـذلك كـناية عـن الغسل أو أنه أراد النظافة الظاهرية) ثم أمرت بأن يؤتى لي بألبسة طاهرة بيضاء وفي نفس المكان قرأت ما كنت أحفظ من القرآن وصليت أربع ركعات ونذرت لله ان إذا حفظني الله وانتصرت على أخي أن أعيد الخلافة لأهلها، فعلت ذلك بكل خلوص قلب وبعد ذلك شعرت براحة في عملي فلم أنكسر في أية جبهة بعد ذلك، أرسلت أفراداً إلى جبهة سيستان فجاءني خبر انتصارهم ثم أرسلت الطاهر بـن الحسين إلى أخي فانتصر هو أيضاً، وتتالت الإنتصارات، فـلما اسـتجاب الله لي رأيت أن اللازم حينئذٍ الوفاء بالنذر، الشيخ الصدوق والآخرون قـبلوا ذلك وان الأمر كذلك و أن باعث المأمون هو هذا النذر الذي نذره في ابـتداء أمـره، هـذا احتمال.

الإحتمال الثاني

هنا احتمال آخر هو ان المأمون لم يكن له أي اختيار أصلاً ولم تكن الفكرة

فكرته بل هي فكرة الفضل بن سهل ذي الرياستين[١] وزير المأمون، أتى إلى المأمون وقال له: ان آباءك قد أساؤوا التعامل مع آل علي فعلوا كذا و كذا...فمن المناسب ان تأتي الآن بأفضل أبناء علي عليه السلام اليوم وهو علي بن موسى الرضا وتجعله ولياً للعهد. لم يكن المأمون مرتاحاً لهذا الأمر لكن لأن الفضل أراد ذلك فلم يكن في الأمر حيلة. وعلى هذا الاحتمال من أن الفكرة فكرة الفضل ينبثق سؤال: لماذا فعل ذلك الفضل؟ وهل كان شيعياً؟ وهل يعمل على أساس إيمانه بالرضا عليه السلام؟ أم أن الفضل بقي على عقيدة المجوس فأراد إخراج الخلافة من آل العباس عجالةً فهو أصلاً يريد اللعب بالخلافة ولهذا لم يكن جيداً مع الإمام الرضا عليه السلام بل كان سيئاً ولهذا فلو ان خطط الفضل نفذت لكان خطرها اكبر من

---

١ ـ كان للمأمون وزير اسمه الفضل بن سهل وله أخ اسمه الحسن بن سهل وهما إيرانيان وبالأصل هما مجوسيان وفي زمان البرامكة في الجيل السابق جاء الفضل بن سهل إلى جهاز البرامكة وعلى يدهم صار من المسلمين، كان ذكياً فطناً مطلعاً وخصوصاً في علم النجوم (ويقول البعض ان أباه كان مسلماً وأنكر ذلك بعض آخر وذهب إلى أنهما كانا مجوسيين ثم أسلما) ثم تسلّق حتى وصل إلى ان صار وزير المأمون وتولى منصبيين في آن واحد فبالإضافة إلىكونه وزيراً (والوزير في تلك الأيام مثل رئيس الوزراء اليوم أي كان يتولى جميع الأمور ولم يكن هناك مجلس وزراء، كان هناك شخص واحد له السلطة بعد الخليفة) كان حسب ما يسمّى اليوم رئيس الأركان وقائد كل القوى العسكرية ولهذا كان يقال له ذو الرياستين فكان له منصب الوزراء وقيادة القوى العسكرية. وجُلّ جيش المأمون كان من الإيرانيين (العرب في هذا الجيش قلّة) إذ كان المأمون في خراسان. فحرب الأمين والمأمون كانت أيضاً حرباً بين العرب والإيرانيين، والعرب إلى جانب الأمين والإيرانيون وبالخصوص الخرسانيون إلى جانب المأمون. والمأمون من جهة الأم إيراني وقد كتب المسعودي في مروج الذهب وفي التنبيه والإشراف ـ وكتبه الآخرون أيضاً ـ أن أم المأمون امرأة بادقيسية، وصل الإمر بالفضل أن يتسلّط على كل الأوضاع وكان المأمون مجرّد آله بلا إرادة.

خلافة نفس المأمون إذ ان المأمون مهما كان فهو في آخر الأمر خليفة مسلم أما هؤلاء فيريدون في الأساس فصل إيران عن العالم الإسلامي وإعادتها إلى المجوسية.

نذكر هذا كله كاسئلة ولا نريد إدّعاء ان التاريخ يملك أجوبة قطعية لها.

جرجي زيدان من القائلين بأنه عمل الفضل بن سهل لكنه يعتقد ان الفضل شيعي وانه فعل ذلك لإيمانه. لكنه كلام غير صحيح ولا يوافق التاريخ إذ لو كان الفضل عنده مثل هذا التصميم وكان مريداً واقعاً لانتصار التشيّع على السنة لم تكن ردّة فعل الإمام الرضاعليه السلام مقابل ولاية العهد ما كانت عليه بل جاء كثيراً في روايات الشيعة وتواريخ الشيعة ان الإمام الرضاعليه السلام كان مخالفاً جداً وبشدّة للفضل، بل كان مخالفاً له أكثر من مخالفته للمأمون وكان يرى الفضل بن سهل خطراً حتى انهعليه السلام كان في بعض الأحيان يحذر المأمون أنّ هذا وأخاه خطران جداً كما ان الفضل بن سهل كثيراً ما سعى للإيقاع بالإمام الرضاعليه السلام.

إلى هنا نكون قد ذكرنا إحتمالين:

الأول: انه من ابتكار المأمون وانه كان مصمماً من كل قلبه على ذلك لأجل النذر الذي قطعه على نفسه، سواء أقلنا بانحرافه فيما بعد عن هذا التصميم كما يراه الشيخ الصدوق والآخرون، أم قلنا ببقائه على نيّته حتى النهاية كما يراه بعض المستشرقين.

والثاني: أنها ليس فكرة المأمون أبداً بل هي فكرة الفضل بن سهل الذي قال البعض انه شيعي متمكّن من التشيّع ويقول البعض الآخر أن الفضل فعل ذلك مبيّتاً نية خطرة.

الإحتمال الثالث: (أ) الحصول على تأييد الإيرانيين

الإحتمال الآخر انه من ابتكار المأمون الاانه لم يكن مصمماً على ذلك من أول الأمر بل دعاه إلى ذلك سياسة المُلك. فما هي هذه السياسة التي اقتضت ذلك؟

يقول البعض أنّها توجيه أنظار الإيرانيين حيث انهم بشكل عام كانوا يميلون إلى التشيّع وآل علي عليه السلام وهم عندما قاموا ضدّ العباسيين[١] من أول الأمر قاموا تحت شعار الرضا من آل محمد (أو الرضى). ولهذا فإنه حسب ما ورد في التاريخ ـ لا حسب ما جاء في الروايات ـ فإن لقب الرضا قد أعطاه المأمون للإمام الرضا عليه السلام أي عندما نصّبه لولاية العهد سّماه بالرضا (أو الرضى) من آل محمد فهو يريد أن يقول: إنني أحيي لكم السنين الثمانين أو التسعين وذلك الشخص الذي أردتموه فها أنا قد أتيت به. فخطط كي يرضيهم ثم فيما بعد يفكّر في الأمر.

مسألة أخرى هي ان المأمون كان شاباً بعمر ٢٨ سنة وأقل من ثلاثين سنة وعمر الإمام عليه السلام قريب الخمسين (و على رأي الصدوق وآخرين ٤٧ سنة ولعله الصحيح) فكان من تخطيط المأمون ان هذا الرجل لا يشكّل خطراً إذا أعطيت له ولاية العهد اذ هو يكبره بما لا يقلّ عن عشرين سنة.

إذن هذا الرأي يقول ان ولاية العهد تخطيط سياسي من المأمون يريد به تهدئة الإيرانيين وكسبهم.

---

١ ـ كذا في الطباعة الفارسية والظاهر انه سهو والصحيح الأمويين (المترجم)

(ب) قطع الطريق على انتفاضات العلويين

ذكر البعض علّة أخرى لسياسة المأمون هذه وهي إفشال انتفاضات العلويين فالعلويون شكّلوا بحدّ ذاتهم مشكلة ومع مرور عدد من السنين ـ وفي بعض الأحيان كل سنة ـ كانت تقع انتفاضة في بقعة من بقاع البلاد يرأسها أحد العلويين فرأى المأمون لكي يرضي العلويين ويهدأهم وعلى الأقل يتخلّى العلويون عن السلاح ان يقوم بذلك العمل، إذ انه عندما يأتي بزعيم العلويين الى نظامه قهراً سيرون لأنفسهم نصيباً في الخلافة فيتحركون نحوها. كما ان المأمون قد عفا عن كثير منهم مع أنهم قد ارتكبوا في رأية جرماً كبيراً و ممن عفا عنه «يزيد النار» أخا الرضاعليه السلام. إذن قرر إرضاءهم وقطع الطريق عن أن يقوموا بالتحرك فهو في الواقع أراد أن يجعل للعلويين سهماً في الخلافة كي يهدأهم ثم يتفرّق الناس من حولهم وبهذه الطريقة لا مجال لهم بعد ذلك لحمل السلاح إذ حيثما يذهبون للدعوة للقيام ضد الخلافة سيقول لهم الناس: أنتم الآن شركاء في الخلافة والإمام الرضاعليه السلام هو الآن ولي العهد فأنتم إذن تقومون ضده.

(ج) سحب البساط من الإمام الرضاعليه السلام

تبرير آخر محتمل لسياسة المأمون هو سحب البساط من الإمام الرضاعليه السلام. وقد جاءفي رواياتنا ان الإمام الرضاعليه السلام قال يوماً للمأمون ان ذلك هو هدفك، وتعلمون انه عندما يكون هناك معارضة للنظام فإن إحدى الوسائل التي تتبع لسحب البساط منهم أن يطمّعوا ثم مهما ساءت الأوضاع ويتأذى الناس فلن

يتمكن هؤلاء أن يستفيدوا من ذلك بل على العكس فإن ذلك سيحرَك الناس ضدّهم. فالناس الذين يقولون ان الخلافة حق آل علي عليه السلام، إن أستلمو الخلافة يحولون الدنيا جنّة وستقوم العدالة وتستقر الامور وماشابه هذاالكلام، فأراد المأمون أن يأتى بالإمام الرضا عليه السلام إلى منصب ولاية العهد حتى يرى الناس ان الأوضاع لم تختلف ولم يتبدّل شيء فيتهمون آل علي بأنهم كانوا يعترضون عندما كانت يدهم قاصرة عن استلام السلطة وعندما وصلت يدهم إليها سكتوا ولم يقولوا شيئاً.

من الصعب جداً من الجهة التاريخية التوصل الى نتيجة قطعية عن رأي المأمون. فهل المسألة من ابتكاره أم من ابتكار الفضل؟ و ان كانت من الفضل فلماذا؟ وان كانت من المأمون فهل كانت نيّته سليمة في هذاالامر أم لا؟ وان كانت سليمة فهل تراجع عنها أخيراً أم لا؟ وان لم تكن نيّته سليمة فما هو الهدف؟ هذه أمور هي شبهات من الجهة التاريخية. طبعاً أغلبها عليه الدلائل الا انهاليست أدلة قطعية، ويحتمل كون كلام الشيخ الصدوق والآخرين المعتقدين به صحيحاً لكنه ندم وتراجع فحاله حال أي شخص إذا واجه مشكلة فيتخذ قراراً على ان تخلص منها فسيعود إلى الحق و إذا ما تخلّص منها فعلاً نراه يعود عن قراره: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1]. والمأمون أيضاً لمّا أحاط به البلاء نذر نذره و في البداية أراد الوفاء بنذره لكنه تراجع عنه شيئاً فشيئاً.

---

١ ـ سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

و الأفضل لنا أن نبحث المسألة من وجهة نظر الإمام الرضاعليه السلام فإننا إذا حلّلنا القضيّة من هذه الجهة و بشكل خاص إذا أخذنا المسلّمات التاريخية بعين الإعتبار ففي رأيي ستحل كثير من المسائل المرتبطة بالمأمون.

مسلّمات التاريخ

(١) إحضار الإمامعليه السلام من المدينة إلى مرو

إحدى المسلّمات التاريخية إحضار الإمام الرضاعليه السلام من المدينة إلى مرو ولم يسبق ذلك استشارة الإمامعليه السلام وأخذ رأيه ولم يذكر أحد انه سبق ذلك مراسلة أو حديث مع الإمامعليه السلام بهذا الشأن ولأي شيء نريد أن تأتي بحيث يكون الإمامعليه السلام تحرّك على أساس ذلك واستجابة لتلك الدعوى. بل المأمون أحضر الإمامعليه السلام بدون توضيح ما هو الموضوع، و أول مرة وضع الإمامعليه السلام في أجواء المسألة كانت في مرو ولم يحضر فقط الإمامعليه السلام بل أمر المأمون بإحضار عدد كبير من آل أبى طالب من المدينة تحت المراقبة و من دون أن يكون لهم في ذلك، حتى انه قد حدّد للإمامعليه السلام طريقاً محدوداً كي لا يمرّعليه السلام بمناطق الشيعة لأن المأمون كان يخاف منهم فأمر المأمون بأن لا يمرّوا من طريق الكوفة بل من طريق البصرة وخوزستان و فارس إلى نيشابور فخطّ السير كان محدوداً والاشخاص الذين اختارهم المأمون لإحضارهعليه السلام كانوا ممن يحقدون و يكنّون عداوة للإمامعليه السلام و العجيب ان القائد الذي أوكلت إليه هذه المهمة والذي كان يعرف باسم الجلودي (والظاهر انه عربي) و كان وفياً للمأمون كمال الوفاء إلا أنه كان معادياً للإمام الرضاعليه السلام جداً بحيث لما طرح المأمون المسألة في مرو أعلن الجلودي معارضته وكلما حاول

المأمون اسكاته كان لا يجيب و يصرّ على إبداء معارضته حتى سجن مع شخصين آخرين ثم قتلوا بسبب ذلك بعد أن دعاهم المأمون يوماً و كان الإمام الرضا عليه السلام وجماعة آخرين منهم الفضل بن سهل حاضرين في المجلس و طلب منهم رأيهم مجدداً فأجابوا بالرفض بكل صراحة والمعارضة التامة وكان جوابهم حدِّياً فقطع رأس الأول ثم جيء بالثاني فقاوم لكن ضربت رقبته وعندما جاء دور الجلودي[١] همس الإمام عليه السلام في أُذن المأمون، إذ كان جالساً بقربه، أن يصرف النظر عنه فقال الجلودي: يا أميرالمؤمنين لي عندك رجاء وأقسم عليك بالله أن لاتسمع كلام هذا الرجل في حقّي فقال المأمون: سأُوفي بقسمك ولن أقبل كلامه فيك (لم يكن يعلم ان الإمام كان يشفع له) فقطعت عنقه.

وعلى كل حال فقد جيء بالإمام الرضا عليه السلام على هذه الحال إلى مرو وقد وضعوا آل أبى طالب في مكان و الإمام الرضا عليه السلام في مكان لكن في ظل مراقبة وحراسة و في مرو طرح المأمون الموضوع مع الإمام الرضا عليه السلام. هذه من مسلّمات التاريخ.

---

١ ـ للجلودي سابقة سيئة جداً وهي أنه في إحدى إنتفاضات العلويين التي فشلت أمر هارون الجلودي هذا أن يذهب إلى المدينة ويسلب كل أموال أبى طالب حتى زينة نسائهم والبستهم ما عدا لباساً واحداً. فجاء إلى بيت الإمام الرضا عليه السلام فصدّه الإمام عليه السلام من باب الدار ومنعه من الدخول، فقال: لا بدّ أن أنفّذ ما امرت به، يجب أن أدخل و أخلع الألبسة عن النساء ولا أبقي أكثر من لباس واحد فقال له عليه السلام: أنا آتيك بذلك كله و أماالدخول فلن أسمح لك، فلم يجز له الإمام عليه السلام ذلك مهما أصرّ حتى ذهب الإمام عليه السلام بنفسه و طلب من النساء ما عندهنّ من ألبسة فجمعها حتى الحلق و السوار، جمعها له فأخذها و رحل.

(٢) رفض الإمام الرضاعليه السلام

و إذا تركنا مسألة ان الموضوع لم يطرح مع الإمامعليه السلام في المدينة و إنما طرح في مرو فهناك رفض الإمامعليه السلام فقد ذكر أبو الفرج المتقدم ذكره في «مقاتل الطالبين» ان المأمون أرسل الفضل بن سهل والحسن بن سهل إلى الإمام الرضاعليه السلام و هذان الرجلان طرحا المسألة مع الإمامعليه السلام فرفض ولم يقبل حتى قالا له أخيراً: لا خيارلك و نحن مأمورين بضرب عنقك هنا، إن أنت رفضت (ينقل هذا أيضاً علماء الشيعة) يقول أبو الفرج أيضاً: لم يقبل الإمامعليه السلام فذهبا إلى المأمون، أعاد المأمون الحديث نفسه مع الإمام و كرر تهديده بالقتل. وفوراً قال له: لماذا لا تقبل[1] أولم يشترك جدّك عليبن ابى طالب في الشورى؟ أراد أن يقول له: إن ولاية العهد هذه لا تنافي سنّتكم آل البيت أي عندما اشترك الإمام عليعليه السلام في الشورى و تدخل (في أمر انتخاب الخليفة) فهذا يعني انه قد غضّ النظر عن حقه الذي يراه لنفسه من الله واستسلم للأوضاع ليرى إلى ماذا تؤول إليه الظروف وأوضاع الناس؟ أيؤول إليه الأمر أم لا؟ فلو ان الشورى أعطت الخلافة لعليعليه السلام لكان قبل بها فعليك أنت أيضاً أن تقبل، إلى ان قبل الإمام الرضاعليه السلام أخيراً تحت

---

١ ـ يعلم هؤلاء ماذا يوجد في القلوب ولماذا لا يقبل الإمام الرضاعليه السلام. فالإمامعليه السلام كان يرفض لما ذكره للمأمون فيما بعد: مالُ مَنْ أنت تعطي؟ فالإمامعليه السلام طرح مسألة أن المأمون من مال مَن يعطي؟ و قبول المنصب منه تأييد لمنصب المأمون فإذا كان الإمامعليه السلام يعلم ان الخلافة حق إلهي له فهو يقول للمأمون لا تملك الحق في تعييني ولياً للعهد بل عليك أن تسلّم هذا الأمر وتعترف أن لا حقّ لي والحق لك فأنت الذي يجب أن تقبل بالتخلّى وان الخليفة يعيّن بالإنتخاب من الناس فأيضاً ما شأنك أنت بهذا.

التهديد بأنه ان لم يوافق يقتل، طبعاً يبقى السؤال: هل كان الأمر يستحق ان يقتل الإمام عليه السلام لإصراره عليه السلام على امتناعه عن قبول ولاية العهد؟ و هل هذا يشبه بيعة يزيد التي طلبت من الإمام الحسين عليه السلام أم لا؟ هذا ما سنبحث عنه فيما بعد.

(٣) شرط الإمام الرضا عليه السلام

و من المسلّمات التاريخية الأخرى ان الإمام عليه السلام وافق بشرط وافقوا عليه و هو ان لا يكون له أي دخالة بأى شيء ولا يتحمّل مسؤولية تجاه أى عمل. أراد عليه السلام في الواقع أن لا يتحمّل مسؤولية أعمال المأمون و حسب ما يقال اليوم أراد أن يحفظ خطّ المعارضة و عدم التعاون وقد حافظ على ذلك (طبعاً المأمون وافق على هذا الشرط) و لهذا لم يكن يشترك الإمام عليه السلام حتى في صلاةالعيد إلى ان حصل ما هو معروف من ان المأمون طلب من الرضا عليه السلام يوماً أن يصلّي صلاة العيد، فقال له عليه السلام: هذا خلاف الإتفاق، فقال: إن رفضك لتقبّل أي عمل جعل الناس تقول عنا أشياء ولا بدّ أن تقبل فقبِل الإمام عليه السلام هذه الصلاة بشرط[١] جعل المأمون و الفضل يندمان على ذلك وعلما ان الإمر ان وصل إلى هنا فإن ثورة ستحدث فتراجعا عن طلب الصلاة فأعادوا الإمام عليه السلام من الطريق ولم يسمحوا له بالخروج من المدينة.

(٤) طريقة تعامل الإمام عليه السلام بعد ولاية العهد

ومن المسلمات التاريخية التي ينقلها السنّة كما ينقلها الشيعة، و نقلها أبو الفرج

---

١ ـ سيذكر الأستاذ الشهيد فيما بعد ما هو هذا الشرط. (المترجم)

أيضاً كما نقلت في كتبنا، هي مسلك الإمامعليه السلام بعد ولاية العهد و خصوصاً الكلام الذي كان يقولهعليه السلام في مجلس المأمون، وفى رأيي ان الإمام في خطبة لم تتعدّ السطر و نصف السطر ـ والتي نقلها الجميع ـ قد وضّح موقفه، خطب ولم يأت على ذكر للمأمون ولم يبدِ أدنىٰ شكر له. والطبيعي انه في مثل هذه الحالات ان يذكر اسمه و على الأقل أن يُقدم على شكره. يقول أبو الفرج انه أخيراً عيّن يوم لمبايعة الناس للإمام الرضاعليه السلام فجاء الناس و قد هيّأ المأمون للإمام الرضاعليه السلام مجلساً وأول من أمر بمبايعة الإمام رضاعليه السلام العباس ابن المأمون و الثاني كان أحد السادات العلويين وتمّت البيعة بهذا الترتيب، عباسي علوي وكان المأمون يعطي جائزة لكل واحد من هؤلاء. عندما جاؤوا للبيعة أبزر الإمامعليه السلام يده للناس بشكل خاص، فقال له المأمون: مدّ يدك كي يبايعك الناس، قالعليه السلام: لا هكذا بايع جدّى النبيصلى الله عليه وآله و قد وضع يده بهذا النحو، فكان الناس يأتون و يأخذون بيدهعليه السلام ويضعونها في أيديهم، ثم جاء الخطباء و الشعراء ـ هؤلاء الذين يسايرون الأحوال و الأوضاع ـ وأخذوا يخطبون ويتلون قصائدهم في مدح الإمام الرضاعليه السلام و مدح المأمون و مجّدوا فيهما ثم طلب المأمون من الرضاعليه السلام أن يخطب بين الناس ويتكلّم فيهم فقامعليه السلام، توقّع المأمون أن يكسب هنا من الإمام تأييداً لخلافته. قالوا: فقال بعد حمد الله والثناء عليه[1]....

---

١ ـ في هامش الكتاب ان هذه الكلمات لم يضبطها شريط التسجيل مع الأسف إذ وصل إلى آخره.

الجلسة الثانية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

موضوع البحث مسألة ولاية العهد للإمام رضا عليه السلام من المأمون: وقد ذكرنا في الجلسة السابقة أن في هذه القصّة سلسلة مسائل قطعية و مسلّمة تاريخياً وسلسلة مسائل مشكوك فيها حتى أن بعض المؤرخين مثل جرجي زيدان يصرّحون بأن سياسة بنى العباس كانت كتومة و قليلاً ما كانوا يفشون أسرار سياستهم ولهذا بقيت هذه المجهولات في التاريخ.

والأمر الذي لا ريب فيه و لانقاش ان ولاية العهد لم تكن أولاً من الإمام الرضا عليه السلام أي لم يكن هناك أي عمل من الإمام عليه السلام بهذا الإتجاه بل كانت صادرة عن المأمون كما أنها ابتداءً لم تكن بحيث ان المأمون يقترح و الأمام عليه السلام يوافق بل كانت بشكل انه و قبل إعلان الأمر يرسل جماعة من خراسان ـ خراسان القديمة، من مرو، من ماوراءالنهر، من هذه الأراضي التي تعتبر اليوم من أجزاء روسيا، حيث كان المأمون ـ و يحضرون جماعة من بني‌هاشم و على رأسهم الإمام الرضا عليه السلام. ولم يكن هناك حديث عن أي اختيار حتى ان الطريق الذي يسلكه الإمام عليه السلام كان مشخصاً و من المناطق و الطرق التي يكون الشيعة فيها بنسبة أقل من غيرها، أو لا وجود لهم اصلاً و حدد لهم بشكل خاص أن لا يعبروا بالإمام عليه السلام

من المدن التي يسكنها الشيعة. عندما دخلت هذه المجموعة مرواً فـقد أسكـنوا الإمامعليه السلام في بيت و الآخرين في بيت آخر. وفي مرو تطرح المسألة لأول مـرة ويقترح المأمون ذلك (أن يقبل الإمام الرضاعليه السلام ولاية العهد) و كلام المأمون الأول كان: إنني أريد أن أسلّم الخلافة، ثم عرض عليه إن لم يقبل بها أن يـقبل ولايـة العهد.

ولكن الإمام الرضاعليه السلام امتنع امتناعاً شديداً، فعلى أي أساس رفض الإمامعليه السلام؟ ولماذا امتنع؟ طبعاً هذه الأمور لانستطيع أن نذكرها على نحو البتّ والجزم لكن في الروايات المروية عنهعليه السلام ـو من جملتها رواية عيون أخبار الرضـاعليه السلام. انـه عندما قال المأمون: أرى أن أعزل نفسي عن الخلافة و أنصِّبك مكاني ثم أبايعك فقال له الإمامعليه السلام: إما أن تكون ذا حقّ في الخلافة أولا حقّ لك بها، فإن كـانت الخلافة هي لك واقعاً وأنت صاحب حق فيها و الحال ان الخلافة مـنصب إلهـي فليس لك الحق إذا عيّنك الله أن تعطيها لغيرك و إن لم تكن حقاً لك فايضاً ليس لك الحق في إعطاء الخلافة إذ الشيء الذي تفقده كيف تعطيه لغيرك؟ معنى ذلك انك لست صاحب حق في الخلافة فعليك أن تعلن أنّك لست صاحب حـق كـمافعل معاوية بن يزيد. وهذا يعنى ـقهراً ـان تخطىء آباءك كما خطّأهم معاوية بن يزيد الذي قال: ان آبائي لبسوا هذا الثوب بغير حق و أنا أيضاًلبسته بغير حق مدة من الوقت. فعليك أن تقول: أدع الخلافة لا أن تقول أعطيك الخـلافة. عـندما سـمع المأمون ذلك تغيرت لهجته فوراً وقال: أنت مجبور على ذلك ثم هدّده المأمـون

خالطاً التهديد بالاستدلال ايضاً[١]. فقال كلمة فيها استدلال من جهة وتهديد من جهة أخرى، و هي ان جدّك عليّ بن ابي طالب قد اشترك في الشورى (شـورى الستّة) و الخليفة عمر هدّد قائلاً: «على الشورى خلال ثلاثة ايام أن تقرّر فإن لم تفعل أو تمرّد بعضهم على قرار الأكثرية فإن أبا طلحة الأنصاري مأمـور بـقطع رقابهم». أراد المأمون من ذلك أن يقول: أنت الآن في الوضع الذي كان عليه جدّك و أنا في وضع عمر فاسلك سيرة جدّك عليّ واشترك في هذا الأمـر. فـفي هـذه الجملة تلويح أن لماذا اشترك جدّك عليّ عليه السلام في الشورى مع أنه كان يـعرف أن الخلافة لهذا أم لذاك، و هذا بحدّ ذاته تنازل من جدّك علي بن ابي طالب ولم يعقّد المسألة ويقول لِمَ الشورى؟ والخلافة لي فإما أن تـتنحّوا لأكـون الخـليفة و إلا أرفض الإشتراك في الشورى فاشتراكه فيها يعنى أنه غضّ النظر عن حقه القطعي والمسلّم به وساوى نفسه بين أفراد الشورى، و أنت الآن في وضع يشبه وضع عليّ بن أبى طالب، هذه هي الجهة الإستدلالية في القضية أما جهة التهديد فهي أن عمراً كان خليفة يجعله المأمون سنداً تقريباً للعصر و الزمان فهو يريد أن يقول إنني إذا اتخذت قراراً صلباً فالمجتمع سيقبل منّي ذلك وسيقولون اتخذ القرار الذي اتخذه الخليفة الثاني الذي قال ان مصلحة المسلمين في الشورىٰ ومن تخلّف تُـضرب رقبته وأنا خليفة أرى بأن مصلحة المسلمين تقضي أن يقبل عليّ بن موسى ولاية العهد وإلا يضرب عنقه. إذن مزج الإستدلال بالتهديد ومن مسلّمات التاريخ أيضاً

---

١ ـ في الواقع كان المأمون رجلاً عالماً مطلعاً، له اطلاع بالحديث، اطلاع بالتاريخ، اطلاع في المنطق، اطلاع في الأدبيات، في الفلسفة وقد يكون على معرفة بسيطة بالطب و النجوم فهو في الأصل من العلماء ولم يكن له نظير في فئة خلفاء و سلاطين العالم.

إباء الإمام الرضا عليه السلام عن قبول ولاية العهد إلا انه قبل تحت التهديد.

الأمر الثالث الذي هو من القطعيات و المسلّمات ان الإمام عليه السلام اشترط على المأمون من أول الأمر أن لا يتدخّل بالأمور أي لا يكون جزءاً من النظام. فليطلقوا عليَّ صفة ولاية العهد ولتضرب السكة باسمي ولتقرأ الخطب باسمي لكنني لن أكون شريكاً في الأعمال ولن أتحمّل مسئولية أي عمل لا في القضاء والمحاكم ولا في العزل والنصب أو أي عمل آخر[١]. في مراسم ولاية العهد أبرز الإمام عليه السلام أيضاً عدم تعلّقه بهذا النظام و ان الجملة التي قالها عليه السلام في أول خطبة بعد ولاية العهد لهي جملة عجيبة وقيّمة في رأيي. ذلك المجلس العظيم الذي شكّله المأمون والذي دعى إليه كل مسؤولي الدولة من وزراء وقياديي الجيش وسائر الشخصيات وقد لبس الجميع اللباس الأخضر الذي جُعل شعاراً في ذلك الوقت[٢]. و أول شخص أمر بمبايعة الإمام الرضا عليه السلام على أنه وليّ العهد هو عبّاس بن المأمون الذي كان ـ ظاهراً ـ قد سمّي بوليّ العهد مسبقاً أو كان مهيّئاً لذلك. ثم جاء الآخرون الواحد تلو الآخر للبيعة ثم الشعراء ثم الخطباء حيث تُليت الاشعار الراقية و أُنشِئت الخطب الغرّاء ثم صار الاتفاق على ان يخطب الإمام عليه السلام فوقف عليه السلام و تحدّث في سطر ونصف السطر في جملات كانت في الواقع اعتراضاً

---

١ ـ في الواقع لم يرد الأمام عليه السلام أن يكون جزءاً من المأمون بحيث يلازمه.

٢ ـ لماذا اللباس الأخضر؟ يقول البعض هذا من تدبير الفضل بن سهل لان شعار العباسيين اللباس الأسود فأعطى الفضل من ذلك اليوم أمرا ان يلبس الجميع الأخضر، قالوا انه في هذا التدبير تظهر روح زرادشتية واللون الأخضر هو شعار المجوس، إلّا اننا لا نعلم إلى أيّ حد هذا الكلام صحيح.

عليهم و هذا هو مضمون الخطبة: «إن لنا حقاً بولاية أمركم ـ و معنى ذلك ان هذا في الاصل حقاً لنا و ليس شيئاً نُعطاه من المأمون ـ ولكم علينا من الحق ـ (ولا أذكر عين العبارة) . حقّكم أن ندير أمركم، فمتى ما أعطيتمونا حقنا ـ أي قبلتمونا ولاة أمركم ـ وجب علينا تأدية حقّكم والسلام. كلمتان: لنا حق الخلافة ولكم حق باعتبار أنكم شعب تحتاجون إلى خليفة عليكم أداء حقنا فإذا فعلتم وجب علينا أن نقوم بواجبنا اتجاهكم»[1]. لاترى أي شكر للمأمون أو أي كلام آخر بل مضمون هذه الجمل مخالف لروح جلسة ولاية العهد. واستمر الإمام عليه السلام على هذا النحو. أي كان مركز ولاية العهد بالنسبة للإمام الرضا عليه السلام أشبه بمركز فخري فهو لم يكن على استعداد للتدخّل. ولو قبل التدخّل أحياناً ـ تحت الضغط ـ فلم يكن تدخلاً يحقق هدف المأمون مثل قضية صلاة العيد إذ أرسل المأمون إلى الإمام عليه السلام إننا اتفقنا على أن لا تتدخّل في أيّ عمل لكن هذا يوجب إتهام لنا فلا بأس بالقيام بهذا العمل[2] فقال الإمام عليه السلام إذا أردت فعل ذلك فعليَّ أن أقوم به بطريقة جدّي لا على النحو المتعارف عليه هذا اليوم فوافق المأمون. خرج الإمام عليه السلام من داره فحدثت ضوضاء وجلبة في المدينة بشكل جعلهم يعدلون عن طلبهم ويعيدون الإمام عليه السلام من وسط الطريق، و على هذا الأساس فإن الأمر مسلّم به إلى هذا الحدّ من أنّ الإمام عليه السلام قد حُمِّل ولاية العهد تحت الإجبار والتهديد بالقتل وبعد التهديد قبل عليه السلام بشرط أن لايكون له دخل بأي عمل ولم يتدخّل أبداً فقد عزل نفسه بنحو

---

١ ـ في بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٤٦: لنا عليكم حق برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حق به فإذا أنتم أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم.

٢ ـ أي صلاة العيد.

بيَّن فيه أنه‌عليه‌السلام لا ينسجم مع هؤلاء وليس له أي تماس معهم كما أنهم ليسوا على تماس معه.

المسائل المشكوكة

وهناك جملة مسائل مشكوك فيها قدعرضناها. و هي كثيرة. وهنا تختلف الإجتهادات من العلماء والمؤرخين. أصلاً ما هي ولاية العهد؟ وكيف حدث أن استعدّ المأمون لأن يطلب الإمام الرضاعليه‌السلام من المدينة ويفوّض إليه ولاية العهد والخلافة وان يخرجها من بني‌العباس إلى آل علي، فهل هي فكرته أم فكرة الفضل بن سهل ذي الرياستين السرخسي، ألزم المأمون بها باعتبار أنه كان وزيراً متسلّطاً و كانت جيوش المأمون ـ والتي أكثرها من الإيرانيين ـ كانت تحت إشراف هذا الوزير وكان يستطيع فرض أي رأى يريده. ولماذا قام بذلك؟ يقول البعض ـ وهو قول ضعيف طبعاً ـ مثل جرجي زيدان و حتى إدوارد برادن أن الفضل بن سهل كان شيعياً وكان حسن النّية في طرح المسألة وأراد واقعاً نقل الخلافة إلى آل عليّ‌عليه‌السلام، ولكن لو كان هذا الاحتمال صحيحاً لكان من الطبيعي أن يتعاون الإمام‌عليه‌السلام مع الفضل بن سهل لأن الوسيلة كانت مهيّأة تماماً لانتقال الخلافة إلى العلويين ولم يكن ليرفض حتى يضطّر للقبول تحت التهديد ومايقبله هو أشبه بمركز فخري ليس له أي تدخّل في أعمال الحكم.

بل لكان تحمسه إلى القبول شديداً ولتدخّل في الأمور وخلع المأمون ـ عملياً من الخلافة ـ طبعاً هاهنا إشكال آخر وهو أننا لو فرضنا أنه كان بالأمكان عزل المأمون من خلال تعاون بين الإمام‌عليه‌السلام والفضل إلاان الأوضاع لم تكن بحيث

تسير الخلافة حينها على ما يرام لأن خراسان لم تكن كل البلاد الإسلامية بل كانت جزء منها فلو تجاوزنا حدود خراسان ففي العراق الذي كان سابقاً مركز الخلافة وكذا الحجاز واليمن و مصر و سورية كان الوضع مختلفاً فلم يكن فيها ميل لما يميل إليه الإيرانيون وأهل خراسان بل كانت ميولهم بالضدّ أيّ أنّنا إذا افترضنا أن القضية تمّت بذلك الشكل وصارت واقعيّة لكان الإمام الرضا عليه السلام خليفة في خراسان فقط أما بغداد فإنّها ستقف في وجهه بقوة كما انه بمجرّد أن وصل خبر ولاية العهد إلى بغداد وأدرك العباسيون في بغداد ماذا فعل المأمون أعلنوا عزل المأمون وبايعوا شخصاً آخر من بني العباس هو إبراهيم بن شكلة ـ مع أنه كان بلا صلاحيات ـ وأعلنوا التمرّد واننا لا يمكننا الخضوع لسلطة العلويين فقد كدّ أجدادنا مئة سنة وأتعبوا نفوسهم والآن وبدفعة واحدة تحوّل الخلافة إلى العلويين؟ قامت بغداد وتبعتها المناطق الأخرى.

إلا أن ذلك كله مجرّد فرض لا أساس له وغير مقبول ان الفضل بن سهل ذا الرياستين كان شيعياً و انه تحرّك و فعل ذلك بدافع الاخلاص والمحبة للإمام الرضا عليه السلام. ف:

اولاً: كون الفكرة فكرة الفضل مشكوك بها.

ثانياً: لو سلّمنا كونها فكرته فان يكون بدافع الحسّ الشيعي فالشكّ فيه قويّ.

والإحتمال الأقوى[1] ان الفضل بن سهل لازال جديداً على الإسلام، أراد بهذه

---

١ ـ يعني لو سلم بانها فكرة الفضل. (المترجم)

الوسيلة أن يعيد إيران إلى ما قبل الإسلام[١] وقد علم ان الإيرانـيين لا يـقبلون بذلك لانهم في الواقع مسلمون معتقدون بالإسلام فـيكفي ان يأتـي بكـلمة ضـد الإسلام حتى يعارضوه. فرأى ان يكيد للخليفة العباسي عـن طـريق رجـل ذي وجاهة، واختار ـ عجالة ـ الإمام الرضاعليه السلام لهذا الغرض الذي سـيبتلي خـارجاً بمشاكل معارضة بني العباس ومن الداخل يـعمل الفـضل عـلى تـهيئة الفـرصة لارجاع إيران إلى عصر الزرداشتية ولو صح هذا الفرض فإن الإمامعليه السلام سيتعاون مع المأمون لقلع وقمع هذا الخطر الأكبر أي خطر الفضل بن سهل على الإسـلام الذي هو أشد من خطر المأمون لأنّ المأمون مهما كان فهو في النهاية خليفة مسلم.

مسألة أخرىٰ يجب ذكرها هي أنّنا لا يجب ان نظن ان جميع الخلفاء الذيـن كانوا معارضين للأئمّةعليهم السلام أو قتلوهم، هم في رتبة واحدة. وعليه ففرق بين يزيد بن معاوية وبين المأمون بعد السماء عن الأرض فـالمأمون فـي طـبقة الخـلفاء والسلاطين من أفضلهم سواء من الناحية العلمية أم من النواحي الأخر كـحسن السياسة العدالة النسبية، الظلم النسبي، ومن جهة كونه حسن الإدارة وكونه مفيداً للناس. كان رجلاً ذا فكر واضح جداً. وهذا التمدن العظيم الذي نفتخر به اليوم قد تحقق على يد هارون و المأمون أي كان لهما سعة نظر و وضوح فكر مميز حيث قاما بأعمال كثيرة هي اليوم مفخر العالم الإسلامي لكن مسألة «الملك عقيم» وان المأمون لأجل الملك والسلطة قام ضد معتقده وسّمم الإمامعليه السلام هي أمر و بـاقي الأمور أمر آخر.

---

١ ـ ذكرنا ان هذه الأمور ليس أي منها قطعي بل من الشبهات التاريخية إلّا ان بعض الروايات تحكي الأمر كما ذكرنا.

وعلى كل حال لو كانت الفكرة واقعاً من ابتكار الفضل إبن سهل والفضل على ما تفيده القرائن (كان سيء النية فمن الطبيعي في هذه الحال ان يقف الإمام عليه السلام إلى جانب المأمون) و الروايات تؤيد هذا المعنى من أن الإمام الرضا عليه السلام كان ينفر من الفضل أكثر من نفوره من المأمون وأحياناً كان يقف الإمام عليه السلام إلى جانب المأمون أذا وقع خلاف بين الفضل و المأمون. قد جاء في رواياتنا أن الفضل بن سهل مع هاشم بن إبراهيم قد جاءا إلى الإمام عليه السلام وقالا له: الخلافة حقكم وهؤلاء غاصبون فوافقوا ونحن نقتل المأمون ثم تصبح الخليفة الرسمي إلّا ان الإمام عليه السلام طردهما شر طرده ولما فهما فداحة الخطأ الذي ارتكباه ذهبا فوراً إلى المأمون قائلين له: كنا عند علي بن موسى فأردنا اختباره وعرضنا عليه الأمر الفلاني لنرى ان كان حسن النية تجاهك فرأينا منه ذلك، إذ قلنا له: هيّا نتعاون معاً لقتل المأمون فطردنا، ثم ان الإمام عليه السلام طرح القضية مع المأمون في أحد اللقاءات ـ والمأمون كان على علم بالقضيّة ـ فقال له: قد جاءا و كانا جديين وهما يكذبان عليك، ثم قال له: احذر منهما. فبناء على هذه الروايات فإن علي بن موسى عليه السلام يرى خطر الفضل)[1] فالإمام عليه السلام كان يرى ان هذه الولاية التي هي من تدبير هذا الرجل أمراً خطيراً جداً وكان يعتقد عليه السلام ان هناك نية مبيّتة في المسألة، قد أرادوا جعله عليه السلام وسيلة لإعادة إيران إلى المجوسية.إذن نحن نتحدث بناء على فرض.

وإذا كان من ابتكار الفضل و كان واقعاً شيعياً (على ما يذهب إليه بعض

---

١ ـ فسواء أكان بنفسه دخل في الإسلام جديداً أم كان أبوه مسلماً على يد البرمكيين فهو إسلام سياسي باعتبار أن وزير الخليفة لا يصح ان يكون رجلاً زرادشتياً.

المؤرخين الأوروبيين) لكان على الإمام‌عليه‌السلام ان يتعاون مع الفضل ضد المأمون. ولو كانت الروح الزرادشتية هي الباعثة له على ذلك فإن موقف الإمام‌عليه‌السلام سيكون على العكس أي كان من اللازم التعاون مع المأمون لاسقاط هذه المؤامرة ورواياتنا تؤيد الرأي الثاني، أي ان العلاقة بين الإمام‌عليه‌السلام والفضل لم تكن على ما يرام حتى ولو لم تكن ولاية العهد فكرة الفضل وكان‌عليه‌السلام يحذر المأمون من خطر الفضل. وهذا بحسب رواياتنا مسلم به.

الفرضية الأخرى هي ان ولاية العهد لم تكن فكرة الفضل بل كانت فكرة المأمون. فإذا كان كذلك فلماذا أقدم على ذلك المأمون؟ وهل كان حسن النية؟ وان كانت نيته سليمة فهل بقي عليها حتى النهاية أم عدل عنها؟ والقول بأنّه كان حسن النية حتى النهاية يصعب جداً القبول به ولم يكن الأمر كذلك أبداً بل أقصى ما يمكن قوله انه في بداية المسألة كان سليم النية إلّا انه تراجع عنها أخيراً. وقد ذكرنا ان الشيخ الصدوق ومعه الشيخ المفيد ظاهراً يعتقدان بذلك. فيرى الشيخ الصدوق فيكتاب عيون أخبار الرضا‌عليه‌السلام ان المأمون كان في البداية سليم النية وانه واقعاً قد نذر وهو في ذلك البلاء الشديد الذي أبتلي به مع أخيه الأمين انه ان نصره الله على أخيه ان يعيد الخلافة إلى أهلها و أن الإمام‌عليه‌السلام انما امتنع عن قبول ولاية العهد من جهة انه يعلم ان المأمون كان متأثراً بعواطف آنية وسيندم على ذلك ويتراجع، طبعاً اكثر العلماء لايوافقون رأي الشيخ الصدوق ويعتقدون انه من أول الأمر لم يكن المأمون حسن النية بل كانت هناك خدعة سياسية، فما هي تلك الخدعة؟ هل كان يريد اسقاط النهضات العلوية بهذه الوسيلة؟ هل كان يريد الإساءة لسمعة الإمام‌عليه‌السلام بهذه الطريقة؟ لانهم لما كانوا منعزلين برزوا كمعارضة

فأراد المأمون ادخال الإمام عليه السلام في النظام فيصبح غير مرضي عنه لدى الناس كما هي الحال في أغلب السياسات أذ يقومون بذلك كي يفشلون عمله من جهة أخرى حتى يبتعد عنه الناس الذين كانوا يطمعون به. وهذا المعنى موجود في رواياتنا من ان الإمام عليه السلام قال للمأمون مرة: أنا أعلم انك تريد بهذه الوسيلة ان تفسد الأمر عليّ فيغضب المأمون وينزعج قائلاً ما هذا الكلام الذي تقوله ولماذا تتهمني بذلك.

تحليل الفرضيات:

و إذا تأملنا في هذه الفرضيات نجد:

ان على الإمام عليه السلام التعاون الشديد. وهو فرض كون الفكرة فكرة الفضل بن سهل مع فرض كونه شيعياً. و بناء على هذا الإفتراض لا محذور في قبول الإمام الرضا عليه السلام لولاية العهد. ولو كان هناك ايراد فهو من جهة ان لِمَ لم يقبل عليه السلام بها بشكل جدّي. إلّا أننا من هنا ندرك ان الفرض غير صحيح، إذ نقول و بنظرةٍ موضوعية ـ وليس بنظرة شيعية ـ إن الإمام الرضا عليه السلام اما ان يكون رجل دين أو رجل دنيا. فإن كان رجل دين فكان اللازم ـ وهو يرى الفرصة سانحة (لإنتقال الخلافة من بني العباس إلى آل علي عليه السلام) ـ أن يتعاون مع الفضل. وان كان رجل دنياً فالتعاون لازم ايضاً. فعندما لا يتعاون الإمام عليه السلام مع الفضل بل يطرده. فهذا يدل على ان ذلك الفرض خاطىء.

اما إذا افترض ان ولاية العهد فكرة ذي الرياستين بهدف الإنقلاب على الإسلام فإن عمل الإمام الرضا عليه السلام صحيح تماماً. أي ان الإمام عليه السلام يكون حينئذ بين شرَّين ويختار أقلها وهو التعاون مع المأمون و يقتصر من الأقل شراً على

أقل قدر ممكن منه.

ويقوى الاشكال عندما نقول ان الفكرة فكرة المأمون فهنا قد يقول البعض ان على الإمام عليه السلام عندما دعاه المأمون للتعاون مع ما عنده من نية سيئة ان يقاومه وإن هدَّد بالقتل لكان عليه ان لا يبالي بذلك. فعلى الإمام عليه السلام المقاومة والرضا بالقتل من أول الأمر و يستعد لذلك وان لا يقبل بولاية العهد هذه الظاهرية الفخرية بأي وجه من الوجوه. هنا يجب القضاء هل كان يجب على الإمام الرفض أم كان اللازم القبول؟.

ومن وجهة نظر شرعية: الإقدام على قتل النفس أي على عمل يؤدي إلى قتل النفس قديكون جائزاً لكن ضمن ظروف بحيث يكون أثر القتل أهم من أثر البقاء حياً. أي حيث يدور الأمر بين أن يقتل الإنسان و بين ان يتحمل المفسدة العظمىٰ الفلانية كما في قضية الإمام الحسين عليه السلام، فقد طُلب من الإمام الحسين عليه السلام البيعة ليزيد حيث كانت لأول مرة تتحقق ولاية العهد عملياً من قبل معاويه. الإمام الحسين عليه السلام رجّح القتل على البيعة اضافة إلى ان ظروف الأمام الحسين عليه السلام كانت بحيث يحتاج العالم الإسلامي فيها إلى يقظة و إلى اعلان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان الثمن هو دمه. وقام عليه السلام بذلك وترتبت نتائجه. ولكن هل كانت ظروف الإمام الرضا عليه السلام بهذا النحو؟ أي ان الإمام الرضا عليه السلام كان واقعاً على مفترق طريقين بحيث يجوز ان يقدم نفسه للقتل؟ أحياناً يصل المرء إلى أن يُقتل من دون اختيار مثل قضية السم التي هي أمر قطعي من وجهة نظر روايات الشيعة. لكنها من جهة تاريخية ليست قطعية. و كثير من المؤرخين ـ حتى أن بعض مؤرخي الشيعة

كالمسعودي مثلاً[١] ـ يعتقدون ان الإمام عليه السلام قد وافاه أجله الطبيعي ولم يقتل. لكن بناء على الرأى المعروف عند الشيعة من أن الإمام عليه السلام قتله المأمون بالسم نقول ان الإنسان عندما يصير في ظرف يتخير فيه بين أمرين عليه ان يختار أحدهما اما القتل أو العمل الفلاني فإنه لايصحح القول أنه أخيراً سيموت فليختر القتل لانني إذا كنت أعلم انني عند الغروب سأموت والآن أنا مخير بين القتل أو العمل الفلاني أفيصح لي ان أقول حيث انني سأموت عند الغروب فلا قيمة لما تبقى من ساعات. كلا بل عليَّ ان أقوم بحساباتي وهل ذلك العمل يستحق ان أموت لأجله؟ والإمام الرضا عليه السلام كان مخيراً بين أمرين اما القبول بولاية العهد ـ التي أسمّيها «بولاية العهد[٢] الشكلية» والتي هي من مسلمات التاريخ ـ واما ان يقتل وبالتالي يكون مداناً في التاريخ فيما بعد، وفي نظري ان من البديهي اختيار الأول، ولم لا يختاره؟ فان مجرد التعاون مع شخص مثل المأمون ليس ذنباً كما نعلم، بل المهم هو نوع التعاون.

التعاون مع الخلفاء في نظر الأئمة الأطهار عليهم السلام

نعلم انه في زمان الخلفاء العباسيين مع ما عليه أئمتنا عليهم السلام من مخالفة للخلفاء [ومع منعهم لبعض الأفراد من التعاون معهم، كانوا في بعض الموارد الخاصة يجوزون التعاون مع النظام تحقيقاً لبعض الأهداف الإسلامية بل ويشجعون على

---

١ ـ يعتبر المسعودي في نظر كثير من العلماء من المؤرخين الشيعه.

٢ ـ التعبير بالفارسية «ولايتعهد نچسب» اي ولاية العهد غيرالملتصقة. أي التي لم تلزم الإمام عليه السلام بأي شيء.

ذلك]. وصفوان الجمال ـ وهو من شيعة موسى بن جعفر عليه السلام ـ يؤجر جماله لهارون لسفر الحج ثمّ يأتي لزيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيقول له عليه السلام كل شيء فيك حسنٌ إلا شيئاً واحداً. يقول وما هو؟ قال: لماذا آجرت جمالك لهارون؟ قال: لم أفعل سوءاً فقد كان ذلك لأجل سفر الحج فلم أرفي ذلك سوءاً قال عليه السلام (يجب ان لا تفعل ذلك) وان كان لسفر الحج ثم قال: ألم يبق من الاجرة شيء تأخذه فيما بعد؟ قال: نعم قال: فلو قيل لك ان هارون يموت الآن فهل تكون راضياً أم لا؟قلبك يتمنى أن يؤدى ما عليه ثم يموت. فأنت راض ببقائه حياً بهذاالمقدار؟ قال: نعم. قال: الرضى ببقاء الظالم ولو بهذا المقدار ذنب. كان صفوان من الشيعة الخلّص إلاّ انه ذو سوابق كثيرة مع هارون فذهب فوراً وباع كل ما عنده من وسائل (كانت عنده وسائل حمل ونقل) وصل الخبر إلى هارون انّ صفوان قد باع ـ فجأة ـ كل ما عنده من جمال ووسائل للحمل والنقل، فأحضره هارون يسأله عن السبب، قال: قد عجزت ولم أعد أحسن إدارة شؤون عيالي فرأيت ان أنصرف كليّة عن هذا العمل، فقال له هارون: أصدقني القول، قال الأمر كما ذكرت، كان هارون ذكياً فقال له: أتريد ان أقول لك أنا سبب عملك هذا؟ فإنني أعتقد أنك بعد أن اتفقت معي أشار عليك موسى بن جعفر عليه السلام بذلك. فقال: لا هذا الكلام غير صحيح فقال: لا تنكر فانكارك بدون فائده. فلولا مالك من سوابق معي خلال هذه السنين لأمرت بأن تضرب عنقك هنا.

الأئمة عليهم السلام مع انهم نهوا إلى هذا الحد عن التعامل مع الخلفاء ويرونه ممنوعاًلكن في عين الحال لو كان تعاون شخص في مصلحة المجتمع الإسلامي، حيث يخفف من المظالم والشرور، أي يكون مؤثراً في تحقيق الهدف ـ وليس

ذلك العمل الذي هو تأييد وتعاون فقط ـ فهذا التعاون يكون جائزاً، أحياناً يذهب شخص ويحتّل موقعاً في الجهازالظالم حتى يحسن الإستفادة من ذلك الموقع. وهذا بالضبط ما يجاز في فقهنا، تجيزه سيرة أئمتنا، والقرآن يجوزه أيضاً.

استدلال الإمام الرضا عليه السلام:

اعترض البعض على الإمام الرضا عليه السلام قائلين: يكفي ان إسمك قد ذكر معهم حتى تصبح جزءاً منهم؟ فقال: الأنبياء أفضل أم أوصياء الأنبياء؟ قالوا: الأنبياء. قال: السلطان المشرك. اسوأ أم السلطان المسلم الفاسق؟ قالوا: السلطان المشرك. قال: أيهما أشد الذي يتعاون طالباً لذلك أم الذي يفرض عليه ذلك؟ قالوا: الذي يطلبه. فقال عليه السلام: كان يوسف الصديق نبياً وعزيز مصر كان كافراً مشركاً و يوسف طلب بنفسه: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[1] فقط أراد ان يأخذ موقعاً بحيث يحسن الإستفادة من ذلك الموقع، اضافة إلى ان عزيز مصر كان كافراً والمأمون مسلم فاسق، يوسف نبي وأنا وصي نبي، هو طلب ذلك وأنا أجبرت على ذلك.

موسى بن جعفر عليه السلام الذي منع صفوان الجمال بشدة حيث كان عمله ليس فيه إلّا النفع لهم، نجد ان علي بن يقطين الذي كان في السر على علاقة مع الإمام عليه السلام وكان شيعياً يكتم تشيعه، كان يلقى من الإمام عليه السلام تشجيعاً على ضرورة بقائه في ذلك النظام لكن مع التكتم و ان لا يفهم أحد انه شيعي. «توضأ بوضوئهم، صلَّ بصلاتهم،

---

١ ـ سورة يوسف الآية رقم ٥٥.

اكتم تشيعك أشد مراتب الكتمان وابق في ذلك الجهاز وافعل ما تستطيعه».

هذا هو الشيء الذي يجيزه كل منطق. فكل شخص صاحب طريقة يجير لاتباعه ان يدخلوا في جهاز العدو بشرط حفظ مسلكهم و هدفهم والعمل لأجل الطريقة لا لأجل الطرف الآخر أي يجعلون من ذلك النظام وسيلة لتحقيق أهدافهم لا ان يستخدمهم ذلك الجهاز لتحقيق هدفه، وفرق بين الأمرين بين ان يكون المرء جزء النظام ويستخدم طاقة النظام لمصالح و منافع أهدافه و أفكاره وفي رأيي لو قال قائل هذا المقدار أيضاً ممنوع، فهذا تعصب وجمود بلا مبرر.

كلّ الأئمة عليهم السلام كانوا كذلك فمن جهة ينهون بشدة عن التعاون مع جهاز خلفاء بني امية و بني العباس ولو قال قائل: لو لم نقم نحن بهذا العمل لقام به غيرنا، لم يكن يقبل منه هذا العذر و بقوا على منعهم، إذ عندما لا يقوم أي فرد بالعمل فان هؤلاء سيشلون، ومن جهة أخرى الافراد الذين كان يمكنهم وهم في جهاز خلافة بنيأمية أو بني أمية أو بني العباس، ان يستخدموا ذلك الجهاز من أجل أهدافهم، كانوا يلقون تشجيعاً وأي تشجيع! مثل «على بن يقطين» المذكور أو «إسماعيل بن بزيع» وعندنا روايات مدهشة فيالمدح والثناء على أمثال هؤلاء، مثل ان هؤلاء من أولياء الله الأول. وقد ذكر تلك الروايات الشيخ الأنصاري في مسألة ولاية الجائر.

ولاية الجائر:

في الفقه مسألة بعنوان (ولاية الجائر) أي قبول الولاية من جهة الظالم، وقبول الولاية من الظالم في حد ذاته محرم لكن ذكر الفقهاء ان هذا الذي في حد ذاته

محرم يصير في بعض الحالات مستحباً وواجباً في حالات أخرى و ذكروا انه إذا توقف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ـ و معنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر في الواقع الخدمة ـ على قبول الولاية من الظالم فإن قبولها واجب، والمنطق يقبل هذا أيضاً. لأنّك إذا قبلت فإنه يمكنك العمل لأجل هدفك وأن تفيد، تقوّي من طاقتك و تضعف طاقة عدوك، ولا أعتقد ان ذوي المسالك الأخرى مثل الماديين والاشتراكيين يرفضون قبول مثل هذه الولاية من أعدائهم بل يقولون: اقبل لكن قم بعملك.

ونحن نرى انه خلال المدة التي قبل فيها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد لم تكن هناك منفعة لهم بل كانت في نفع الإمام عليه السلام فالأتباع صاروا أكثر تشخصاً اضافة إلى ان الإمام عليه السلام في موقع ولاية العهد قد أبرز شخصيته العلمية بنحو غير مباشر بحيث لم تكن لتظهر في أية فرصة آخرى. ولم تظهر الشخصية العلمية لدى الأئمة عليهم السلام إلّا شخصيّة الإمام الرضا عليه السلام و اميرالمؤمنين عليه السلام ـ والإمام الصادق عليه السلام أيضاً ـ فأمير المؤمنين عليه السلام وخلال أربع سنوات الخلافة ظهرت له تلك الخطب والاحتجاجات التي وصلتنا، والإمام الصادق عليه السلام قد شكل حوزة دراسية من أربعة آلاف شخص خلال أيام ولاية العهد الأربعة، وحب المأمون للعلم و تلك الجلسات العجيبة التي شكلها المأمون من الماديين والمسيحيين واليهود والمجوس والصابئين والبوذيين ومن علماء جميع المذاهب وكان يحضر الإمام رضا عليه السلام ليتحدث معهم، في الواقع الإمام الرضا عليه السلام في هذه المجالس ـ التي ذكرت في كتب الإحتجاجات ـ قد أبرز شخصيته العلمية و قد خدم الإسلام، و في الواقع قد استفاد من موقع و لاية العهد استفادة غير مباشرة، فهو مع رفضه لتلك الأعمال استفاد هذه الإستفادة.

سؤال و جواب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سؤال: عندما عين معاوية ابنه يزيد لولاية العهد اعترض عليه الجميع، لا على أساس انه شخص فاسد بل كانوا مخالفين من الأساس لفكرة ولاية العهد. فكيف لم يلق المأمون مثل هذا الإعتراض ؟

الجواب: أولاً: هذه المخالفة التي تذكر لم تكن مخالفة بتلك الشدة، أي لم يكن الآخرون ملتفتين إلى أخطار هذا الأمر وانما التفت إليها عدد قليل و قد كانت بدعة تطرح لأول مرة في المجتمع الإسلامي وردة فعل الإمام الحسين عليه السلام هي التي شخصت عدم اعتبار و بدعة و حرمة ذلك العمل، لكن في الأزمنة اللاحقة فقد هذا العمل صبغته الدينية و أخذ طابع ولايات العهد في عصور ما قبل الأسلام التي كانت ترتكز على الاكراه فلم يكن لها أي طابع أسلامي، وأحدى علل رفض الإمام الرضا عليه السلام لقبول ولاية العهد هي هذه ـ و نجد في كلماته عليه السلام ذلك ـ أنّه في الأصل عنوان (ولاية العهد) خطأ لان معنى (ولاية العهد) ان هذا حقي و أنا اختار زيداً خلفاً لي، و ذلك الكلام الذي صدر من الإمام عليه السلام الذي يقول له فيه: هذا حقك أم غيرك؛ فإن كان حق الغير فلا يحق لك الاعطاء، فهو كلام يشمل ولاية العهد أيضاً.

سؤال: كان هناك افتراض ان الفضل بن سهل لو كان شيعياً واقعياً لكانت المصلحة تقتضي أن يتعاون الإمام عليه السلام في مسألة ولاية العهد مع الفضل حتى

يتسنى قلع المأمون من الخلافة فيما بعد، لكن هنا يرد اشكال و هو ان اللازم حينئذٍ على الإمام أن يصوِّب أعمال المأمون مدة من الزمن و الحال انه مع الالتفات إلى سيرة الإمام علي عليه السلام لا يجوز بأي شكل من الأشكال تأكيد عمل الظالم.

الجواب: في رأيي هذا الاشكال لا يرد، قلتم انه لو فرض كون الفضل ابن سهل شيعياً لكان اللازم ان يوافق الإمام عليه السلام مدة من الزمان على اعمال المأمون و هذا غير جائز، كما ان الإمام امير المؤمنين عليه السلام لم يثبت ولاية معاوية، لكن فرق كبير بين وضع الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون و بين وضع امير المؤمنين عليه السلام مع معاوية، إذا ان امضاء الإمام علي عليه السلام كان هو بأن يبقي معاوية على أساس انه نائب و شخص منصّب من قبل الإمام عليه السلام و يقوم بالأعمال بهذا العنوان فيعمل بعنوان النيابة عن علي بن ابي طالب عليه السلام، أما الإمام الرضا عليه السلام فكانت القضية هي أن لايكون للإمام عليه السلام دخالة بعمل المأمون مدة من الزمن أي لاتوجد اية عقبة في طريق المأمون و بشكل عام من جهة منطقية ومن جهة شرعية، فرق بين ان يكون لنا تأثير في ايجاد مفسدة ـ حيث لنا وظيفة حينئذ ـ و بين أن تكون هناك مفسدة موجودة نريد إزالتها ـ وهنا لنا وظيفة اخرى ـ اذكر مثلاً: تارة اريد أن اوجه الماء إلى حائط الدار كي يفسد وهنا انا ضامن لساحة داركم من جهة أنني الموجب لخرابه. و تارة اخرى كنت ماراً أمام الزقاق فرأيت الماء يسيل والماء يصل إلى اسفل الحائط فهنا وظيفتي الاخلاقية ان أُقفل حنفية الماء و أخدمكم فإن لم افعل فسيلحق بكم ضرر، هنا لا يجب علي ذلك، اقول هذا لأبين الفرق الواسع بين العمل الذي يريد ان يقوم به فرد أو مأمور الفرد وبين العمل الذي يقوم به شخص و يريد شخص آخر إبطاله، و معاوية كان بعد علي، أي أن تثبيت معاوية معناه أن علياً عليه السلام

قد رضي معاوية يداً له، اما تثبيت (المأمون بواسطة) الإمام الرضا عليه السلام (على حد قولكم) معناه ان يسكت الإمام عليه السلام مدة عن اعمال المأمون، وهاتان وظيفتان، فهناك علي عليه السلام هو صاحب السلطة العليا و هنا القضية معكوسة والمأمون له الصدارة فأن يتعاون الإمام عليه السلام مع الفضل بن سهل أو على حد تعبيركم أن يثبت المأمون فهذا يعني السكوت عن المأمون مدة والسكوت مدة لأجل مصلحة أهم وانتظار فرصة افضل لا مانع منه، إضافة إلى أن قضية معاوية لم تكن مجرد ان يرضى الإمام عليه السلام أن يكون معاوية ولياً يوماً (طبعاً هذا بحد نفسه مسألة، فعلي عليه السلام قال: لا ارضى ان يتولى الظالم ولو ليوم واحد) بل كان هناك امر آخر بعكس قضيتنا و هي أن الإمام عليه السلام لو احتفظ بمعاوية فإنه سيقوى يوماً بعد يوم ولن يتراجع عن أهدافه أما هنا فالفرض هو الصبر حتى يضعف المأمون يوماً بعد يوم و هم يزدادون قوة إذن لا يصح القياس بين الأمرين.

سؤال: سؤالي مرتبط بمسمومية الإمام الرضا عليه السلام. فقد ذكرتم ضمن إيضاحاتكم أنه من غير المعلوم أن الإمام الرضا عليه السلام قد سمّ، لكن الواقع أن المأمون قد اضطر إلى وضع السمّ للإمام الرضا عليه السلام لأنه يوماً بعد يوم كان يتضح اكثر ثبوت حق الخلافة للإمام الرضا عليه السلام. و يذكرون لذلك دليلاً يرجع إلى عمر الإمام عليه السلام حيث أن عمره عليه السلام كان ٥٢ سنة عندما توفي و بعيد كل البعد ان يموت إمام في هذا السن مع رعايته لكل الجهات الصحية وليس مثلنا عنده افراط و تفريط. كما أن الحديث المعروف «ما منّا إلا مقتول أو مسموم» يدل على ذلك. وبناء عليه فالأمر مسلم به من جهة التاريخ الشيعي و إذا اشتبه صاحب «مروج الذهب» (المسعودي) فهذا لا يصير دليلاً للقول بأن الإمام الرضا عليه السلام لم يسمّم بل ان اكثر

مؤرخي الشيعة على أن الإمام الرضا عليه السلام قد سمّم قطعاً.

الجواب: انا لم اقل انهم لم يسمموا الإمام الرضا عليه السلام، بل اني موافق ولجملة من القرائن على رأيكم فالقرائن تفيد أن الإمام عليه السلام قد سمّم واحدى العلل الاساسية قيام بني العباس في بغداد فالمأمون وضع السمّ للإمام الرضا عليه السلام عندما توجه إلى بغداد و قد كانت تصله التقارير بشكل مستمر عن الأوضاع في بغداد. فأخبر أن بغداد قد انتفضت فرأى نفسه غير قادر على عزل الإمام عليه السلام ولو اراد الذهاب بهذه الحال لكان الأمر معقداً جداً فحتىّ يفسح لنفسه المجال بالذهاب إلى بغداد ويقول لبني العباس ان الأمر قد انتهى وضع السم للإمام عليه السلام . فتلك العلة الأساسية التي يذكرونها هي مقبولة والتاريخ يؤيدها، اي أن المأمون رأى ان ذهابه الى بغداد ليس ممكناً كما ان الابقاء على ولاية العهد لم يعد عملياً (مع ان المأمون كان أصغر إذ كان عمره في حدود الـ ٢٨ سنة و عمر الإمام عليه السلام ٥٥ سنة كما أن الإمام كان قد ذكر له في ابتداء الأمر: (انني أموت قبلك) فإذا اراد الذهاب الى بغداد وهو على هذا الحال لكان تسليم بغداد له محالاً وستقع معركة قاسية فرأى أن الوضع شديد الخطورة،لهذا صمم على أن يتخلص من الفضل والإمام الرضا عليه السلام معاً.

ففضى على الفضل و هو في حمام «سرخس» طبعاً القدر المعلوم ان الفضل ذهب إلى الحمام فدخل عليه جماعة شاهرين سيوفهم فقطّعوه ارباً ارباً ثم قالوا «ان الذي قتله مجموعة حاقدة عليه» (وقد صادف ان احد ابناء اخواله كان مع القتلة) لكن الظاهر ان ذلك فعل المأمون، إذ رأى أن قدرته في ازدياد وصار موجباً للانزعاج فقضى عليه ثم انتقل من سرخس إلى طوس وكانت التقارير تصل باستمرار عن بغداد فرأى انه لا يمكنه دخول بغداد مع الإمام الرضا عليه السلام ولي

العهد العلوي لهذا قتله هناك.

نحن تارة نتكلم على اساس ما هو مؤكد لدينا فمن جهة روايات الشيعة لاشك ان المأمون (قد سمّم الإمام الرضا عليه السلام) لكن بعض المورّخين لا يوافقون على ذلك مثلاً المورخ الأوروبي لا يقبل بذلك فهو يقرأ في المراجع التاريخية فيقول: التاريخ يقول: مثل اغلب مؤرخى اهل السنة الذين نقلوا (هذه القضية) ذكروا أن الإمام عليه السلام مرض في طوس و توفي و قيل انه مات مسموماً. لهذا اردت ان اذكر كلام الذين لايقولون بمقالة الشيعة وإلا فإن كل القرائن تؤكد أن الإمام مات مسموماً.



الفصل السابع

كلمة حول:
الإمام الحسن العسكري عليه السلام

هذه ليلة ولادة الإمام العسكري عليه السلام، ليلة عيد، ليلة الإمام الحادي عشر، ليلة يجب على الجميع فيها تقديم التهنئة لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه. طبعاً يجب أن نبرز المحبة ايضاً.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام المقدس، من الأئمة الذين (تعرضوا لضغط شديد) و كلما اقترب عصر الأئمة (من عصر إمام العصر عليه السلام) كانت الأمور تزداد صعوبة عليهم عليهم السلام.

كان في سامراء التي كانت عاصمة الخلافة في ذلك الوقت. وقد انتقلت العاصمة من بغداد إلى سامراء في ايام المعتصم الذي بقي مدة في بغداد ثم عدل عنها وعلة ذلك أن جيش المعتصم كان يظلم الناس والناس تشكو منه ولم يكن يستمع المعتصم لشكواها في بادي الأمر و في النهاية أرضاهم فحتى يبعد جيشه عن الناس نقل مركز الخلافة الى سامراء.

اجبر كل من الإمام الهادي و الإمام العسكري عليه السلام على العيش في سامراء في

محلة تعرف باسم «العسكر» أو «العسكري»أي حيث يتواجد العسكر و في الواقع كانت معسكراً و قد اختير لهما عليهما السلام بيتاً يعيشان فيه في المعسكر و تحت المراقبة.

توفي الإمام العسكري عليه السلام و هو في سن ثماني وعشرين سنة (ووالده العظيم توفي بعمر اثنتين وأربعين سنة) و مدة أمامته كانت ست سنوات فقط و بنص التواريخ فقد قضى هذه السنين الستة إما في السجن و إما ممنوع عليه لقاء أحد، إذا لم يكن في السجن فلم يكن حراً في حياته ولو كان هناك احياناً ذهاب واياب او احياناً إذا طلبوا الإمام عليه السلام فإن ذلك يتم تحت المراقبة، كان الوضع عجيباً، تعلمون أن كل إمام من الأئمة عليهم السلام له صفة اكثر ظهوراً، و قد وصف الخواجه نصير في فصوله الستة كل إمام بوصفه الذي هو اكثر ظهوراً فيه، و قد تميز الإمام العسكري عليه السلام بجلالته وهيبته و حسن طلعته أي أن الجلال و الهيبة و العظمة كانت ظاهرة على محياه بحيث يقع تحت تأثيرها كل من يلتقي الإمام عليه السلام قبل أن يتكلم معه أو يعرف شيئاً عن علمه، و عندما يتحدث و يشرع في الحديث فهو كالبحر الزخار والحالة حينئذ واضحة، و في كثير من الحكايات والروايات ترى هذه المسئلة جليّة فحتى اعداءه الذين كانوا يتشددون في المراقبة و احياناً كانوا يأخذونه الى السجن عندما كانوا يقابلونه وجهاً لوجه كانوا يرون وضعاً عجيباً لم يكن يمكنهم إلا أن يخضعوا له، وفي هذا المجال ينقل المحدث القمي في كتاب (الأنوار البهية) عن احمد بن عبيدالله بن خاقان ابن وزير المعتمد على الله عن أبيه قصة و هو نفسه كان حاضراً فيها و هي قصة عجيبة تماماً ولامجال في هذه العاجلة لذكرها.

العلة الأساسية لجعل الإمام تحت المراقبة الشديدة أنه شاع أن مهدي هذه

الأمة من صلب هذا الموجود المقدس. فنفس العمل الذي قام به فرعون مع بني اسرائيل عندما سمع بانه سيولد في بني اسرائيل صبي يكون زوال ملك فرعون والفراعنة على يده، فقتل جميع اولاد بني اسرائيل وابقى على البنات و كان يأمر النساء بالتفتيش عن الحوامل، كل حامل تخضع للمراقبة، قام به جهاز الخلافة مع الإمام العسكري عليه السلام و ما احسن قول مولوي:

هجمت نحو حصن الغيب　　كي تسدّ الدرب عن رجال الغيب[1]

اولم يفكر هذاالأحمق انه إذا كان الإمر صحيحاً فهل يمكنه أن يقف في وجه الأرادة الإلهية؟ وفي كل مرة يرسل فرقة للتفتيش في بيت الإمام عليه السلام و بالخصوص عندما توفي الإمام عليه السلام إذ كان يصلهم احياناً خبر ولادة المهدي عليه السلام، و قد سمعتم بقصة ولادته عليه السلام فقد اخفى الله تعالى ولادة هذا الموجود المقدس ولم يلتفت احد ادنى التفات حين الولادة، كان عمر المهدي عليه السلام ست سنين عندما توفي والده وحين كان طفلاً، و كان خواص الشيعة الذين يأتون من كل مكان اليه يرونه، إلّا أن عامة الناس لم تكن تعرف إلا أن هذا خبراً انتشر اخيراً من انه قد ولد للحسن بن علي العسكرى عليه السلام مولودٌ و قد أخفوه فكانوا يرسلون إلى بيته الرجال لعلهم يعثرون على المولود ليقتلوه، لكن افيمكن للعبد أن يمنع ما يريد الله حدوثه؟ أي عندما يكون القضاء الإلهي محتوماً في مورد فلا يمكن للبشر أن يفعلوا شيئاً إزاءه، و قد احاط الجنود بالبيت عندما توفي الإمام عليه السلام ـ و بعد وفاته ـ و فتشوا البيت

---

١ ـ بالفارسية:

حمله بردى سوى دربندان غيب　　تا ببندى راه بر مردان غيب

تفتيشاً كاملاً و قد ارسلوا امرأة جاسوسة حتى تراقب كل النساء إماءً و غير إماء وترى إن كان فيهن حامل.

أم العسكري عليه السلام اسمها (حديث) عرفت باسم الجدَّة لأنها كانت جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه. و هناك نسوة في التاريخ باعتبار انهن اشتهرن بأحفادهن يعرفن باسم الجدة، منهنّ جدَّة الشاه عباس ولدينا في اصفهان مدرستان باسم الجدّة. فالمرأة التي تشتهر بحفيدها تعرف قهراً باسم الجدة.

فهذه المرأة العظيمة عرفت باسم الجدة، إلا أن شهرتها ليست من مجرد كونها جدة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بل كانت ذات مقام، ذات عظمة، ذات جلالة كانت شخصيتها بحيث ذكروا ـ و ذكر ذلك المرحوم المحدث القمي رضوان الله عليه في (الأنوار البهية) ـ إنها كانت مفزع الشيعة، ملجأهم، وكان عمرها في ذلك الوقت ـ إذا لاحظنا أن عمر الإمام العسكري عليه السلام عندما توفي ٢٨ سنة و إذا لاحظنا عمر الإمام الهادي عليه السلام ـ بين الخمسين و الستين.

كانت في جلال و كمال بحيث أن أي مشكلة تعترض الشيعة كانت تعرض على هذه المرأة. يقول رجل ذهبت لزيارة عمة الإمام العسكري السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام فتحدثت معها في العقائد والاعتقادات و مسألة الإمامة و غيرها ثم قالت الإمام فعلاً هو ابنه المخفي المستور. قلت: فإلى من نرجع في المشكلات و هو مستور قالت: يرجع إلى الجده قلت: عجباً مات مولانا ويوصي إلى امرأة؟ قالت قد قام العسكري بماقام به الإمام الحسين بن علي عليه السلام فقد كان الوصي الواقعي للإمام الحسين عليه السلام وفي الباطن علي بن الحسين لكنه اوصى في الظاهر إلى زينب عليها السلام فكذلك فعل الإمام الحسن بن علي العسكري. فوصّيه في الباطن

هذا الابن المخفي لكن في الظاهر، يمكن اعلان ذلك. فجعل الوصي الظاهري هذه المرأة ذات الجلال.

باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم يا الله

الهي: هب لنا معرفة عظمة الإسلام والقرآن، الهي عرفنا عظمة النـبي الأكـرم وعظمة أهل البيت الأطهار وانر قلوبنا بانوار محبتك و معرفتك وأنر قلوبنا بانوار محبة و معرفة النبي و آل النبي وارحم واغفر لامواتنا.



الفصل الثامن: القسم الأوّل

العدل الشامل

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، باريء الخلائق أجمعين، الصلاة والسلام على عبدالله ورسوله و حبيبه و صفيه و حافظ سره و مبلغ رسالاته سيدنا و نبينا و مولانا أبي القاسم محمد (صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[1].

انما بعث الأنبياء من قبل الله تعالى إلى البشر لأجل هدفين أساسيين:

أحدهما: تحقيق العلاقة الصحيحة بين العبد و خالقه، بين العبد والرب و بعبارة

---

١ ـ سورة النور الآية ٥٥.

أخرىٰ منع البشر عن عبادة غير الله ويتلخص ذلك في الكلمة الطيّبة (لا إلٰه إلاّ الله).

الهدف الثاني: الذي لأجله أرسل الله تعالى الأنبياء العظام، تحقيق الروابط الحسنة والسليمة بين البشر، بعضهم مع الآخر على أساس العدالة والصلح و الصفاء و التعاون والاحسان والمحبة و خدمة كل منهم للآخر.

و قد صرّح القرآن الكريم بهذين الهدفين للأنبياء كمال التصريح.

فبالنسبة إلى الهدف الأول قال عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله: ﴿يَـٰأَيُّـهَا النَّبِيُّ إِنَّـا أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾[1] ويقول عن الهدف الثاني: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[2]. فانظروا إلى صراحته في بيان ما اهتم به الأنبياء ـ بل ما أمر به الأنبياء و أرسلوا به ـ أي إقرار العدل بين البشر. فهو يقول في هذه الآية أرسلنا رسلنا بالدلائل و أنزلنا الكتاب و الدستور مع الميزان أي القوانين و التشريعات العادلة من أجل ماذا؟ ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ حتى يتعامل البشر بالعدالة وتقر العدالة بين أفراد البشر. و بناء على هذا فمسألة اقرار العدالة حتى بالمقياس البشري هدف أصلي و عام لكل الانبياء أي ان الذين أتوا لهم عمل، عندهم وظيفة و رسالة هي العدالة بنص القرآن المجيد.

أمر آخر يجب ذكره هنا و هو: هل ان مسألة العدالة والمراد بها العدل العام

---

١ ـ سورة الأحزاب الآيتان: ٤٥، ٤٦.

٢ ـ سورة الحديد الآية ٢٥.

الشامل ـ لا العدل النسبي والفردي و الشخصي ـ أي العدالة بمعنى ان يأتى يوم في هذه الدنيا لا أثر فيه لهذا الظلم والتفرقة والحروب والنفور والأحقاد وسفك الدماء والإستغلال و لوازم هذه الأمور من أكاذيب و نفاق و خدع و بالجملة ان لا يكون بين البشر أثر لهذه المفاسد، هل سيكون للناس مثل هذا اليوم؟

هل سيكون للبشر في مستقبلها مثل هذا العصر، مثل هذا القرن؟ أم لا وليس ذلك إلّا مجرد خيال و أمل لن يحدث في أي وقت من الأوقات، وهل يمكن لشخص ذي ذوق ديني مذهبي ـ طبعاً هذا المعنى يصدق في غير الشيعة ـ أن يقول: لست منكراً للعدالة الشاملة و لست من أنصار ان تبنى الدنيا على أساس الظلم إلاّ انني أعتقد ان هذه الدنيا دنيّه و حقيرة، مظلمة حالكة، بحيث لا مجال لان يكون في الدنيا عدل عام، عدالة واقعية و صلح و صفاء واقعيين و إنسانية واقعية ولن يأتي يوم يكون فيه الأفراد واقعاً يعيشون مع بعضهم البعض بإنسانية فالدنيا دارالظلم و الظلمات و كل الظلم سيعوّض عنه في الآخرة، العدالة محلها الآخرة؟

هذه الفكر موجودة عند غير المسلمين من الأديان الأخرى. و من المميزات المهمة للمعتقدات الإسلامية و بالأخص في نظرة الشيعة للإسلام ـ هي هذه: عدم التشاؤم فعصر الظلم و الجور، عصر الحرب والصراع، عصر الإختلاف، عصر الفساد الأخلاقي، عصر الظلمة والسواد عصر مؤقت و العاقبة نور وعدالة. ولو فرض وجود ذلك (الإرشاد) في الأديان الأخرى إلّا انه ليس بهذا الوضوح الذي نجده عند الشيعة قطعاً ولن تجده في أي مكان.

إذن هنا مطلب هو ان مستقبل البشرية في هذه الدنيا التي هي زينة و متاع سيشهد أفول الظلم و ظهور العدالة، ولو ان الإنسان يتأمل في الدرجة الأولى

بالقرآن الكريم سيرى ان القرآن يؤيد و يؤكد على ذلك المعنى و يرى فيه تفاؤلاً بمستقبل الدنيا. والآيات كثيرة في هذا المجال منها هذه الآية التي قرأتها في بداية حديثي:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾.

يعد أهل الإيمان والذين يعلمون الصالحات ان عاقبة الدنيا تحت يدهم والذي سيحكم في نهاية الأمر هذه الدنيا الدين لإلـهي و كـلمة (لاإلـهإلّاالله) و سيفنى الماديون و طلاب المادة و محبي النفس، عاقبة الدنيا أمن ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾ و آخر الدنيا توحيد بكل مراتبه.

و من هنا نستفيد من القرآن المجيد مطلبين:

أحدهما: ان الهدف الأساسي لبعثة الأنبياء أمـران: التـوحيد و اقـرار العـدالة والأول مرتبط بعلاقة الإنسان مع الله والثاني مرتبط بعلاقة النـاس بـعضهم مـع البعض الآخر.

الثاني: أن مسألة العدالة ليست مجرد أمل و خيال، بل هي أمر واقعي تتحرك الدنيا باتجاهه أي إنها سنّةإلٰهية والله قضى ان العدالة ستحكم في النهاية هذه الدنيا و سيحكم البشر على الدنيا قروناً و قروناً ـ ولا ندري مقدارهـا ولعـله مـلايين السنين ولعله مئات الملايين ـ لكن بشراً راشداً، بشراً إنسانياً واقعاً، لا يوجد فيهم أيٌ من هذه المظالم والكدورات.

بحثنا في هذه الأمر من ان العدل العام سيتحقق في الدنيا و بشكل خاص في

جهة من جهاته و هي: ان الإسلام عندما يدعي ان العدل الشامل سيتحقق فعلى أي أساس يستند في دعواه؟ و من هنا سنفصل في ثلاثة موضوعات:

أحدها: ان العدالة ما هي؟

ثانيها: هل في الخلقة والفطرة البشريتين ميل لوجود العدالة أم ان الفطرة البشرية خالية من هذا الميل من الأساس؟ ففي أي وقت تعطى العدالة للبشر وستعطى فهو اكراه و اجبار، و من المحال ان تلجأ البشرية إلى العدالة بميلها ورضاها؟.

ثالثها: هل ان العدالة أمر عملي أم لا؟ و ان كانت عملية فكيف تصير كذلك؟.

تعريف العدالة:

المسألة الأولى في ماهية العدالة: ولعلها غنية عن التوضيح إلى حد ما، فالناس يعرفون الظلم بنحوٍ أو بآخر فالعدالة هي ضد الظلم ضد التمييز بلا حق. و بعبارة أخرى ان أفراد البشر في هذه الدنيا بمقدار ما عندهم من إستعدادات و فعاليات وحسب فطرتهم يمتلكون جملة من الإستحقاقات، والعدالة عبارة عن اعطاء هذا الإستحقاق و هذا الحق الثابت لكل فرد بموجب خلقتة و بموجب عمله و قدرته. فهي في الجهة المقابلة للظلم الذي يعني عدم اعطاء ذي الحق حقه وسلبه منه، وفي الجهة المقابلة للتمييز الذي يحصل بين شخصين متكافئين إذ يُضيَّق على موهبة أحدهما دون الآخر.

و في نفس الوقت كان في القديم رجال بين البشر من فلاسفة اليونان القدامي حتىالعصور الاوروبية ينكرون وجود واقعي للعدالة و يقولون لا معنى للعدالة

أصلاً، والعدالة تساوي الإكراه، العدالة هي ذلك الشيء الذي يحكم بـه القـانون الموجود.

والقانون الموجود هو ذلك الفرض الذي فرض على البشر فالعدالة إذن تعينها القوة، ولا أريد التحدث عن هذا الأمر إذ هذا سيعطل عليّ بحوثي. ولكنه كلام غير صحيح فللعدالة واقعية، لان للحق واقعية فمن أين هذه الواقعية للحق؟ الحق يثبت بالخلقة ولأن الخلقة واقعية وكل موجود بفطرته له قابلية و استحقاق والإنسـان بقدرته و نشاطه يملك حقوقاً، والعدالة التي هي عبارة عن اعطاء كل ذي حـق حقه، يتحقق معناها. و تلك الكلمات كلمات خيالية.

هل ان طلب العدالة فطري؟

المسألة الثانية تحتاج إلى بحث أكثر نسبياً و هي: هل أن في فطرة البشر حب للعدالة أم لا؟ فالبشر يطلبون أشياء بحكم طبعهم و فطرتهم، أي لا دليـل (عـلى ارادة تلك الأمور) إلاّ البناء البدني والروحي، مثلاً أنتم تشتركون في هذه الجلسة المحترمة و تقرأون هذه الكتابات الجميلة و ترون هذه الـ(لاإله إلّاالله) في الوسط وفي جهة اليمين (محمد رسول‌الله) وترون في جهة اليسار (علي وليّ‌الله) وترون نجمة سوداء للدلالة على المعصومة الكبرى فاطمة الزهراء سلام‌الله عليها وترون أيضاً أسماء المعصومين الاثني عشر وترون الآيات القرآنية وكلها شعائر إسلامية ترون كلام النبي صلى الله عليه وآله وترون كلام أميرالمؤمنين عليه السلام وترون كلام الإمام الحسين عليه السلام وكل منها يقارنها شيء مخصوص، وترون الشكل الكاشي[1] الجـميل. وتـرون

---

١ ـ آجر ملون مطبوخ واللون قد يكون أزرقاً أو أخـضراً أو أبـيضاً كـما يـرى فـي المـقامات أحياناًوفي القبب أحياناً أخرى (المترجم)

الخط الجميل فتسرون بذلك و تستأنسون. لماذا؟ ومن الذي أجبركم على ان تكونوا مسرورين؟ لم يُجبر أحد. فلأنه جميل سررتم به ففي خلقة كل إنسان يوجد مثل هذه القوة بأن يحسَّ الجمال و هذا لا يحتاج إلى قانون يوضع أو يفرض بالقوة على الإنسان.

هذا في فطرة الإنسان، وأمثال هذه الأمور يقال لها أمور فطرية. حب العلم وأمور كثيرة أخرى هي فطرية. فهل ان الميل نحو العدالة أي الميل إلى العدالة وحب عدالة الآخرين ولو لم يحصِّل المرء أي منفعة، و بعبارة أخرى ميل إلى عدالة البشر و عدالة المجتمع بغض عن أي منفعة للإنسان في العدالة، هل هو من جملة ما يطلبه البشر و مقتضى الفطرة البشرية أم لا؟

رأي نيتشه وماكيافيلي:

تعتقد جماعة عدم وجود مثل هذه القوة أساساً في الفطرة البشرية وأكثر فلاسفة أوروبا يعتقدون بذلك و هؤلاء الفلاسفة قد أحرقت الدنيا أفكارهم في نهاية الأمر، يقولون إن العدالة اختراع الشعوب الفقيرة فعند ما يواجه هؤلاء الفقراء الضعاف، الأقوياء و حيث لا يملكون القوة لمواجهتهم اخترعوا كلمة العدالة واستحسنوا العدالة وألزموا الإنسان ان يكون عادلاً. هذه الكلمات جوفاء والدليل على ذلك أن هؤلاء المؤيدين للعدالة لو ملكوا القوة فإنها سيقومون بما قام به الأقوياء الذين سبقوهم، يقول الفيلسوف الالماني المعروف نيتشه: «كثيراً ما حدثت أمور أضحكتني، عندما كنت أرى الضعفاء يتحدثون عن العدالة و طلبها أتأمل فيهم فأرىٰ أن هؤلاء انما يتحدثون بالعدالة لانهم لا يملكون القبضة فأقول

له أيها المسكين لو كنت تملك القبضة لم تكن لتنطق بهذه الكلمات على الإطلاق».

و هؤلاء الذين لا يعتقدون ان العدالة إحدى الأمور الفطرية على فرقتين:

إحدهما: تقول العدالة لا ينبغي التوجه إليها والسعي نحوها حتى بعنوان إنها أمل، على الناس ان تتحرك باتجاه القوة و القدرة. العدالة كلام فارغ لا تتأملوا بها ولا تسعوا نحوها أصلاً. وليكن سعيكم نحو القوة فقط و عندهم مثل يناسب تعبيراتنا و خلاصته: ١٦/٢ ذراع من الغصن أولى من متر من زهر الفاكهة[١] (والقوة هي الغصن والعدالة هي الزهر) ان نلت الغصن فماذا تعني العدالة؟ تحرك نحو القوة. و نيتشه وماكيافيلي من هؤلاء الأشخاص.

رأي برتراند راسل:

إلّا ان جماعة أخرى لا يقولون بذلك بل يقولون. لا، يجب السعي نحو العدالة لكن لا على أساس إنها مطلوبنا بل على أساس ان مصلحة الفرد في عدالة المجموع. وهذا هو رأي برتر اند راسل وهو ـ مع هذا الرأي ـ يدعي انه محب للإنسان أيضاً. حيث ان فلسفته تقتضي ذلك فليس له إلا أن يقول ذلك، يقول: الإنسان بحسب طبعه الذي جبل عليه يطلب مصلحته وهذا هو الكلام و لا كلام غيره فكيف يسعى لتحقيق العدالة؟ أنقول للبشر: يا أيها البشر اطلبوا العدالة؟ وهذا لا محيص معه عن القوة، إذ طلب العدالة ليس أمراً فطرياً، وكيف يمكننا ان نطلب

---

١ ـ المثل في الفارسية دو گره شاخ بريك ادم ترچيح دارد: والـ «گره مقياس وحدته ١ /١٦ من الذراع».

من الناس بالقوة طلب العدالة؟ لكن هنا طريق آخر وهو ان نقوي العقل والعلم والمعرفة عند البشر حتى نصل إلى مرحلة نقول للبشر بشر، صحيح أن الأصالة للمنفعة وأنت لا تريد إلا منفعتك الشخصية لكن المنفعة الشخصية انما تنال بواسطة العدالة الإجتماعية، لولا هالا يمكن تأمين منفعة الفرد، و صحيح انك بحكم طبعك تريد الإعتداء على جارك الاّ انك إذا تعديت عليه سيعتدي عليك، فبينما أنت تريد تحصيل منفعة أكثر فإذا بك تنال منفعة أقل، إذن فكر بتلك ووازن الأمور فتفهم ان مصلحتك الفردية أيضاً في العدالة.

فهؤلاء يعتقدون بالعدالة إلاّ ان طريق تحصيلها هو تقوية الفكر والعلم والمعرفة، أي ان يدرك البشر ان المنفعة الفردية في العدالة الإجتماعية.

نقد هذه النظرية:

ومن الواضح أنها نظرية غير علمية لان ذلك انما يصدق في حق أفراد لا قوة لديهم و يمكن أن يصدق ذلك في حقي أنا الرجل الضعيف فعندما أخاف من جيراني و أرى أن قوتي بحجم قوة جيراني أصبح عادلاً خوفاً من قوتهم، لكن في الساعة التي أمتلك فيها القوة بحيث لا يكون عندي أي خوف من الجيران و أكون على يقين تام انني إن ضربت جاري فليس من قوة تقف في وجهي فكيف سأكون عادلاً حينذاك؟ وكيف يمكن لعلمي ان يصيّرني عادلاً؟ لانك يا صاحب السماحة تقول ان البشر يطلبون منفعتهم والعلم يقول: كن عادلاً لأجل منفعتك وهذا انما يكون عندما أرى قوة تواجهني أما عندما لا تكون أية قوة تواجهني فكيف أكون عادلاً؟ ولذا فإن فلسفة راسل ـ خلافاً لكل الشعارات عن حبه للإنسان ـ تعطي

الحق لكل الأقوياء وذوي القوة العليا ان يظلموا الضعفاء الذين لا خشية منهم.

رأي الماركسية:

هنا فرقه ثالثة يمكن اعتبارها من الفرقة الثانية فهي تقول: العدالة أمر واقعي لكن ليس عن طريق الإنسان، لا يمكن للإنسان ان يقيم العدالة، وليست هي من عمل الإنسان، لا مجال لأن يربّى الإنسان حتى يطلب العدالة واقعاً بكل روحه و لا لأن يحصلها عن طريق تنمية العلم والعقل البشريين، العدالة انما تطلب من الآلة لا الإله، العدالة تطلب من الوسائل الإقتصادية و بعبارة أوضح لا يجوز ان تطلب، لا علاقة لكم بها، لا يمكنكم السعي نحو العدالة، وإذا اعتقدت انك تصير طالب عدالة فهذا خطأ، أنت أصلاً لست طالباً لها، وإذا اعتقدت أن عقلك سيهديك يوماً إلى العدالة فهذا خطأ ايضاً، لكن الآلة تأخذ بالبشرية شيئاً فشيئاً نحو العدالة مع التحولات التي تطرأ على الوسائل الإقتصادية والإنتاجية ـ ضمن معايير وضعوها لأنفسهم و كثير منها غلط، لم يتدبروها ـ تصل إلي الرأسمالية، ثمّ شيئاً فشيئاً إلى الإشتراكية حيث تفرض العدالة والمساواة قهراً بحكم الآلة، شئت أم أبيت فلست الذي يحقق العدالة فتأتي وتفكر هل عقلي يدعوني إلى العدالة؟ وهل تربيتي تشدني إلى العدالة؟ ويقولون: هذا الكلام خاطىء.

رأي الإسلام:

أمّا الرأي الثالث: ـ وباعتبار آخر الرأي الرابع[١] ـ الموجود في هذه المسألة

١ ـ أي ان جعلنا الرأي الماركسي رأياً ثالثاً فهذا هو الرأي الرابع وان ادخلناه في الرأي الثاني كان ثالثاً. (المترجم)

فيقول: هذه الأفكار كلها نوع من سوءالنظر إلى الطبيعة والفطرة البشرية وان كنت ترى البشرية اليوم تهرب من العدالة فذلك لانها لم تصل إلى مرحلة الكمال. العدالة فطرية فإذا تربّى البشر جيداً في ظل رجل مرّبٍ كامل سيصلون إلى حيث يطلبون العدالة واقعاً ويرجّحون العدالة الإجتماعية على المنفعة الفردية فكما ان البشرية تحب الجمال فكذالك هي محبة للعدالة، العدالة من مقولة الجمال المعقول لا الجمال المحسوس، ثم يأتون[١] بدليل فيقولون: في عقيدتنا التي هي عقيدة دينية لدنيا دليل على المطلب هو: أنكم الذين تقولون: أن البشرية لا تطلب العدالة بحسب فطرتها والعدالة تفرض عليها فرضاً أو تقولون: عليها أن تصل بعقلها إلى ان تدرك ان منفعتها في ذلك، أو تقولون ان (تكامل) وسائل الإنتاج (تحققها شيئاً فشيئاً) . لكن لدينا موارد نرشدكم إليها حيث نجد أفراداً عادلين و طلاب عدالة مع ان منافعهم لا توجب ذلك و كانت العدالة فكرتهم وهدفهم وأملهم على خلاف منافعهم الفردية بل كانوا يحبونها كمحبوب و يضحون بأنفسهم في سبيل تحقيقها، وهؤلاء نماذج كمَّل من البشر في العصور الماضية وهذه النماذج دلّت على ان البشر يمكنهم ان سيلكوا درب العدالة حتى يصلوا إلى رتبتها وعلى الأقل يمكن للبشر ان يصيروا نموذجها الصغير.

علي بن أبي طالب عليه السلام من تلك النماذج التي تبطل تلك الفلسفات كلها، علي عليه السلام ويد علي الربانية وجماعة كثيرة من أفراد البشر وجدوا في كل العصور. ونحن عندما نذكر أميرالمؤمنين عليه السلام مثلاً، قد يظن البعض ان علياً عليه السلام فرد واحد، لا ليس

---

١ ـ أي أصحاب الرأي الإسلامي. (المترجم)

الأمر كذلك، فالآن يوجد بين المؤمنين الواقعيين الكثير ممن عندهم حب للعدالة واقعاً و فطرتهم مرتبطة بالعدالة، وأي ارتباط؟ وكذلك سيكون البشر في العصور الآتية.

يتخيل الكثير من البشر ان مسألة ظهور الحجة (عجل الله تعالى فرجه) أمر ملازم لا نحطاط الدنيا وتقهقرها والقضية عكس ذلك فإن كل الشواهد والأدلة التي وصلتنا من الدين تدل على إنها مساوية للرقي الفكري والأخلاقي والعلمي البشري، وهذا الدين الذي ذكر لنا موضوع ظهور الحجة والعدل التام قد ذكر لنا هذه الأمور أيضاً ففي حديث في أصول الكافي انه عندما يظهر الإمام الحجة فإن الله تعالى يبسط يده فوق البشرْ ويرقىٰ عقل أفراد البشرية ويزداد فكرهم وعلمهم، عندما يظهر وجوده المقدس فلا وجود بعدُ للذئب و الغنم في الدنيا حتى ان الذئاب التي تعيش في الصحاري؟ أم الذئاب البشرية. أي ان الذئب يتخلى عن طبيعة الذئبية وننتزع منه.

و قبل ان أذكر قسماً من القرائن الكثيرة الأخرى عن وضع زمان الإمام الحجة عليه السلام يجب ان أذكر مسألة مهمة وهي:

مسألة عمر الإمام الحجة عليه السلام:

فكثير من الناس عندما يطرحون موضوع الإمام الحجة عليه السلام يقولون: هل يمكن لبشر ان يعيش ١٢٠٠ سنة؟ هذا خلاف قانون الطبيعة. هؤلاء يتخيلون ان جميع الأمور التي حدثت في هذه الدنيا متلائمة تمام الملاءمة مع قوانين الطبيعة العادية ـ يعني تلك القوانين التي يعرفها العلم اليوم ـ أصلاً كل التحولات الكبرى في

تاريخ حياة عموم الموجودات الحية ـ من نبات و حيوان ـ التي حدثت كلها تحولات غير عادية، فهل ان أول نطفة حية التي وجدت على الأرض مطابقة لأصول علوم حياة؟ ومع أي قانون طبيعي تنسجم أول حياة وجدت على هذه الأرض؟ وبناء على فرضيات اليوم العلمية وفي نظر علم اليوم المسلم به ان عمر الأرض يتجاوز حدود الـ ٤٠ مليارد سنة و منذ ملياردات السنين كانت أرضنا كرة مذابة بحيث كان يستحيل ان توجد عليها أرواح تحيا، وبناءً على التخمينات العلمية مضت ملياردات السنين حتى وجد أول ذي روح على الأرض، و علم اليوم يقول أنّ ذا الروح انما يوجد من ذي روح ولا يمكنه ان يفيد ان ذا الروح يوجد من غير ذي روح. والعلم لم يستطع إلى الآن أن يعطي جواباً عن مسألة وجود أول ذي روح على الأرض، يعني ذلك التحول الكبير الأول وتلك النطفة الأولى للحياة التي ارتبطت بالأرض، كيف ارتبطت؟

ثم يقولون أن أول نطفة محياة وأوّل خلية عندما توجد تتكامل فتصل إلى مرحلة تتحول إلى عنصرين: العنصر النباتي والعنصر الحيواني أضيف إليهما مشخصات أخرى حيث تكون بعض أقسامها ضد بعضها البعض وأحدها يكمل الآخر وهذا من العجائب: فإذا لم يكن نبات فلا حيوان ولو لم يكن الحيوان فلا نبات وبشكل خاص من جهة الأخذ والعطاء عبر البخار المنتشر في الفضاء.

والعلم لم يستطع إلى الآن بيان ان هذه المرحلة التي هي مرحلة تحول كبير في الحياة، كيف حدثت؟ وكيف وجد عنصر النبات وكيف وجد عنصر الحيوان؟ وكذلك الأمر في المراحل الأخرى لوجود الإنسان، وجود موجود بهذه القدرة وهذا العقل و الفكر والإرادة والإختيار أفاستطاع العلم إلى الآن ان يبين هذا؟

وهل أمر الوحي أمر عادي؟ وهل أن نفس الوحي الذي ينزل على بشر يعطيه الأوامر مما وراء الطبيعة أضعف من مسألة ان يحيا شخص مدة ١٣٠٠ سنة[١] بل هذا أمر عادي طبيعي، شيء تسعىٰ إليه البشرية الآن ولعل له قانونه الطبيعي البشرية اليوم تتحرك نحوه و تسعى لتهيئة الوسائل ـ بأدوية خاصة أو تركيبات خاصة ـ كي يطول عمر البشر. فلا يمكن لأحد ان يقول إنّ قانون الطبيعة يقتضي ان يعيش البشر ١٠٠ سنة أو ١٥٠ أو ٢٠٠ سنة أو ٥٠٠ سنة، صحيح ان خلايا البدن الانساني لها دورتها الحياتية إلاّ أن هذا ضمن شرائط خاصة محدودة. فلعله يأتي اليوم الذي يمكن فيه من خلال وسيلة صغيرة جداً تطويل عمر البشر إلى ٥٠٠ سنة. وهذا ليس أمراً يشك فيه الإنسان بل هو عادي أكثر ممّا هو عادي وحدث في دنيا الحياة.

والله تعالى دائماً يدلنا على ان وضع الدنيا سيصير إلى مراحل فكأن يداً تخرج من عالم الغيب ويحدث تحول فجائي، ويحصل وضع غير قابل لملاحظته مع قانون الطبيعة.

وبناءً على هذا، فهذا الموضوع لا بحث فيه بحيث يفكر فيه الإنسان أو يبتلىٰ والعياذ بالله في بلاء الشك والترديد. وعالم الدين انما هو لأجل ان يفتح عين الإنسان ويخرج فكر الإنسان معه عن الحوادث والمجريات العادية المحدودة.

ففي ذلك العصر ـ الذي ذكرت وهو عصر تكامل العلم والعقل والأخلاق والمجتمع ـ ماذا سيحصل؟ أذكر قسماً كأنموذج لذلك.

---

١ ـ هنا ذكر ١٣٠٠ سنة وتقدم ١٢٠٠. (المترجم)

مميزات عصر الإمام المهديعليه السلام:

هذه الجملة قد تواترت عن النبي الأكرمصلى الله عليه وآله باتفاق علماء أهل السنة والشيعة. ولم يتردد أحد في ان النبي الأكرمصلى الله عليه وآله قال:

لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك يوم حتى يخرج رجل من ولدي.

والمقصود منه ان هذا قضاء إلهي حتمي بحيث لو فرضنا انه لم يبق من عمر الدنيا إلاّ يوماً واحداً فأن هذا القضاء واقع لا محالة. وهذه رواية قد رواها كل من أهل الشيعة وأهل السنة ولا شك فيها.

كان بعض الأصدقاء يتعجب عندما يرى أخانا الحجازي الشيخ خليل الرحمٰن[١] دائماً يتحدث عن انتظار ظهور الإمام الحجة إذ أنه لم يكن شيعياً فكيف يؤمنون بمسألة انتظار ظهور الحجة؟ فهم واقعاً عندهم انتظار ظهور الحجة وأغلبنا يقول ذلك على أساس العادة والبيئة التي يعيشها اما هم فعلى أساس الإعتقاد والإيمان يقولونها. فقلت: ليس في هذا الأمر سنّة و شيعة فإن أهل السنّة يتكلمون كثيراً بهذا الكلام.

الآن انظروا كيف يبيّن ذلك اليوم؟ وكيف أنه يرى ذلك اليوم عصر كمال البشرية؟ فهوصلى الله عليه وآله يقول: «المهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلزال» (وليس المقصود الزلازل الأرضية) في الأصل الأرض تتزلزل بأيدي الناس

١ ـ من قراء القرآن حيث دعي من قبل حسينية الإرشاد.

وتهدد البشرية بأن لا أرض وتفنى «يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض» أي يرضى عنه إلٰه السماء و خلق إله السماء والناس الذين هم على الأرض فيقولون: الحمدلله‌الذي نجانا من شر هذا الظلم ثم يقول صلى الله عليه وآله: «يقسّم المال صحاحاً» قالوا: يا رسول‌الله وكيف يقسمها صحاحاً؟ قال: «بالعدل والسوية». «ويملأ‌الله قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله»[1] أي لا نتوهم أن المقصود خصوص الثروة المادية، يصبح الغنىٰ في القلب والفقر والحاجة والحقارات والمسكنة والأحقاد والحسد تزول كلها من القلوب.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج‌البلاغة:

«حتى تقوم الحرب بكم على ساق، بادياً نواجذها، مملوءة أخلافها، حلواً رضاعها علقماً عاقبتها» فهو عليه السلام يتنبأ بما قبل الظهور بفتنة عجيبة وحروب كثيرة مهيبة وخطرة في الدنيا فتقف الحرب على قدمها وتبدي نواجذها كحيوان مفترس وتبرز حليب ثديها فينظر مسعروا نار الحرب لثدي الحرب فيرون حليبها حلواً أي في نفعهم لكنهم لا يعلمون ان عاقبة هذه الحرب في ضررهم.

فرضاعها حلو لكن عاقبتها علقم «ألا وفي غدٍ، وسيأتي غدٌ بما لا تعرفون ـ أي هذا حاصل في غدٍ وسيأتي بما لا تعرفون ـ يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوىء أعمالها» وأول عمل يقوم به الوالي الإلهي ان يأخذ العمّال والحكام

---

١ ـ أعلام الورى، ص ٤٠١.

واحداً واحداً ويصلح أعوانه وتصلح الدنيا «وتخرج له الأرض أفاليذ كبدها» أي ان الأرض تُخرج ما عندها من طاقات من معادن وكل ما يمكنكم تصوره «وتلقي إليه سلماً مقاليدها» أي وتسلم له مفاتيحها كغلام حالة الإستسلام يسلم مفاتحه (كل هذه كنايات) أي لا يبقى في الطبيعة سر الا وينكشف في ذلك العصر «فيريكم كيف عدل السيرة» سيريكم في ذلك الوقت معنى العدالة الواقعية وان كـل هـذه الأحاديث التي ينطقون بها عن الصلح وبيانات حقوق البشر والحرية، إن هي إلّا كذب ونفاق (يعرض القمح ويبيع الشعير) «ويُحيى ميّت الكتاب والسنة» أي ما ترك من الكتاب والسنة ومات في ظاهر الأمور وانتفى سيحييه.

وقال ايضاً: «إذا قام القائم حكم بالعدل» كـل إمـام مـن الأئـمةعليهم السلام له لقب فأميرالمؤمنينعليه السلام مثلاً: علي المرتضى، الإمام الحسن، الحسن المجتبى، الإمـام الحسين: سيدالشهداء، والأئمة الآخرون: السـجاد، البـاقر، الصـادق، الكـاظم، الرضا، التقى، النقي، الزكي العسكريعليه السلام والإمام الحجة له لقب خاص بـه، لقب أخذ من معنى القيام، يقوم في العالم (القائم) وفي الأصـل نـحن نـعرف الإمـام المهديعليه السلام بالقيام والعدالة، كل إمام له صفة عرف بها وهذا الإمامعليه السلام عرف بالقيام والعدالة. «وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل» أي ان الطرق البرية والبحرية والجوية تصبح آمنة لأن سبب عدم الأمن في هذه المـجالات هـو المـضايقات وانعدام العدالة وعندما تقر العدالة، حيث ان فطرة البشر هي فطرة العدالة فلا وجه بعد كي يكون للا أمن وجود.

«وأخرجت الأرض بركاتها ولا يجد الرجل منكم يؤمنذٍ موضوعاً لصدقته ولا برّه... وهو قوله تعالى: ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾» أي أتـدرون مـا هـو الضـيق الذي

سيحصل للناس ذلك اليوم؟ ضيق الناس هو انهم لو أرادوا الصدقة والمساعدة لشخص فلن يجدوا شخصاً (مستحقاً) ولن يجدوا فقيراً. ويقول بالنسبة للتوحيد الإلهي «حتى يوحّدوا الله ولا يشرك به شيئاً» وحول الأمن يقول «وتخرج العجوزة الضعيفة من المشرق تريد المغرب لا يؤذيها أحد».[١]

كثير ذلك الذي قيل عن العدالة، والذي قيل عن الصفاء والسلام بالمعنى الواقعي والذي قيل عن الحرية والأمن الكاملين، وعن الثروة والبركة الواسعة، وعن تقسيم الثروة العادل، وعن توفر الوسائل ـ وسائل المحافظة على الحيوانات و غيرها ـ بشكل واسع وما قيل عن الفاكهة والغنم وعن انعدام المفاسد إذ لا شرب للخمر بعد ذلك ولا وجود للزنا، وسينفر الناس من الكذب، ينفرون عن الغيبة، ينفرون من التهمة، ينفرون من الظلم، هذه كلها على أساس أية فلسفة؟

أساسه ذلك الذي ذكرته:الإسلام يقول العدالة هي عاقبة البشر لكن ليست العدالة التي ستأتي في نهاية الأمر هي التي ينتهي إليها الفكر البشري، من أن منفعتي الشخصية هي حفظي لمنافع الآخرين. لا، (في ذلك الزمان) العدالة محبوبة البشر كأنها معبودهم أي تترقى أرواحهم وتتربى كاملاً وهذا لا يمكن إلاّ إذا حكمت العالم حكومة عادلة على أساس الإيمان، الإيمان بالله، ومعرفة الله وعلى أساس حكم القرآن، ونحن المسلمين لحسن حظنا اننا على خلاف هذا التشاؤم الموجود في دنيا الغرب في النظرة إلى البشرية فنحن متفائلون بمستقبل البشرية، فراسل هذا المتقدم ذكره يقول في كتاب (الآمال الجديدة) : أغلب العلماء اليوم قد يئسوا

---

١ ـ نهج البلاغة الخطبة رقم ١٣٨.

من البشرية ويعتقدون ان العلم قد وصل إلى حد يوجب قرب القضاء على البشرية بواسطة هذا العلم، ويقول: أحد هؤلاء العلماء اينشتين، ثم يعتقد ان البشر لم يبق لهم إلاّ خطوة حتى يصلوا إلى قبر حفروه بأيديهم، والبشرية وصلت إلى مرحلة لا تحتاج إلا ضغط عدة أزرار والأرض تصبح كأنّها لم تكن شيئاً مذكوراً.

في الواقع، لو لم نكن مؤمنين بالله ويد الغيب ولولا اطمئناننا بما يدل عليه القرآن من أن المستقبل للبشرية، أي لو اننا قصرنا نظرنا على هذه الظواهر الدنيوية لرأينا أن الحق معهم فكل يوم يأتي تزداد وسائل التخريب قوة وهيبة ورعباً، منذ عشرين عاماً تقريباً عندما ألقيت القنبلة الذرية في هيروشيما حتى اليوم أنظروا كم هو الضعف الذي بلغته القدرة الصناعية البشرية التخريبية؛ وصلت إلى مرحلة بحيث يقولون ان الدنيا اليوم ليس فيها غالب ولا مغلوب فلو وقعت حرب عالمية ثالثة، الخاسر هو الأرض والبشرية ولا غالب أبداً.

لكن نحن نقول ان الأرض والبشرية لها مخلص من هذه المزالق، يد الله فوق جميع الأيادي ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَّ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[1] قالوا لنا «أفضل الأعمال انتظار الفرج»[2] وهذا تفاؤل، ولماذا انتظار الفرج أفضل الأعمال؟ لان ذلك ايمان في المرتبة العليا جداً.

إلهي إجعلنا من المنتظرين الواقعيين لفرج إمام الزمان عجل‌الله تعالى فرجه.

إلهي هب لنا لياقة ادراك دولة الحق.

---

١ ـ سورة آل‌عمران الآية رقم ١٠٣.

٢ ـ بحارالأنوار ج ٥٢ ص ١٢٢.

أللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعزبها الإسلام وأهله وتذل بـها النـفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

القسم الثاني من الفصل الثامن:

المهدي الموعود (عجل الله تعالى فرجه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، باریء الخلائق اجمعين، و الصلاة و السلام على عبدالله و رسوله و حبيبه و صفيه و حافظ سره و مبلغ رسالاته سيدنا و نبينا، مولانا أبي القاسم محمّد صلى الله عليه وآله و آله الطيبين الطاهرين المعصومين.

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً﴾[1]

استمراراً للبحث الذي ذكرنا في الاسبوع الماضي في هذا المجلس الموقر تحت عنوان العدل الكلي، و بمناسبة الولادة السعيدة للحجة ابن الحسن المقدس عجل الله تعالى فرجه نخص هذه الجلسة في البحث حول وجوده المقدس و بحثنا هذا اكثره تاريخي. يعني انني اريد في هذه الليلة ان اذكر قسماً من الامور المسلّمة في تاريخ الإسلام حول الإمام المهدي الموعود عليه السلام.

---

١ ـ سورة النور آية ٥٥.

يتخيل بعض الذين لا اطلاع عندهم في هذا المجال ـ و خصوصاً أولئك الذين لا يعتقدون بأصول و مبانى التشيع و قرأوا شيئاً من الكلام في بعض الكتب ـ يتخيلون أن الإعتقاد بالمهدوية إنما بدأ من نصف القرن الثالث الهجرى تقريباً عندما ولد الإمام الحجة عليه السلام، و اريد أن اذكر أنّ هذا الموضوع منذ متى طرح و كيف سواء أكان بشكل تفصيلي أم بشكل اجمالي و عام وبنحو الاشارة.

المهدوية في القرآن و الاحاديث النبوية

ابتداءً: القرآن ذكر هذا الأمر كبشرىٰ بصراحة تامة، يعنى أن كل من يقرأ القرآن الكريم يرى أن القرآن الكريم قد ذكر في آيات كثيرة على نحو القطع أن تلك النتيجة التي تترتب على وجود الحجة المقدس، هي حاصلة في المستقبل و من تلك الآيات:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾[1]

يقول تعالى في هذه الآية اننا في الماضى أخبرنا في الزبور ايضاً بعد أن كتبنا في الذكرـ و قالوا ان المراد بالذكر التوراة أي بعد ان كتبنا في التوراة ـ نحن اعلمنا فإذن لا محالة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾ و ليس الكلام عن منطقة أو محلة أو مدينة، بل الفكرة واسعة و كبيرة إلى حد أن الكلام عن كل الأرض فلن تبقى الارض تحت سلطة الجبارين و الظالمين و الاقوياء بل هذا امر مؤقت وستتحقق في المستقبل دولة الصالحين و تحكم كل الأرض و ليس في الآية ادنى

---

١ ـ سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

ترديد في هذا المعنى.

كذلك الأمر بالنسبة إلى ما في القرآن من حديث عن أن الدين الإسلامي المقدس سيصبح الدين لكل البشر و تزول جميع الاديان الأخر في مقابلة و تمحق و هذا اثر أخر من آثار و نتائج وجود الإمام المهدي المقدس عليه السلام الموعود ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1] أي أن كل الانسان في هذه الدنيا سيتبع هذا الدين.

و هناك آيات اخرىٰ لكن اكتفي بهذا المقدار بعد أن لم يكن البحث حول آيات القرآن، نمضي من الآيات الى الأحاديث النبوية فماذا ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في هذا المجال؟ هل ذكر شيئاً أم لم يذكر شيئاً؟ لو كانت روايات الإمام المهدي الموعود عليه السلام منحصرة بروايات الشيعة لكان هناك مجال لتشكيك المشككين بأنه لو كانت مسألة المهدي الموعود واقعية لوجب أن يقوله النبي الأكرم و لو قاله صلى الله عليه وآله لوجب نقله من قبل جميع الفرق الإسلامية مع انكم وحدكم رويتم هذه الروايات.

و الجواب عن هذا الاعتراض واضح جداً: فإن الواقع أن روايات باب الإمام المهدي الموعود عليه السلام لم تنفرد بروايتها الشيعة و الروايات التي يوردها أهل السنة في هذا الباب ليست أقل من روايات الشيعة إن لم تكن اكثر، و قد صنفت الكتب في هذا المجال فاذا رجعتم إلى الكتب ترون أن الامر كما ذكرنا، في هذه السنين التي كنا فيها في قم صُنِّف كتابان احدهما للمرحوم آية الله الصدر (اعلى الله مقامه) طبعاً باللغة العربيّة باسم (المهدي) واعتقد أنه طبع. و ما ينقله في ذلك الكتاب من

---

١ ـ سورة الفتح الآية ٢٨.

روايات كلها من روايات اهل السنة، عندما يقرأ المرء يرى أن مسألة المهدي الموعود عليه السلام في روايات اهل السنة اكثر من روايات الشيعة و ليست أقل.

الكتاب الآخر و لحسن الحظ باللغة الفارسية هيىء بأمر من المرحوم آية الله السيد البروجردي واسمه (منتخب الاثر) الذي صنفه احد فضلاء الحوزة العلمية في قم و هو الآن ايضاً موجود في قم و هو الميرزا لطف الله الصافي من فضلاء قم البارزين (گلبايگانى) (و قد ألّف هذا الكتاب) في ظل ارشاد المرحوم آية الله البروجردي أي أنه اعطى الأمر بهذا الكتاب و عين موضوعه و شكله و رسمه ثم اهتمّ هذا الرجل الفاضل و كتب الكتاب، طالعوا أيضاً هذا الكتاب لتروا الروايات الكثيرة في المسألة و بشكل خاص من اهل السنة بمعان و الفاظ مختلفة، هذا. وكما لم يكن بحثي في آيات القرآن الواردة في هذا المجال كذلك ليس بحثي في الجهة الروائية من المسألة. و إنما اريد الحديث عن الموضوع من جهة اخرى وهي: ما هو تأثير هذه المسألة على التاريخ الإسلامي؟ عندما نقرأ تاريخ الإسلام نرى و بغض النظر عن الروايات الواردة على هذا الصعيد عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله أو امير المؤمنين عليه السلام، نرى اساساً أن اخبار المهدي الموعود عليه السلام صارت منشأً لحوادث في تاريخ الإسلام ابتداءً من النصف الثاني للقرن الأول. إذ كانت تحصل احياناً سوء استفادة من مثل هذه البشرىٰ و مثل هذه الاقوال الواردة في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و هذا بنفسه دليل على أن مثل هذا الخبر قد انتشر بين المسلمين عن لسان النبي صلى الله عليه وآله و إلا لم يكن هناك مجال لسوء الاستفادات تلك.

بيان علي عليه السلام

و قبل أن أذكر أول حادثة تاريخية في هذا المجال أنقل جُمَلاً عن

اميرالمؤمنين علي‌عليه السلام ـ و هي موجودة في نهج البلاغة ـ و قد سمعت من المرحوم آية الله العظمى البروجردى أن هذه الجمل متواترة أي لم يقتصر ذكرها في نهج البلاغة بل لها اسانيد متواترة، ففي حديث لامير المؤمنين‌عليه السلام مع كميل بن زياد النخعي (الذى بيّن فيه اموراً في هذا الباب) يقول كميل: اخذ علي‌عليه السلام بيدى ذات ليلة (والظاهر أن ذلك في الكوفة) و اخذني معه إلى الصحراء «فلما أصحر تنفس الصعداء»[1] أي عندما وصلنا الى الصحراء أخذ نفساً عميقاً أي قال آهاً، صادرة من عمق القلب و أخذ يبرز ما في قلبه من آلام فيبدأ بالتقسيم المعروف «الناس ثلاثة فعالم رباني و متعلم على سبيل نجاة و همج رعاع» ثم يشكو فيقول لكميل: لم أجد رجلاً اهلاً لأن اقول له ما أعلمه، هناك اناس جيّدون لكنهم حمقى و هناك افراد اذكياء لكنهم بلا دين جعلوا الدين وسيلة للدنيا. قسّم الناس ثم شكى الوحدة يقول لكميل: اشعر بالوحدة، أنا وحيد لا أجد رجلاً اهلاً و قابلاً لأن اقول له ما في قلبي من أسرار لكنه في النهاية يقول: «اللهمّ بلىٰ لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله و بيناته. يحفظ الله بهم حججه و بيناته حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها في قلوب أشباههم.

ثورة المختار و الاعتقاد بالمهدية:

و اول مرة يظهر فيها اثر الإيمان بالمهدوية في تاريخ الإسلام هي حادثة انتقام المختار من قتلة الإمام الحسين‌عليه السلام، و لاشك في أن المختار كان رجلاً سياسياً

---

١ ـ نهج البلاغة الحكمة ١٤٧.

جيداً و نهجه قبل ان يكون نهج رجل دين و مذهب فهو نهج رجل سياسي طبعاً لااريد أن أقول أن المختار كان رجلاً سيئاً أو جيداً لا شغل لنا الآن في هذا الأمر. و كان المختار يعلم أن الناس لن تنقاد له لما يريد من عمل، و ان كان اخذ الانتقام من قتلة سيّد الشهداء أمر عظيم و لعله (بناء على رواية) اتصل بالإمام زين العابدين عليه السلام فلم يستفد فطرح مسألة المهدي الموعود التي اخبر بها النبي الكريم صلى الله عليه وآله باسم محمّد بن الحنفية ابن أمير المؤمنين و اخي سيّد الشهداء لأن اسمه محمد و قد جاء في الروايات النبوية «إسمه اسمى» فقال: ايها الناس انني نائب مهدي الزمان، ذلك المهدي الذي اخبر به النبي[1] فالمختار لعب سياسته مدة باسم النيابة عن مهدي الزمان. الآن هل أن محمّد ابن الحنفية قبل واقعاً بأنه المهدي الموعود؟ يقول البعض أنه قبل حتى يمكنه الأخذ بالثأر. إلا أن هذا غير ثابت نعم لاشك في أن المختار قد عرَّف محمّد بن الحنفية على أنّه المهدي الموعود ثمّ ظهر مذهب الكيسانيّة وعندما مات محمد بن الحنفيّة قالوا المهدي الموعود لا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً. إذن محمّد بن الحنفية لم يمت بل غاب في جبل رضوى.

كلام الزهري

و في التاريخ الإسلامي حوادث أخرى ايضاً. يذكر أبوالفرج الأصفهاني وهو

---

١ ـ و ليلتفت ايضاً إلى انه في صدر الإسلام لم يعط أي علامة لزمان ظهور المهدي عليه السلام نعم بعض الخواص كانوا يعلمون انه فلان بن فلان بن فلان أي ان ما جاء في رويات النبي صلى الله عليه وآله بهذا المقدار فقط ان المهدي من آل البيت لابد أن يظهر، مقدار لم يرد عنه أي تشخيص لتاريخ الظهور.

اموی الأصل و مؤرخ غير شيعي في (مقاتل الطالبين) انه عندما وصل إلى الزهري[١] خبر استشهاد زيد[٢] بن على بن الحسين قال: «لماذا يستعجلون اهل البيت؟ و سيأتى يوم يظهر المهدي منهم» فيعلم أن كون المهدى الموعود من أولاد النبيﷺ قطعي مسلّم به إلى درجة انه عندما يصل خبر استشهاد زيد الى الزهرى ينتقل ذهنه فوراً اليه ويقول عن ثورة زيد: لماذا يستعجل أولاد النبي؟ يجب أن لا يثوروا الأن و ثورتهم هي للمهدي الموعود».. و لا اريد أن ابحث عن صحة اعتراض الزهرى و عدمه و ان كان اعتراضاً غير صحيح إلا أنّ الذي اريده هو هذه العبارة من الزهرى انه سيأتى يوم يثور فيه احد اولاد النبيﷺ و ثورته تكون ثورة ناجحة و موفقة.

ثورة (ذى النفس الزكية) و الإيمان بالمهدوية

كان للإمام الحسينعليه السلام ولد اسمه الحسن ايضاً يقال له الحسن المثنى أي الحسن الثاني، الحسن بن الحسن، و الحسن الثانى صهر ابى عبدالله الحسينعليه السلام

---

١ ـ الزهري من اهل السنة، الزهري و الشعبي من التابعين أي من الذين ادركوا اصحاب النبيﷺ و لم يدركوا النبيﷺ و هما من كبار مشايخ و علماء عصرهم.

٢ ـ تعلمون أن للإمام زين العابدينعليه السلام ولدا اسمه زيد. ثار واستشهد، و يدور حول زيد أنه رجلٍ جيد أو غير جيد، كلام كثير لكن يستفاد من روايات الشيعة ان ائمتنا قد عظموا زيداً، و قد جاء في رواية الكافي أن الإمام الصادقعليه السلام قال: «والله ان زيداً لشهيد» و زيد هذا هو الذي ينسب اليه الزيديون أي الشيعة الزيديين الذين يحيون الآن في اليمن و كلهم أو اكثرهم يرون أنه الإمام بعد الإمام زين العابدينعليه السلام، و على كل حال فهو رجل جيد، رجل زاهد متقي و بناء على رواياتنا فإن قيامه كان للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لا لإدعاء الإمامة و ما عليه نظرنا زيد رجل شريف صالح.

فإن فاطمة بنت الحسين زوجة الحسن المثنى فأولدا صبياً اسمه عبدالله و لأن نسبه يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و الزهراء عليها السلام من طرف الأم و من طـرف الأب مـعاً فكان نسبه خالصاً، سمِّي بعبد الله المحض أي أنه رجل علوى محض و فـاطمي محض فمن طرف ابيه له نسب إلى علي عليه السلام و فاطمة عليها السلام و ايضاً من طرف امـه. وكان لعبد الله المحض ولدان، اسم أحدهما محمّد و الآخر ابـراهـيم و زمـانهما مقارن لأواخر العصر الاموي قريب سنة ١٣٠ هـ، و محمّد بن عـبدالله المـحض رجل شريف جداً عرف باسم (ذى النفس الزكية)، و قد ثـار فـي أواخـر العـهد الأموي بعض السادات الحسينين ـ و هذا له بحث مفصل ـ حـتى أن العـباسيين بايعوا محمّد بن عبد الله المحض.

الإمام الصادق صلى الله عليه وآله دعي ايضاً الى هذه الجلسة و قالوا له اننا سـنثور و نـريد جميعاً أن نبايع محمّد بن عبد الله المحض فبايع، و انت سيّد الحسينيين، فقال لهم الإمام عليه السلام: ما هدفكم؟ إن كان محمد يريد الثورة للأمر بـالمعروف والنـهي عـن المنكر فانّني أؤيّده، أمّا إن كان يريد الثورة على أنه مهدي هذه الأمة فهو مشتبه فليس هو مهديّها بل المهدي شخص آخر ولن أؤيده على الإطلاق، و لعل الأمر قد اشتبه على محمّد بن عبدالله المحض إلى حدٍّ ما لأن إسمه إسم النبي و له خال على كتفه[1] فظن الناس أن هذه العلامة علامة انه المهدي و كثير من الناس بايعوه على أنه مهدي هذه الأمة. فعلم أن مسألة المهدي عليه السلام كانت قطعية بين المسلمين بحيث أنّهم إذا ثار رجل وهو على شيء من الصلاح يقولون هذا هو المهدي الذي أخبر به

---

١ ـ كان للنبى صلى الله عليه وآله ايضاً خالٌ على كتفه يسمونه ختم النبوة.

النّبي، فلو لم يكن هناك كلام من النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يكن ليصير الأمر كذلك.

خدعة المنصور الخليفة العباسي

حتى أننا نرى ان إسم الخلفاء العباسيين هو المهدي و هو ابن المنصور والخليفة العباسي الثالث فإن الخليفة الأول السفاح و الثاني المنصور و الثالث ابن المنصور المهدي العباسي و يذكر المؤرخون و من جملتهم «دارمستر»، أن المنصور قد تعمد أن يسمّى إبنه المهديّ حتى يستفيد سياسياً من ذلك بل حتى يتمكّن من خدعةِ جماعةٍ الناس و يقول: ذلك المهدي الذي أنتم في انتظاره هو ابني و لهذا يذكر في مقاتل الطالبين و غيره أنه في بعض الأحيان عندما كان المنصور يقابل خواصّه (يعترف لهم بكذبه بهذاالأمر) فعندما يلتقى مع مسلم بن قتيبة و هو من المقربين إليه يسأله عن محمّد بن عبد الله المحض، ماذا يقول؟ قال: انه يقول أنه مهدي هذه الأمة فقال له: هو مشتبه، لا هو مهدي الأمة و لا ابنى مهديّها لكنه احياناً أخرى عندما يقابل اشخاصاً آخرين يقول لهم: «ليس هو مهدي الأمة بل المهدي ابني» و ذكرت أن كثيراً ممن بايعوا محمداً بايعوا على هذا الأساس، إذن الروايات الواصلة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المهدي عليه السلام كانت كثيرة و هذا الذي سبب الاشتباه لدى الناس إذ لم يحققوا تحقيقاً كاملاً كي ينالوا مشخصاتٍ اكثر فكانوا يؤمنون سريعاً بأن هذا مهدي الأمة.

محمّد بن عجلان و المنصور العباسي

كما أننانلاحظ أحداثاً أخرى في تاريخ الإسلام، منها: أن احد فقهاء المدينة

وهو محمّد بن عجلان «قد بايع محمّد بن عبدالله المحض، و بنو العباس بعد أن كانوا يدافعون عنه عندما تمكنوا من الخلافة استلموها ثم قتلوا السادات الحسينيين فطلب المنصور هذا الفقيه و حقق في أمره حتى ثبت له أنه بايع، فأمر بقطع يده قائلاً يجب أن تقطع هذه اليد التي بايعت عدوي قالوا: إن فقهاء المدينة اجتمعوا و تشفعّوا لذلك الرجل و قد بررّوا له عمله بهذا النحو: قالوا يا أيها الخليفة إنه رجل فقيه عالم بالأخبار، و قد تخيل هذا الرجل أن محمّد بن عبدالله المحض مهدي الأمة و لهذا بايعه و إلّا فهو لم يقصد عداوته لك.

فالذي نراه في تاريخ الإسلام أن موضوع «المهدي الموعود» من المسائل المسلّمة جداً و هكذا كلما لاحظنا كل عصر نجد ظهور حوادث في تاريخ الإسلام ناشئة من هذا الإيمان بظهور المهدي الموعود، و كثير من أئمتنا عندما توفّوا ذهبت جماعة إلى أنه لعل الإمام لم يمت، ولعلّه غاب وقد يكون هو مهدي الأمّة. وهذا ما حصل مع الإمام الكاظم عليه السلام بل و مع الباقر عليه السلام و الظاهر أيضاً مع الإمام الصادق عليه السلام و كذلك الأمر بالنسبة لبعض آخر من الأئمة عليهم السلام.

كان للإمام الصادق عليه السلام ولد اسمه اسماعيل و هو الذي تنتسب إليه الإسماعيلية، توفي اسماعيل في حياة الإمام عليه السلام و قد كان عليه السلام كثير الحب لاسماعيل و عندما توفي اسماعيل غسله عليه السلام و كفنه ثم وقف عليه السلام حيث اسماعيل موسّد و نادى أصحابه ثم فتح الكفن و أراهم وجه اسماعيل ثم قال: هذا إبني إسماعيل قد مات فلا تقولوا غداً إنه مهدي الأمة و قد غاب فانظروا جثته و انظروا وجهه، اعلموا ثم اشهدوا.

هذا كله يدل على أن مسألة مهدي الأمة كانت قطعية بين المسلمين بحيث

لامجال للشك و الترديد فيها.

و في كل مورد حقّقت فيه إلى زمان ابن خلدون لم أجد حتى شخصاً واحداً من علماء الإسلام من يقول أنّ احاديث المهديعليه السلام من أصلها بلاأساس بل قبل الجميع ذلك و إن كان هناك اختلاف ففي الجزئيات، هل المهدي هو هذا الشخص أم ذاك؟ و هل هو ابن الإمام الحسينعليه السلام، لكن في ان لهذه الأمة مهدياً و انه من اولاد النبيصلى الله عليه وآله و اولاد الزهراءعليها السلام، يملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً و جوراً فهذا الأمر فيه شك.

كلام دعبل

يأتى دعبل إلى الإمام الرضاعليه السلام و يقول له اشعاره الرثائية:

افاطم لو خلت الحسين مجدّلاً   و قد مات عطشاناً بشط فرات

التي يخاطب فيها الزهراءعليها السلام و يبين المصائب الواحدة تلو الاخرى التي نزلت باولادهاعليهم السلام و هي تعتبر من القصائد العربية الغراء، و في اشعاره هذه و اظهاره لتأثره يعدّد دعبل قبور اولاد الزهراءعليها السلام، واحداً واحداً، فقبر في (فخ) و قبر في (كوفان) و يشير إلى شهادة محمّد بن عبدالله المحض المتقدم ذكره و يشير إلى شهادة اخيه و يشير إلى شهادة الإمام موسى بن جعفرعليه السلام (و قبرٌ ببغداد لنفس زكية) و هنا ذكروا أن الإمام الرضا قال له اضف اليه هذا الشعر الذي اقوله (و قبر بطوس يا لها من مصيبة) فقال له انا لا اعرف هذا القبر فقالعليه السلام هذا قبرى.

في هذه الاشعار يذكر دعبل بيتاً من الشعر يشير إلى موضوعنا حيث يصرح دعبل في هذا الشعر بان كل هذه القضايا ستبقى موجودة حتى ظهور إمام، هذا

الظهور الذي هو لا محالة واقع.

و إذا اردنا أن نأتى ايضاً بشواهد من التاريخ فإن هناك الكثير منها إلا أنه لالزوم لذكرها كلها لكم، و كان الغرض من ذكر تلك الشواهد القول أنّ مسألة المهدي الموعود كانت أمراً قطعياً و مسلماً به بين المسلمين منذ صدر الإسلام وزمان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و أنّها كانت منشأً لحوادث تاريخية كبرى منذ القرن الأول للهجرة.

الإيمان بالمهدوية في عالم السنة

و إذا اردتم أن تدركوا ان المسألة ليست مختصة بالشيعة[1] فانظروا إلى مدعى المهدوية، فهل كثر بين الشيعة فقط ام كان هناك منهم بين اهل السنة؟ فترون أن مدعي المهدوية، بين اهل السنة كانوا ايضاً كثر، احدهم المهدي السوداني او المتمهدي السوداني الذي ظهر قبل هذا القرن الأخير في السودان و قد أسس جمعية لازالت حتى هذه الأيام موجودة، أساساً هذا الرجل ظهر على اساس انه المهدي، أي ان الاعتقاد بالمهدي في تلك البلاد السنية ـ كان كبيراً إلى حد انه يسمح ببروز ادعاء كاذب بالمهدوية ـ و غيرها من البلاد الإسلامية فقد كثر مدعو المهدوية في الهند و باكستان، و القاديانيون ظهروا على اساس ادعاء المهدوية وقد جاء في رواياتنا انه سيوجد مدعون بالمهدوية كاذبون كثر و سيظهر دجالون يدعون ذلك.

---

١ ـ طبعاً الذي له اختصاص بالشيعة، هو تلك المشخصات التي لا يؤمن بها كل السنة و إن كان يقبلها البعض.

كلام حافظ

انا لا ادري هل ان حافظاً شيعي ام سني؟ و لا اعتقد ان أحداً بمقدوره القطع بكونه شيعياً إلا اننا نجد في أشعاره (اشارة الى هذه المسألة) و اذكر منها موردين أحدهما حيث يقول:

أين الصوفي، كالدجال عينه، كالملحد شكـله

قل له احترق فالمهدي ملجأ الدين[١] أتى[٢]

و المورد الثانى حيث يقول بانسجام تام في غزله المعروف:

بشـارة يـا قـلبي نـفس كـالمسيح يأتـي

مـن انـفاسه الطـيبة رائـحة شـخص تأتـي

فـلا تـتأوه مـن الغـم و الألم

تـفاءلت و مـجيب النـداء أتـى

---

١ ـ بالفارسية:

كجاست صوفي دجال چشم ملحد شكل — بگو بسوز كـه مـهدى ديـن پـناه رسـيد

مژده‌اى دل كـه مسـيحا نـفسى مـى‌آيد — كه ز أنفاس خوشش بوى كسـى مـى‌آيد

٢ ـ

از غم ردر مكن نـاله و فـرياد كـه دوش — زده‌ام فـالى و فـريادرسى مـى‌آيد

زآتش وادى ايمن نـه مـنم خـرّم و بس — مـوسى ايـنجا بـه امـيد قـبسى مـى‌آيد

كس ندانست كه منزلگه مقصود كجاست — اينقدر هست كه بـانگ جـرسى مـى‌آيد

خـبر بـلبل ايـن بـاغ مـيرسيد كـه مـن — نـاله‌اى مـى‌شنوم كـز نـفسى مـى‌آيد

و لست وحدي فـرحاً مـن نـار وادى (ايـمن)

فــموسى عــلى أمــل قـبسٍ إلى هـنا يأتـي

لم يلتقِ احـداً يـرشده ايـن المـنزل المـقصود

ليس إلا أن صـــوت الجـــرس يأتـــي

يـــخبر بـــلبل هـــذى الحـديقة أنـــى

اســـمع اَنـــات مـــن قـــفص تأتـــي

كلماتي التي اردت ذكرها في هذا المجال و التي اردت ان يكون البحث فيها من الجهة التاريخية قد انتهت، كم هم كثر مدعو المهدوية الكذابـون بـعد زمـان الحجةعليه السلام؟ و هذا بحد ذاته له قصته الخاصة، لااريد الدخول فيها لكن اريـد ان اخصص نهاية كلامي بثلاثة مطالب أخرى:

هذا الذي ذكر من ان العدل الشامل يحصل بعد ان تملأ الأرض ظلماً وجوراً يتولد منه مسألة و هي أن البعض يعارض أي اصلاح اعتماداً منه على ذلك و يقول يجب ان تملأ الدنيا ظلماً و جوراً حتى تحصل الثورة فجأة و تمتلىء عدلاً. و لو لم يقولوا ذلك بلسانهم فإنهم في أعماق قلوبهم مخالفون (للاصلاح) و إن شاهدوا رجلاً يقدّم رجلاً في طريق الاصلاح يتأذون، و عندما يـرون أن فـي المـجتمع علامة على توجه الناس نحو الدين، يتألمون واقعاً و يقولون: يجب أن لا يحصل هذا الشيء بل يجب أن يزداد الأمر سوءاً حتى يظهر الإمامعليه السلام فلو أردنا أن نقوم بهداية الناس نحو الدين فنحن نخون الإمام الحجةعليه السلام و نؤخر ظهوره.

فهل ان الأمر واقعاً كذلك ام لا؟ سأقدم لكم توضيحاً حتى يكون الأمر معلوماً جيداً.

ما هي ثورة الإمام المهدي عليه السلام

بعض الحوادث في هذه الدنيا إذا وقعت لامجال لها إلا الانفجار تماما مثل الدمّل في البدن إذا ظهر. فهذا الدمل يجب أن يصل الى حد الإنفجار وأي عمل يمنع هذا الانفجار يكون مضراً و إذا اردتم استعمال دواء فيجب ان يكون دور الدواء الإسراع في تفجير الدمل.

بعض الفلسفات و التي يوافق عليها بعض الهيئات الاجتماعية و السياسية تؤيد الثورة بمعنى الإنفجار و يعتقدون أن أي شيء يقف في وجه الإنفجار ضرر و لذا نرى ان بعض المذاهب و الهيئات الاجتماعية معارضة تماماً لأي اصلاح اجتماعي و يقولون: ما هي هذه الاصلاحات التي تقومون بها؟ دعوها واتركوا المفاسد تزداد و العقد و الاحقاد تزداد و الأذى و الظلم يزداد و الامور تزداد اضطراباً، اضطراب من هنا و اضطراب من هناك و يتضارب الاساس من فوقه ومن تحته و تحصل الثورة.

و لفقهنا هنا موقف واضح، هل يجب علينا نحن المسلمين ان نفكر بهذا النحو نسبةً الى ظهور الإمام الحجة عليه السلام؟ و يجب أن نقول: دعوا المعصية والذنوب تزداد، ودعوا الأوضاع تصبح اكثر اضطراباً، إذن لانأمر بالمعروف و لاننهى عن المنكر ولا نربي اطفالنا بل علينا نحن انفسنا ان لا نصلي ـ والعياذ بالله ـ حتى ـ نساهم في ظهور الإمام الحجة عليه السلام و لانصوم و ان لانقوم بأى واجب و ندعوا الآخرين لترك الصلاة و نرغبهم بذلك و نرغبهم في ترك الصيام و ترك الزكاة و ترك الحج، و دعوا هذه الأمور كلها تزول حتى تتهيأ مقدمات الظهور؟

كلا، هذا بلاشك مخالف لأصل إسلامي قطعي! أي ان انتظار ظهور الحجة عليه السلام لا يسقط عنا أي تكليف، لا التكليف الفردي و لاالتكليف الاجتماعي، و لن تجدوا في الشيعة ـ حيث ان تلك النظرة لاتوجد إلا في العالم الشيعي ـ فضلاً عن أهل السنة عالماً يقول أن انتظار ظهور الحجة يسقط عنا أدنى تكليف، لايسقط أي تكليف عنا على الاطلاق. هذا نوع (من تفسير ظهور الحجة عليه السلام).

التفسير الأخر هو أن الكلام في الظهور و الاثمار لا في الانفجار كالفاكهة و هي في طريق نموها، فالفاكهة لها موقعها كما ان الدّمل لها موقعها لكن موقع الدمل حيث تنفجر فيه اما الفاكهة، فموقعها حيث تثمر أي إنها تطوي نموها و سيرها التكاملي و تصل الى مرحلة وجوب قطفها و مسألة ظهور الإمام الحجة عليه السلام هي بنضج الفاكهة اشبه منها بانفجار دمل أي ان الإمام عليه السلام إذا لم يظهر الى الآن فليس لأن الذنوب قلت بل لأن الدنيا لم تصل إلى مرحلة النضج و لذا ترون في روايات الشيعة الكثير منها يقول أنه عندما تتوفر تلك الأقلية التي يبلغ عددها ٣١٣ شخصاً فإن الإمام سيظهر، فإلى الآن لم يتوفر هذا العدد ـ أو الأقل أو الأكثر ـ أي يجب ان يتقدم الزمان بحيث من جهة ينتشر فيه الفساد و من جهة اخرى يظهر اولئك الذين سيشكلون الحكومة و يمسكون بزمام الأمور تحت قيادته عليه السلام و في ظل لوائه عليه السلام، و إلى الآن لم يوجد مثل هؤلاء الرجال المؤهلين لذلك في الدنيا، نعم «مالم يزدد الاضطراب لن يصل الأمر إلى حد الاستقرار» لكن بين اضطراب و اضطراب فرقاً فالدنيا لم تخل من اضطراب و من استقرار بعد اضطراب ثم يتبدل الاستقرار باضطراب لكنه اضطراب بدرجة أعلى لا الاضطراب الخفيف ثم يتبدل الاضطراب إلى استقرار و برتبة أعلى من الاستقرار السابق ثم يتلوه اضطراب

أشد من سابقه أي أن هذا الإضطراب الذين تلا ذلك الاستقرار يكون اقوى حتى من هذا الاستقرار و لهذا يقولون أن حركة المجتمع البشرى حركة حلزونية أي حركة دائرية ارتفاعية ففي نفس الحال الذي يدور فيها المجتمع البشرى فهو لايدور في افق واحد بل يدور إلى أعلى. نعم فالاستقرارات دائماً تميل إلى اضطرابات لكن هذا الاضطراب، فهو مع كونه اضطراباً إلا انه في رتبة أشد وبلاشك فإن دنيانا اليوم هي دنيا مضطربة و منطوية و ممزقة. دنياً خرجت عن سلطة يد الحكام الكبار لكن هذا الإضطراب الحاصل على مستوى العالم يفترق عن الاضطراب الحاصل في قرية من القرى فرق السماة عن الأرض. و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرىٰ فرق السماء عن الارض، و نسبته الى الاستقرار في قرية من القرى بعد السماء عن الأرض، و هو أبعد عن استقرار مدينة من المدن بعد السماء عن الأرض ايضاً.

و لهذا فحيث أننا في نفس الوقت الذي نتحرك فيه نحو اضطراب فإننا أيضاً نتوجه نحو الاستقرار فلايمكن للإسلام أن يأمر (بترك كل التكاليف) و إلا لأمر بارتكاب المحرمات و ترك الواجبات، اتركوا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لاتربوا ابناءكم، دعوا الفساد يكثر، أنتم الذين تصلون و تصومون وتأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تصنفون الكتب و تلقون المحاضرات وتبلّغون تريدون توسعة التبليغ، انتم الذين تريدون الاصلاح انتم تؤخرون ظهور الحجة. فهذه الاصلاحات تقرب من ظهور الحجةعليه السلام كما أن تلك الاضطرابات تقرب ظهوره، ابداً يجب أن لاتدخل مسألة انتظار ظهور الحجة إلى ادمغتنا بذلك النحو من أننا منتظرون فإذن يسقط ذلك التكليف ـ الصغير و الكبير ـ كلا لا يسقط

أي تكليف على الإطلاق.

هناك أمور أخرى لكن لا يسمح الوقت بالتعرض لها و عليّ أن انهي الحديث. لكن اذكر لكم أمراً و ليكن آخر المطالب:

المهدوية فلسفة عالمية كبرىٰ

اسعوا كى تكون افكاركم حول مسألة الإمام الحجة عليه السلام موافقة لما جاء في متن الإسلام، و نحن غالباً ما نتحدث عنها مثل أمل طفولي كرجل عنده عقدة يريد الانتقام فيقال ان الحجة عليه السلام فقط ينتظر متى يعطيه الله تعالى الاذن كى يأتي و يغرق شعب ايران في السعادة أو يغرق الشيعة في بحر السعادة و المقصود أولئك الشيعة الذين هم نحن ولسنا بشيعة، كلا تلك فلسفة عالمية كبرى مرتبطة بان الإسلام دين عالمي و بأن التشيع بمعناه الواقعى أمر عالمي فيجب أن نتلقى ذلك كفلسفة عالمية كبرىٰ، عندما يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِن بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ﴾[1] إنما يتحدث عن الأرض، لا عن هذه المنطقة و تلك المنطقة و هؤلاء القوم و ذلك العرق.

فأولاً: الأمل بالمستقبل من أن الدنيا لن تفنىٰ و قد ذكرت مراراً أن هذه أوروبا اليوم ترىٰ ان البشر في تمدنهم وصلوا إلى مرحلة يحفرون فيها قبورهم بأيديهم وما هي إلا خطوة حتى يصلون الى ذلك، و ظواهر الأمور تعطي هذه النتيجة ايضاً لكن الاصول الدينية و المذهبية تقول لنا أن الحياة السعيدة للبشرية هي في

---

١ ـ سورة الانبياء، آية ١٠٥.

المستقبل و الأمر الموجود الآن مؤقت.

ثانياً: إن ذلك العصر عصر العقل و العدالة، و انتم تلاحظون أن للفرد مراحل ثلاثة عامة: مرحلة الطفولة و هي مرحلة اللهو و الافكار الطفولية، و مرحلة الشباب وهي مرحلة الغضب و الشهوة، و مرحلة العقل الرجولي و الكبر و هي مرحلة النضج و الاستفادة من التجارب، مرحلة الابتعاد عن العواطف، و مرحلة حكم العقل. و كذلك المجتمع البشرى، فالمجتمع البشرى له ثلاث مراحل لابد من طيّها: المرحلة الاولى: مرحلة الاساطير و الأوهام و بتعبير القرآن مرحلة الجاهلية. المرحلة الثانية: مرحلة العلم لكن علم و شباب يعنى مرحلة حكم الغضب والشهوة فعلى أي محور يدور عصرنا؟ و إن أجرى الإنسان حساباً دقيقاً يرى أن المحور الذي يدور زماننا حوله إما الغضب أو الشهوة.

فعصرنا هو قبل كل شيء عصر الانفجار (أي الغضب) و عصر (الميني جيب) (أي الشهوة). ألن تأتي مرحلة تكون مرحلة حكومة غير حكومة الأساطير وغير حكم الغضب و الشهوة و الانفجار (و الميني جيب)؟ مرحلة في الواقع تكون مرحلة المعرفة و العدالة و السلم و الإنسانية و المعنوية و حكم هذه الأمور؟ كيف يمكن أن لاتأتي مثل هذه المرحلة؟ أما يمكن لخالق هذا العالم والذي خلق البشر على انه اشرف المخلوقات أن لايوصل البشرية إلى مرحلة بلوغها و يقلب البشرية رأساً على عقب دفعة واحدة؟

إذن المهدوية فلسفة كبرى جداً، و انظروا المعاني التي لدينا في الإسلام كم هي راقية؟ و قد قرب شهر رمضان و ستوفقون لدعاء الافتتاح و تقرؤنه في ليالى شهر رمضان المبارك، و هناك قسم كبير من أخر هذا الدعاء مختص بوجود الإمام

الحجة المقدس و سأقرأه لكم و أجعله دعائي:

اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام و أهله و تذل بها النـفاق وأهله و تجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك. الهي اجعلنا مـن الذين تشملهم رحمتك و عنايتك في الدنيا و الآخرة.

إلهي نقسم عليك بذاتك المقدسة و بحقيقة أوليائك الكرام ان تجعلنا من الذين يليق بهم هذا الأمل الكبير.

الفهرست

الفصل الأوّل:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

الفصل السابع:

الفصل الثامن: